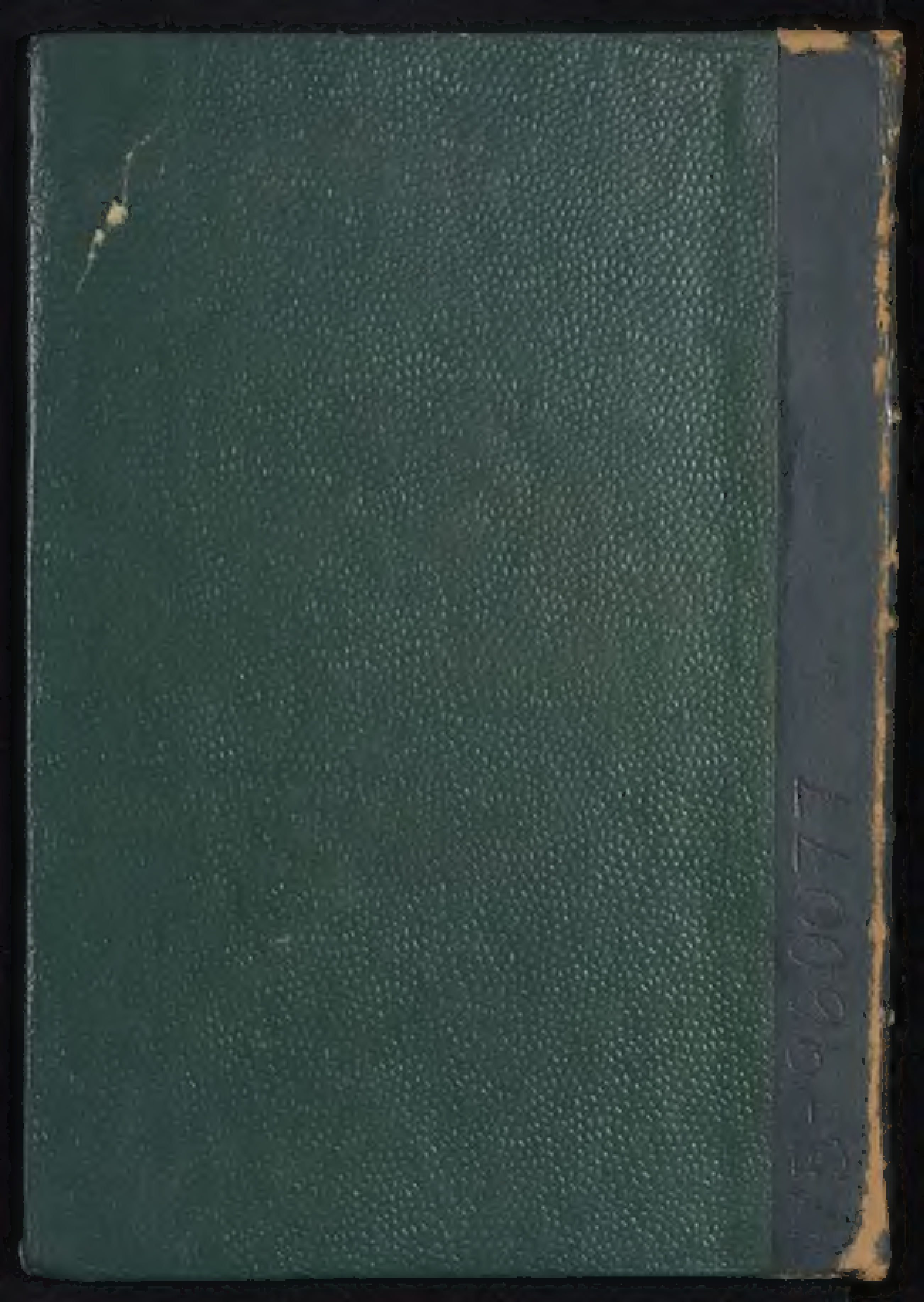
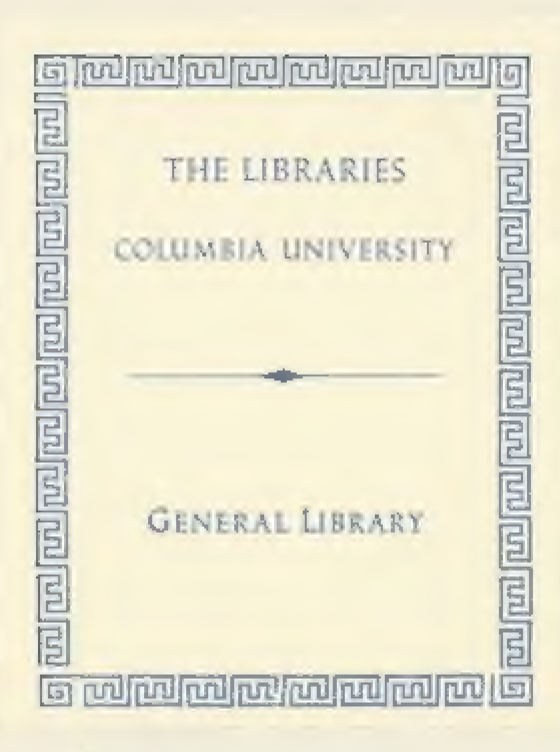




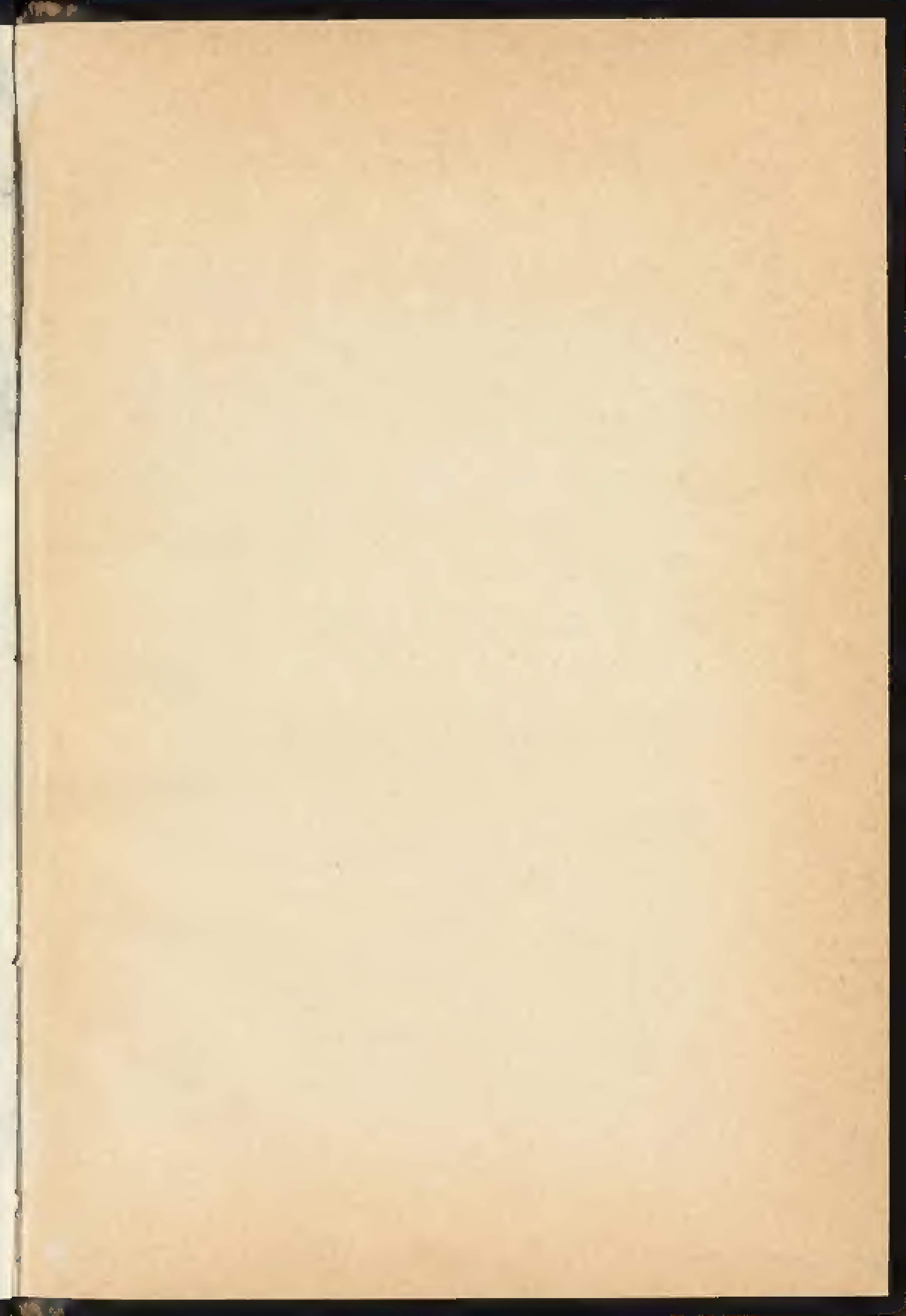


عصمة الرسول . تعدد الزوجات . زوجات الرسول . خديجة أم المؤمنين

الطلاق . تحديد النسل . التبرج والسفور . التعطيل . أين الله ؟

الإسراء والمعراج

أخطاء المفسرين ، وسقطات المحدثين . الله معنا ، فهل نحن مع الله ؟



حقائق ثابتة في الإسلام

يحاول المنحرفون طمسها والتخلص منها

لابن الخطيب

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

الطبعة الأولى

١٣٩٤ - ١٩٧٤

مطبعة الأفق - طهران

أحمد حسن ملاديق

فهـــرس

الموضــــوع	الصفحة
سبب منع زواج على رضى الله تعالى عنه : عدم جواز التزوج بمن تقل عن الزوجة حسباً ونسباً	٢٩
فساد القائلين بعدم التعدد ، والمضار التى وقعت بسببه ؛ فى شتى الأمور	٣٠
المآسى التى وقعت فى البلاد التى حرمت التعدد	٣١
رأى الشيخ محمد عبده فى التعدد ، وخطأ هذا الرأى	٣١
تشريع التعدد : يحول بين العلاقات الآثمة	٣٢
« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »	٣٣
خطأ التطور العالمى المزعوم . الزنا ، الخمر ، السرقة	٣٤
رأى المحافل النسائية	٣٥
الرد على المرحوم وحيد الأيوبى فيما قاله فى التعدد	٣٦
رأى المرحوم عبد العزيز باشا فهمى ، والرد عليه	٣٧
التعدد : من أدق النظم الاجتماعية وأرقاها	٣٧
الرسول عليه الصلاة والسلام : أباح التعدد مع الطاقة	٣٨
أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام	٣٩
أزواج الرسول : كن مقتربات ، مكتهلات ، ثيبات	٣٩
نزول آية التخيير : « إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها »	٣٩
أسـباب تزوجه عليه الصلاة والسلام لكل واحدة من زوجاته . لم يكن من بينها شهوة ، ولا استمتاع	٤٠
علاقته عليه الصلاة والسلام بزوجاته	٤٤
الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يروونه من أحاديث	٤٥
أم المؤمنين خديجة	٤٧
جمال الروح والنفس ؛ لا جمال الصورة والحس !	٤٧
سبب عدم تزوجه على خديجة	٤٧
واجب كل زوجة مسلمة . متى يمتنع التعدد ، ومتى يجوز ؟	٤٨
مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ ولم يشبع أهله من خبز الشعير	٤٩
الطلاق	٥١
الفراق الجسمانى : فى المسيحية	٥١
تأديب المرأة ــ فى الإسلام ــ قبل الطلاق	٥١
اتخاذ الخليلات ؛ مكان المطلقات	٥١
الفضائح التى انتشرت بين من لا يدينون بالإسلام	٥٢
براءة الزانى ، وعقوبة المجنى عليه	٥٢
الطلاق فى الإسلام : هو الراحة ؛ التى يستظل بها ، وهو متنفس الزوجين	٥٣
« أبغض الحلال عند الله الطلاق »	٥٤
تحـديد النسـل	٥٥
« ولا تقتلوا أولادكم من إملاق . . . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق »	٥٥
تحديد النسل ، أو تنظيمه : واحد فى الجرم والإثم ؛ إذ هما مضادة الخالق سبحانه	٥٦
إحصاء المواليد التوائم	٥٧

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن لا يحمد غيره، ولا يعبد سواه. والصلاة والسلام على من آتاه الله تعالى من الخير أوفره، ومن الفضل أكمله، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المتقين، وعلى من تبعهم إلى يوم الدين!

أما بعد: فقد تنسمت روحاً من أرض — ما أحلاه — عن إمام الكلام، وفخر الإسلام، وسيد من امتشق القلم: الإمام، العالم، العامل، العارف بالله: سيدي وسندي الأستاذ الكبير محمد محمد عبد اللطيف ابن الخطيب. الذي ذاع علمه وفضله، وملأ بقاع الأرض تقى، ومعرفة، وبركة!

وهو — حفظه الله — رغم علمه الغزير، وفضله الكثير: ينزعج أن يذكره إنسان بفضل، أو يثني عليه بما هو له أهل؛ تواضعاً منه، وزهداً في مباهج هذه الحياة الدنيا!

فكم رأيته يتخلى عن علمائه، فينضم إلى من هم دونه علماً؛ بل دون تلاميذه قائلاً: عسى أن أهتدي على يد أحدهم، بما لم أهتد إليه

ومثل هذا التواضع الجم، وهذا الخلق الفذ: سار أستاذنا الجليل في حياته العلمية: مدافعاً عن الدين، محافظاً على حبل الله المتين!

وبينما تراه دائماً كالماء الزلال هدوءاً وصفاء؛ إذا به ينقلب فجأة كالأسد الهصور: إذا ما اعتدى على حرمات الله تعالى، أو أخل أحد — ممن يعرف أو لا يعرف — بسنة رسول الله!

فهو دائماً يرضى في الله، ويغضب في الله!

وكم رأيته، والدمع ملء عينيه حينما يذكر الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه.

وكم رأيته ونشيجه يقطع نياط القلوب ، إذا مرّ فى قراءاته بذكر واقعة أوذى فيها الرسول حال حياته ، أو أصيب بسوء نزل به !

ولم أره إلا تابعاً لكتاب الله ، دائم المدارسة فيه !

وكتابه « أوضح التفاسير » وقد صدر منه سبع طبعات حتى الآن ، لم يؤلفه إلا بعد أن استوعب أمهات كتب التفسير : مطبوعها ومخطوطها

وهو — رغم ما ظهر من مؤلفاته — له مؤلفات ضخام لم تشهد بشائر أنوارها بعد ،

فقد أرانى تفسيراً للقرآن الكريم صاغه ببيانه ، وكتبه بقلمه : يبلغ حوالى عشرين جزءاً ، وقد يزيد عن تفسير القرطبى ، ويقارب تفسير الطبرى

ومن عادته — حفظه الله تعالى وأطال بقاءه — ألا يقلد أحداً فيما يكتب ، أو ينقل عما كتبه الأوائل ؛ بل يقرأ ، ويقرأ ، ويقرأ ، وبعد ذلك يكتب بطريقة : هى بالإلهام الذى ينزل على القلب أشبه منها بالعلم الذى ينطق به اللسان !

وقد صارحنى مراراً أنه إنما يكتب ما يكتب بدافع إلهى يستعين به بمرضاة الله سبحانه ، وكيد الشيطان اللعين !

وقد يقضى الليالى الطوال ساهراً مؤرقاً ؛ لأن واحداً من الناس طعن فى الدين ، أو عاب فى القرآن ، أو افترى على الرسول عليه الصلاة والسلام !

هذا وقد رأيته — عند قدومى إلى مصر — يكتب هذه المباحث ويهدف فيها رداً على بعض الكتاب الذين يزعمون فيما يكتبون ، ويظهرون غير ما يبطنون ويريدون الشهرة بما يبثونه من سموم بين سواد الأمة

وهو كثيراً ما يكتب بقصد النفع ؛ لا بقصد الطبع ! وقد أعجبت عن كتبه من دامغ الحجة وبليغ الاستدلال ، وواضح البرهان فى هذه المباحث التى تعتبر متممة لكتابه « أوضح التفاسير » والتى سماها — حقاً — « حقائق ثابتة فى الإسلام » .

فاستأذنته فى طبعها ليعم بها النفع فأذن بذلك مشكوراً .

ونحن إذ نطبعها الآن ، فى هذا العصر الملىء بالكفر والإلحاد ، فإنما نريد بذلك قطع الألسن المفترية الباغية ، والوقوف بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالخروج عن جادة الحق ، أو التعرض لهذا الدين القيم بالفساد والإفساد !

هذا وليس معنى طبعنا لهذه المباحث، أنا ندين بكل ما جاء فيها

فقد علمنا أستاذنا الجليل عدم التسليم لما لا نرتاح إليه صحة ما، وأن ننقد ما نراه قابلا للنقد .

لذا فإني - نزولا على ما علمني - أعلن عن إعجابي بجميع ما كتبه . فهو غاية الإبداع ، فقد غاص في طلب كنوز القرآن والإيمان : حتى استخرجها من أصدافها : بيضاء ناصعة ، شديدة النور واللمعان ، فأبان حسنها ، وجلا رونقها !

غير أني لا أوافق سيادته في بعض ما كتبه في المعراج ، وإن كان ما كتبه رائع وعجيب !

إذ أنه لا حرج مطلقاً أن يربط المختار أو جبريل عليهما الصلاة والسلام البراق في حلقة مسجد ، أو في الصخرة .

أو أن يطرق جبريل أبواب السموات ، مع علم أهلها به

أو أن يعرض الصلوات جبريل وتردده إلى موسى في العدد ، وحديثه في الأجر .

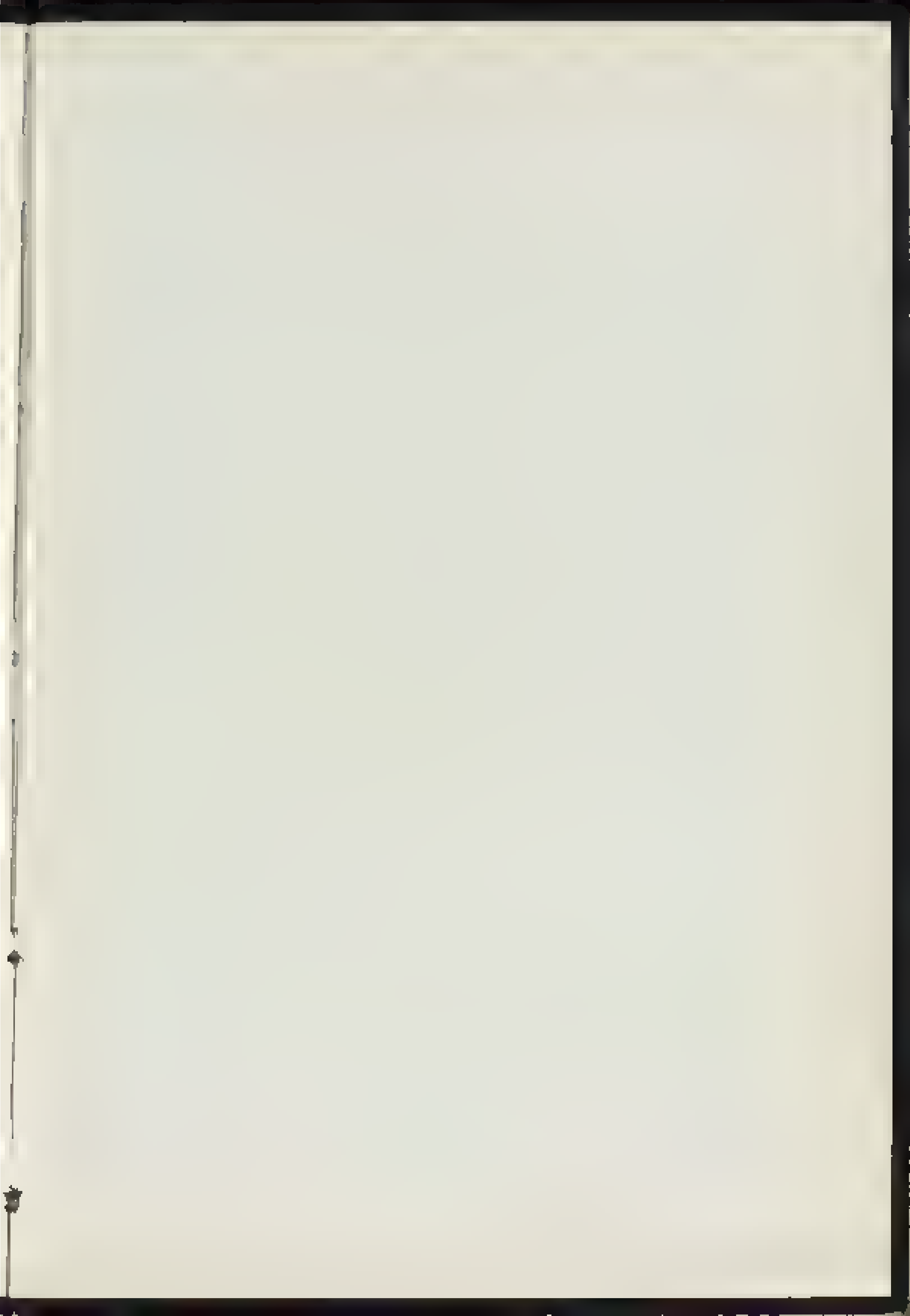
أما مراجعة رب العالمين بهذه الكثرة ، وهذا الإلحاح ، وما نسب إلى موسى من الحقد على محمد : فقد أخذ الأستاذ فيه رأيه ووسع في مناقشته ، ما لا يستطيع وعذري مناقشته فيه !

وقد بلغ تمحيص الأستاذ الجليل من الأحاديث التي أوردها : أن بدا له عدم تصديق لوجودها في الكتب المعتمدة ، فأرى مواضعها في أصح كتب الحديث ، وأوثق كتب التفاسير .

والله المسئول أن ينفع بما علم وعلمه ، ويثيب على علمه وعمله !؟

٤ شباط ١٩٧٤

دكتور الياس محمد العيتي



لماذا أسميت هذا الكتاب :

حقائق ثابتة فى الاسلام

يحاول المنحرفون طمسها . والتخلص منها

عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام :

هل يوجد مسلم تتوهم أن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه : غير معصوم ــ قبل النبوة وبعدها ؟

إذا افترضنا وجود هذا الإنسان ، أليس من حقنا أن نقول : إنه منحرف !

فإذا لم توافقنى على انحرافه : فاقرأ ما كتبته لك !

تعدد الزوجات :

لا يوجد مسلم يسمع قوله تعالى : «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة» .

ويرى سنة الرسول الكريم ، وسنة صحابته ، وتابعيهم من بعدهم ، وتابعى تابعيهم إلى يومنا هذا : ويضرب إلى القرآن الكريم التناقض بقوله «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» ويعتبر أن هذا إلغاء صريح للتعدد . ويعقل أنه تنظيم للتعدد ، لا إلغاء له .

ألا يجوز لى أن أقول بحق إنه منحرف ، وإنه يريد أن يهدم «حقيقة ثابتة فى الإســـلام» ؟

أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام :

لم يتزوج الرسول واحدة منهن : ابتغاء جاه ، أو شهوة : فكلهن ثيبات مكتهلات ــ عدا عائشة ــ فإذا قال قائل : إنه شهوانى ؛ مستدلا بكثرة زوجاته . حق لنا أن نقول : إنه منحرف ، بل كافر ! وألقمناه حجراً عما سقناه من أدلة ، وما أوردناه من براهين !

أم المؤمنين خديجة :

رضى الله تعالى عن أم المؤمنين خديجة ، فقد ضربت الأمثال تلو الأمثال : للزوجات الصالحات الطيبات ! مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتزوج عليها إلا بعد موتها . والافتقار إلى ذلك الحنان الصحيح ، والحب الذى لا يعدله حب . وقد صور ذلك شريعة منع التعدد . إذا توفر مثلها لزوج ؛ وأين مثلها ، أو من يشابهها من الأزواج ؟

فهل يعسر إنسان مسلم أن يخالفنى فيما قلت ؟!

الطلاق :

وهو حق مطلق من أى قيد — ولو أنه أبغض الحلال عند الله — ولكنه حق حلال ، وعقدته بيد الزوج وحده ، أو بغيره الذى بيده عقدة النكاح ،

فإذا ما قال قائل بحق أن يكون بيد القاضى : وجب علينا أن نسميه منحرفاً ، يريد طمس شريعة المولى سبحانه وتعالى !

تحديد النسل :

حسبوه أنه تخلصاً من الفقر ، فكانت الدعوة إليه هى الفقر بعينه ؟

لقد خلق الله تعالى الأرض وجعلها صالحة لإطعام من يخلقه عليها ، فلما عجز الناس عن إصلاحها وإفلاحها : لجأوا إلى الدعوة إلى التحديد ؛ فأضافوا بذلك عجزاً إلى عجزهم ، وتقصيراً إلى تقصيرهم !

والدعوة إليه منكرة ، يرفضها كل من ملأ الله تعالى قلبه بالإيمان ، ووثق بوعد المولى سبحانه ؛ برزق من خلق وبرأ

ولا شك أن الدعوة إليه : انحراف عن الجادة ، وطمس لآيات الرحمن فى الأكوان !

التبرج والسفور :

من ذا الذى يرضى بما يراه الآن ، ونطمئن على أهله ونسائه ؛ وقد تعرضن نهباً لأنظار الأشرار والفجار !

أليس من يخالفنى فى هذا : خارجاً على تعاليم الدين والقرآن ، ومتبعاً ما يبثه الشيطان فى قلوب بنى الإنسان ؟!

التعطيل :

من ذا الذي يقول بعدم وجود الله ؟ بعد أن أثبت وجوده بنفسه ، وأقام الأدلة والبراهين ، على رحمته وبأسه ، ورأينا بطشه في غيره ، وعفوه في لطفه !

وإن الذي يقول بغير الذي قلناه : كافر بنص كلام الله ، غير جدير بأن ينتسب إلى بني الإنسان ؛ وليس من بينهم من ينكر الديان حتى الكفرة الفجرة ، آمنوا بوجوده وسيادته ، ولو أنهم انصرفوا عن طاعته وعبادته !

أين الله ؟

فهو الله ، سبحانه تقدس اسمه ، وتعالى عن الأفكار رسمه !

فإن شئت رأيته في أحسنه ، وإن شئت عفته في غيره ! فمن قال — بعد ذلك — أين الله ؟ فهو منحرف أتم انحراف ، كافر أخس الكفر !

الإسراء والمعراج :

مرحباً بالرسول الكريم ، والنبي العظيم : في بيت المقدس : إماماً لسائر الأئمة !

ومرحباً به في السموات العلى ؛ ليرى من آيات ربه الكبرى !

كل ذلك نسلم به ، ونؤمن بحقيقته ، كأنما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم في مروره بالمسجد الأقصى ، وفي عروجه إلى الملإ الأعلى ؟

نؤمن بذلك بقلوبنا قبل عقولنا ! ولكنا ننكر كل ما ينكره العقل والدين ، ونحكم ببطلان الإفك والزور ، الذي نشره أعداء الدين في الدين ، ونسيه ورعاه السذج والمتعصبون من المسلمين ، وبث فيه ما ليس فيه الأفاكون والمبشرون !

فهل لمسلم يحترم عقله ، ويجل ربه ، أن يقول لي أخطأت ؟

فإذا قالها مؤيداً من عقله ، فهو مجتهد مخطئ ! وإذا قالها معانداً مكابراً : كان منحرفاً ضمن المنحرفين !

أخطاء المفسرين وسقطات المحدثين :

والله : كم عانينا من أخطائهم وسقطاتهم ، ووقفنا مشدوهين عند ما نقرأ ونسمع !

وقد حال بين تقدمنا وتفنيد آرائهم : عظم اشتهارهم ، وضخامة سمعتهم وأسمائهم !

ولا يخلو حالهم من إحدى اثنتين : سذاجة مطلقة ، وحسن نية ، فيما أخذوه ونقلوه من الغير .

أو أن ما وجد في مؤلفاتهم : قد دس عليهم .

وهم في كلا الحالين معذورون !

ولكن لا عذر لمن يكتشف الخطأ ؛ فلا يعلى عليه الحق ! ويتيقن من الكذب ؛ فلا يعلى عليه الصدق ! ويتأكد من الكفر ، فلا يعلى عليه الإيمان !

فإذا ما وجد إنسان مسلم يحدث في هذا الناصر ، ويريد أن ينبهه على الحق ؛ أليس من حقنا أن ننادي بانحرافه عن جادة الصواب !

الله معنا ! فهل نحن مع الله ؟

يقول المولى سبحانه « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » فقرر جل شأنه أنه مع من يتقي ربه ، ويحسن عمله !

فأين المتقي ، وأين المحسن ؟

فإذا طلع علينا إنسان يدعي الإيمان ، وقال : إن هذا ليس بصحيح ، وإن مجهود الإنسان الفردي : هو المؤثر في أعماله وأعماله ، وإن النصر ، من جهد المقاتل ، لا من معونة الله سبحانه ؛ القائل « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

ولم يبق في ذهن هذا القائل سوى قول قارون « إنما أوتيته على علم عندي » .

فهذا الإنسان في نظر كل مؤمن : منحرف عن الإيمان !

لهذا سميا كتابنا هذا « حقائق ثابتة في الإسلام » .

وشكر الله لمن أحسن الظن ، وأتقن الفهم !

وغفر لمن أساء الظن ، وأخطأ الفهم ؟

محمد محمد عبد اللطيف

مباحث

عصمة الرسول . تعدد الزوجات . زوجات الرسول

أم المؤمنين خديجة . الطلاق . تحديد النسل

التبرج والسفور . التعطيل . أين الله ؟

الاسراء والمعراج



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستهدي ونستعين

حمداً لله، وصلاة وسلاماً على مصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه!

أما بعد: فقد رأينا أن نلحق بهذا التفسير أبحاثاً ضاق المقام عن سردها في أماكنها، وهي من الأهمية بحيث لا يستغني عنها قارئ أو باحث.

وقد رأينا أن نبدأها بعصمة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لما وقع فيه بعض المسلمين من خطأ بالغ، وإثم شنيع؛ في حق أفضل خلق الله!

وهذه هي الأبحاث كما رتبناها:

١ — عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ قبل البعثة وبعدها

٢ — تعدد الزوجات، وما ثار حوله من جدل بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وأعدائهم

٣ — أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام وأسباب زواجه من كل واحدة منهن

٤ — أم المؤمنين خديجة، رضي الله تعالى عنها، ومكانتها بين نساء العالمين.

٥ — الطلاق وهل يجوز أن يسلب حق التطليق من الرجال؟

٦ — تحديد النسل، ونظرة الإسلام له!

٧ — التبرج والسفور، وآثاره في انحطاط أخلاق الأمم وفسادها!

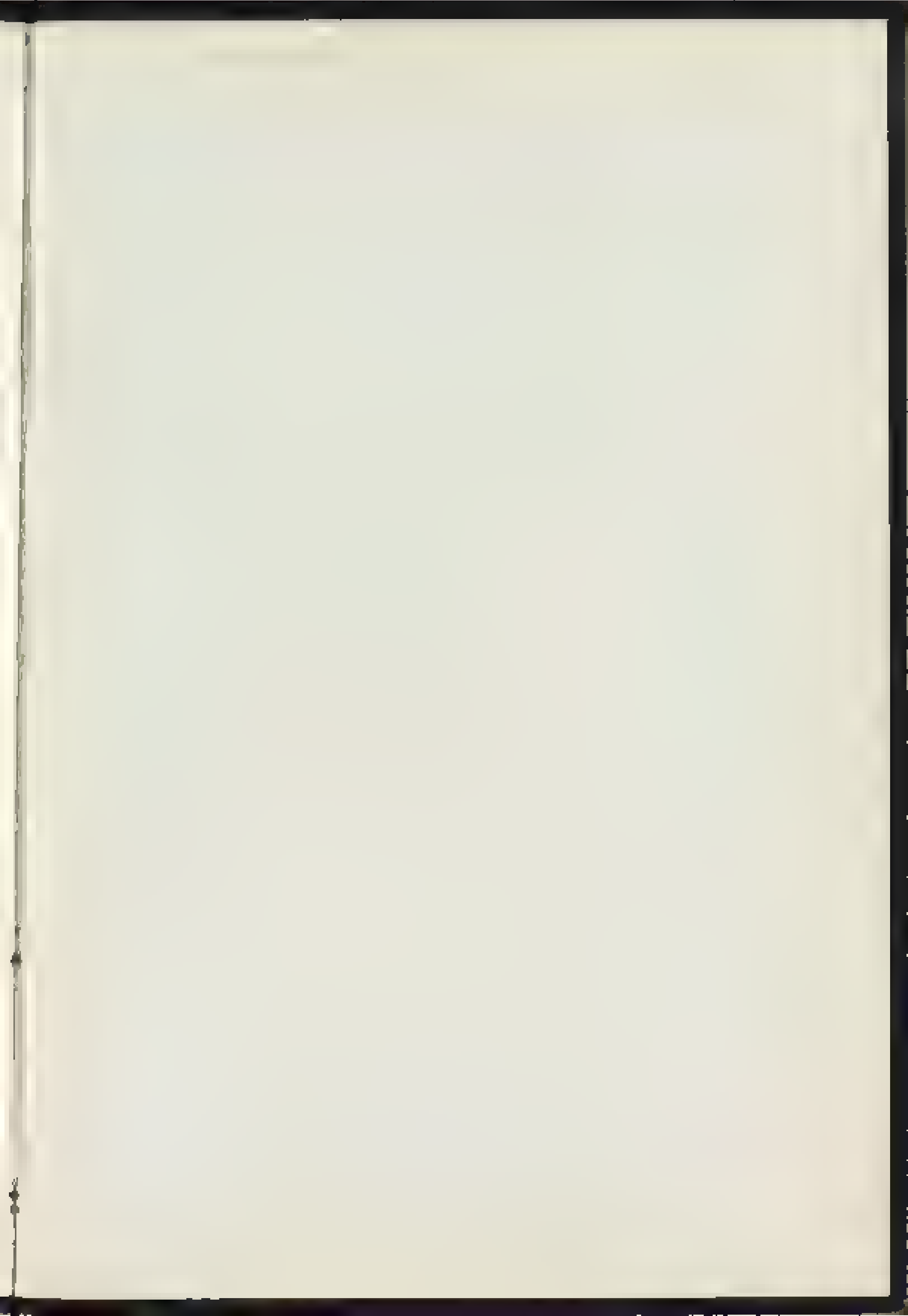
٨ — التعطيل والدعوة إلى إنكار الربوبية

٩ — أين الله؟ وهو سؤال استنكاري؛ شاع أخيراً بين شباب المسلمين وغيرهم.

١٠ — الإسراء والمعراج، وما اكتنفهما من أقوال وأحاديث، لا يصح أن يؤخذ بها، أو يعول عليها

والله أسأل أن يوفقنا في كل ما ذهبنا إليه من كفاح: نراه جهاداً في سبيله، وسبيلا إلى مرضاته!

محمد محمد عبد اللطيف



عِصمة الرسول عليه الصلاة والسلام

قبل البعثة وبعدها

منذ خلقه الله تعالى حتى لحوقه بالرفيق الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين : الذي جاءنا بالكتاب المبين ، وأفاض علينا من عظيم أخلاقه وكريم خلاله ما يجعلنا — لو اتبعناه وسرنا على هداه — في أعلى عليين !

وأنى لنا أن نتخلق بها ؟ وقد اختصه المولى بها واجتباه ، ليكون نموذجا للكمال البشرى ؛ الذى لم تبلغ شأوه ملائكة الرحمن ، ونبراسا يستضىء به كل من استنار قلبه بالإيمان !

ولن يستنير قلب إلا إذا آمن إيمانا يقينيا بعصمته عليه الصلاة والسلام من شبهة الخطايا والآثام !

وكيف لا يكون مبرأ من الخطإ وقد أرسله مولاه ليجنبنا من الخطإ

اللهم إلا إذا زعم زاعم أن المولى سبحانه ليس فى استطاعته أن يبرئه من الخطإ !

تعالى المولى عن العجز عما أراد ويريد !

خلقه تعالى ليكون شفيعا لسائر الناس . وكيف يشفع للناس من هو كسائر الناس ؟ بل كيف يشفع فيهم ، وفيهم من يفوقه خلقا ؟!

تعالى المولى سبحانه أن يرسل رسولا دون من أرسل إليهم أو مماثلا لهم !

وكيف يقع الرسول الكريم فى الإثم وهو الناهى عنه ، المتوعد عليه ، المعاقب لمن يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم ، صلاة دائمة بدوامه ، قائمة بمقامه ، ولعلنا به فى الجنة ، وهو عنا راض إن شاء الله !

وجنبنا بفضله ومنه ، الوقوع فى شراك البدع ، والسقوط فى مهاوى الضلالة والجهالة وباعد بفضله بيننا وبين ما يغضبه ، وجمع بكرمه بيننا وبين عفوه ! إنه تعالى أهل التقوى وأهل المغفرة !

وسبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم !

وإنه لمن المعلوم — عقلا ونقلا — أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، قد عصمه مولاه من الوقوع فى مثل ما يقع فيه سائر البشر

وأنه تعالى قد أعده ليكون نبراساً، تسير أمته على هداه، وتقتفى آثاره فى كل ما يأخذ وما يدع.

وأنه لا يصدر منه ما هو خلاف الأولى، فضلاً عن ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه، وترك ما أمر به!

وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى ربه فى كل أموره، ليس فى العبادة وحدها، بل فى تصريفه لشئون دنياه أيضاً!

وأن الله تعالى قد حماه فى صباه من الوقوع فيما يقع فيه أنداده من الصبيان من عبث ساذج، ولهو برىء!

حتى السمر: الذى كان يسمره الناس فى عصره: حماه مولاه تعالى منه!

فقد ورد أنه فى ليلة ما، أراد أن يسمر كما يسمر الشبان، فألقى مولاه عليه النوم، فلم توقظه من نومه سوى الشمس!

وهذه إرادة المولى سبحانه ليعلى شأنه، وليعلم المبعوث إليهم أن رسوله هذا — ولو أنه كالرسل إليهم خلقة — غير أنه ليس كأحدهم خلقاً

لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام بشراً وصح البشرية، يأكل كما يأكل البشر، ويمشى فى الأسواق كواحد من البشر فى خلقه، فى حين لا يدانيه فى خلقه واحد منهم: ولا النبيون، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم!

وحين قال المولى سبحانه: لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة، أراد بذلك التأسى به فيما ناله من أذى قومه وعنتهم، ولم يرد أن يكونوا مثله؛ إذ أن المثلية لا تتحقق إطلاقاً!

وأنى لهم ذلك؟ وقد كتب عليهم الخطأ، والخطيئة، والإثم، فى حين أنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه مبرأ من جميعها!

فهو عليه الصلاة والسلام: خيرة الله تعالى من خلقه جميعاً يوم ذرأهم وبرأهم!

وهو خير خلق الله تعالى قدراً وشأناً على الإطلاق!

فإذا ما قال قائل: كيف ذلك والمولى سبحانه يقول: «قل إنما أنا بشر مثلكم»

نقول له: إنما أراد المولى بهذا القول: إثبات بشريته، ونفى ملائكيته،

وقد ورد أن أويساً القرنى رضى الله تعالى عنه، وهو من سادات التابعين قال لأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما رأيتم من مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا ظله.

قالوا : ولا ابن أبي قحافة ؟ (يعنون أبا بكر) قال : ولا ابن أبي قحافة .

ولما ذكر هذا الكلام عند العارف الأكبر : أبي حسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه قال : صدق والله أويس رضي الله تعالى عنه .

وإلى هذا أشار البغدادي بقوله ، مخاطباً أويسا :

صدقت ! لقد حاز الحبيب مقاماً تقاصر عن إحصائها كل مستقصي !

صحابته لم تحص ما حصته به إله البرايا ؛ ليت شعري من يحصي !؟

وحينما يقول له مولاه : «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» . يظهر لنا جلياً أن تلك هي العصمة بأحق معانيها !

وذلك لأن إراءة الله : هي حقيقة عصمة تعالى الله أن يخطئ !

وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول : «أيها الناس اتهموا الرأي ، فإن الرأي لم يكن مصيباً إلا من محمد وحده : لأن الله تعالى كان يريه ، وذلك قوله : «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» .

وحينما نظر المولى سبحانه إلى ناسوته[1] قال له : «ليس لك من الأمر شيء» .

وحينما نظر إلى لاهوته[2] وهو حقيقته التي أوجده عليها

قال : «والله ورسوله أحق أن يرضوه» .

وحسبه صلوات الله تعالى وسلامه عليه سمواً عن البشرية ، أنه الحق الذي عميت عنه أبصار المشركين وبصائرهم ، «وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون» ، فحققهم المولى سبحانه على عنادهم ، بعدم التمتع برؤية نوره واستجلاء محاسنه !

ولا تنس أيها المنصف حكيم قول رحمن المنان «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة» .

فهو عليه الصلاة والسلام : منة الله تعالى على عباده ، ونوره السارى بين خليقته ، والواسطة في رحمته ، والشفيع لمن رضي عنهم من عبده !

أنقذهم من الظلمة ، بعد ذل المعصية ، ثم تاب عليهم ، وعفا عنهم ، وشفع الحبيب فيهم

فهل هذا بشر مثلنا يا أولي الألباب !؟

---

١ — الناسوت : طبيعة الإنسان البشرية ، وقيل : الناسوت : البشر ، واللاهوت : الله .

٢ — اللاهوت : ما في الإنسان من صفات رفيعة مستمدة من الإله سبحانه ؛ قال صلى الله تعالى عليه وسلم «تخلقوا بأخلاق الله» .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : «كان خلقه عليه الصلاة والسلام القرآن» .

ردّ أحد العلماء على بعض ما جاء بكتابنا

هذا وقد تفضل الصديق الصدوق : الأستاذ الكبير الشيخ علي أبو طالب : أستاذ الدراسات الاسلامية بالأزهر : بالتعقيب على بعض ما جاء ، بأوضح التفاسير ، متعففاً لعصمة الرسول عليه الصلاة والسلام . مثبتاً أن الرسول الكريم كان بشراً مثلنا : يخطىء كما نخطىء ، ويصيب كما نصيب . عدا ما يتعلق بالرسالة .

وقد رأينا أن نعقب على هذا بما يرتاح إليه ضمير المؤمن الصادق الإيمان !

قال الأستاذ : عافاه الله من الإثم . وحماه من كيد الغبي !

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

فإن أصدق الحديث : كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار !

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا . وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا [1] فاجعل لنا الحزن سهلا

اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم ، وأكرمنا بنور الفهم . وجنبنا الخطأ والزلل فيما نقول ونعمل ، وافتح علينا بحكمتك ، وانشر علينا خزائن رحمتك ، يا أرحم الراحمين !

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم !

أخي صاحب السيادة الأستاذ الجليل محمد عبد اللطيف ابن الخطيب

يقول الله عز وجل في غير آية «قل إنما أنا بشر مثلكم» كما قال «هل هذا إلا بشر مثلكم» ومقتضى المثلية أن يكون نبينا صلى الله عليه وسلم كسائر البشر ، فيما عدا ما يوحيه الله إليه : فيصيب كما نصيب ، ويخطىء كما نخطىء ، وإليك الدليل :

قال الله عز وجل في سورة الأنفال «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ... الخ» .

عند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «لو نزل عذاب من السماء ما نجا غير عمر» فكان الرسول عليه الصلاة والسلام في الجانب المقابل لعمر

١ — الحزن : بفتح الحاء ، وسكون الزاي : الأرض الغليظة ، غير المستوية . والسهل : ضد الحزن .

ولقد هم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلى على أحد الكافرين ، فجذبه عمر من ثوبه ، وقال له : إنه كافر ولا ينبغى لمثلك أن يصلى عليه . فأنزل الله سبحانه وتعالى موافقا عمر حيث يقول « ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدا . ولا تقم على قبره ... الخ » .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم تضيق صدره من الإيذاء كما يضيق صدرنا . قال الله عز وجل « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » .

وكان يحزن مما ينسب إليه ، كما جاء فى الآية « ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون » وقال عز وجل « ولا يحزنك قولهم » كما قال عز ذكره « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

وقد عرض سيدنا عمر عليه صلى الله عليه وسلم أن يحجب نساءه بقوله له : إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن . فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل حتى نزل قوله عز وجل « وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » .

إلى غير ذلك من موافقات عمر للقرآن الكريم .

وجاء أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من أهل المدينة ألا يؤبروا النخل فتركوا تأبيره . فلم يثمر النخل . فقال لهم « اصنعوا ما كنتم تصنعون » أو كما قال

وجاء فى حديث القسم أنه صلى الله عليه وسلم قال « هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك » . فمن ذلك نعلم أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء . وعليه أن نقول بميل قلب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى زينب بنت جحش زوجة مولاه زيد بن حارثة ليرتب الله على ذلك ما رتب . وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب ، ويحب النساء أيضا ويعجبه حسنهن ؛ بدليل قول الله سبحانه وتعالى « لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسنهن ... الخ » .

ويمكن أن نحمل حب الرسول للنساء رفعا لشأنهن ، وإعزازا لهن . فلقد كان العرب يئدون بناتهم صغارا ، ويجعلون نساءهم متاعا يتصرفون فيهن كما يتصرف الإنسان فى سلعته وأمتعته ، وقد قال الله عز وجل « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ... الخ » .

كما قال فى الآية بعد « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء » .

وقد كان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يجتمع بالنساء فيبايعهن ويعظهن كما جاء في القرآن الكريم « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ... الخ »

وكان يجعل لهن يوماً يعظهن فيه ويأمرهن بالصدقة ، فكن يلقين بالقرط والخاتم وبلال يأخذ في حجره

يا أيها الأخ الكريم رجائي منك أن تتأمل هذه الأدلة ، وأن تتخلى نفسك من كل تعصب ، وأن لا تحجر حرجاً على فضل الله ، وتقييداً لما يريد فلله أن يمنح من شاء ، فكم منح من عباده مالا يحصيه عد ، ولقد منح عز وجل سليمان بن داود قوة عظيمة كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وكن سبعين أو أكثر . كما جاء في حديث أن سليمان عليه السلام قال لأطوفن الليلة على نسائي فتأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله ، فما حملت واحدة منهن غير واحدة أتت بشق ولد . وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم : « لو قال سليمان إن شاء الله لأتت كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله » .

وعليه أن لا تستكثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنح قوة أربعين رجلا مع فضله على سائر الأنبياء والمرسلين

وفقكم الله لما فيه الخير ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تعقيبنا على هذا الرد

هذا وقد رأيت أن أعقب على ما كتبه أستاذنا الفاضل ، حيث إن ما كتبه في حاجة إلى مزيد من الإيضاح :

أستاذنا الجليل النبيل ، الشيخ على أبو عدلب : حفظه الله تعالى هاديا مهديا ، وأفاض عليه من العلم والفهم ، ما يجعله أهلا لما حمله من وراثة الأنبياء ،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد : فقد أتاني كتابك الكريم ، الذي يصلح أن يكون رسالة مستقلة يدرسها الدارسون في بشرية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، بشرية مطلقة !

ولم يقل ذلك — على ما أذكر — سوى بعض المستشرقين ، وتابعهم في ذلك بعض من لا أريد أن أصفك في زمرتهم ، فأنت مني الأخ الصادق ، والعف المخلص الأمين !

ولولا حبى لك ، وحرصى عليك : لما عقبت على كتابك هذا ، ولاعتبرته ضمن ما قرأت وأقرأ مما أعده من سقط القول !

أما وقد عززت كتابك بالآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية فقد صار لزاما على أن أكتب ما عن لى عند قراءته .

وفوق كل ذلك فإن كتابك يستلزم منى ابتداء شكرك على تفضلك بالتعقيب على بعض ما ذكرته فى كتابى « أوضح التفاسير » .

وأقسم غير حانث أنى ما كتبت فى حياتى شيئا إلا بعد اقتناعى به ، ورغبتى فى مرضات الله من أجله !

وإذا ما رأيتنى فى ردى هذا : متبرما مما قرأت ، أو محتدا : فذلك طبعى الذى جبلت عليه . وأعتذر مقدما عما يبدر منى من ألفاظ قد لا تستسيغها : دفعنى إليها شدة حنقى وخشيتى من تسرب هذه الآراء إلى العامة . فتصبح عقيدة عندهم ؛ يتوارثها الأبناء عن الآباء !

وتصبح بين يوم وليلة ، وقد سقط محمد بن عبد الله : خير خلق الله ؛ من علياته التى بوأه الله تعالى إياها . وصار مثلى ومثلك : من يحتاجون إلى من يسندهم عند مرورهم على الصراط ، ويدفع عنهم العذاب : حيث لا دافع ، ويمنعهم السقوط حيث لا مانع !

وإن شر ما أخشاه على هذا الدين القويم — وقد أصبح غريبا أو كاد — هو الاستهانة بقدر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : الذى ليس فيه من البشرية سوى اسمها فحسب !

وسأرتب ردى على ما جاء فى كتابك حسب ما أوردت من أدلة ، رأيتها أنت قوية مقنعة ، ورأيتها أنا ضعيفة واهنة !

أولا — أوردت قول الحكيم العليم ؛ لنبيه الرؤوف الرحيم « قل إنما أنا بشر مثلكم » وخرجت من تأويلها بأنها تقتضى المثلية الكاملة !

بل وذكرت بالحرف : يخطىء كما نخطىء ، ويصيب كما نصيب !

إنسان اختاره الله تعالى من بين سائر مخلوقاته جميعا : ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وقال له : يامحمد خاطب أمتك ؛ و « قل إنما أنا بشر مثلكم » ولست ملكا من الأملاك .

فهل يكون ذلك البشر المختار من خيار الخيار : يخطىء ويصيب مثلى ومثلك ممن يخطئون دائماً ، ولا يصيبون إلا نادراً ، وهى حالة أظن أنك لا تخالفنى عليها ، ولا تجادلنى فيها .

فإذا كنا — وهذا حالنا — لا نرضى أن ينسب إلينا ما نسبته للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

أترضى وأنت العارف بالله ، الملتمس عفوه ورضاه ، الخاشي بأسه وغضبه وعذابه : أترضى أن تنظر إلى حبيبة مسلم ، فضلا عن أن يكون ذلك المسلم منك بمنزلة الابن أو الخادم ؟!

وأنت خبير من بعد : أن النظر في ذاته جرم ؛ فإذا كانت المنظور إليها مزوجة ، كان الجرم مزدوجا ، فإذا كانت زوجة ابن ، كان الإثم بالغا حد الخروج — لا عن الإسلام فحسب — بل عن الإنسانية ، وعن كل دساتير الفضيلة !

أما تدرك وراء أن هذا أمر واجب التنفيذ ، لأن الله تعالى قضاه ، وأن مقصده : متحتم تنفيذه ، فهو أمر يخرج بنا إلى حد تحليل كل إثم ، وتحبيب كل جرم ؛ لأن كل ما يقع في ملك الله : لا يخرج عن رضاه وتدبيره . وهذا — كما ترى — يخرجنا من عداد الطائفة الناجية والعياذ بالله !

وهنا نطل عليك بأنوار آيات الله تعالى البينات : «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» .. «لمن شاء منكم أن يستقيم» ... «ولا يرضى لعباده الكفر» ، والآيات التي تؤيد هذا : كثير لا يتسع لها هذا المقام ، ولا تخفى على علمك وفضلك ! وقد توسعنا في تأويل هذه الآيات وأمثالها في «أوضح التفاسير» .

فلا مناص حينئذ من أن نعتقد أن المثلية في القرآن ليست مثلية مطلقة : بل هي خروج من دائرة الملائكية إلى البشرية في الخلقة وحدها «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون» .

وهي سنة الله تعالى مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام «قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم» ... «هل هذا إلا بشر مثلكم» . «ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه» ... «ما أنت إلا بشر مثلنا» ...

وهكذا يسجل المولى سبحانه على خاصة رسله وأنبيائه : البشرية ؛ لا ليحط من أقدارهم ، ولكن ليعلم المرسل إليهم : أن هؤلاء المرسلين بشر أمثالهم ، وليسوا ملائكة كما يزعمون ! وإلا صار الإيمان عن طريق القسر والإلجاء !

وحاشا أن يكون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم : الأمين على دعوته ، الأمين على أمته : مثلى ومثلك . بل ولن تكون هذه المثلية بينه وبين أى نبى آخر . فالأنبياء جميعهم : دون محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام وهذه — كما تعلم — قضية لا تحتاج إلى تدليل !

وحينما يقول المولى سبحانه فى كتابه المجيد ، مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام « قل إنما أنا بشر مثلكم » فى حين أن المخاطبين جميعا يعلمون هذه البشرية ، ويلمسونها ، وهو أمامهم من عداد البشر : فليس ثمة سبب للتعريف ببشريته ، سوى ملائكيته فى الخلق ، والسير والسلوك ، التى ينكرها أمثالك عليه : فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

ثانيا — لست أدرى ماذا أردت بما أوردته من إصابة عمر رضى الله تعالى عنه ، وموافقة القرآن له ؟

لقد أبرزت ياسيدى معنى لا يجوز إبرازه بهذه الصورة ، وكأنك تريد أن تقول : أخطأ محمد ، وأصاب عمر !

ولم يبق بينك وبين غلاة الشيعة ، الذين قالوا : أخطأ جبريل فى حمل الرسالة إلى محمد ، وقد كان المقصود بها غيره ، غير تعديل طفيف ، وهو أن المقصود بالرسالة عمر لا على

ثالثا — قولك : إن القلوب بيد المولى سبحانه يقلبها كيف شاء ، فهذا مما لا يخالفك فيه أحد من المسلمين ، لأن ذلك ورد فى الكتاب المبين ، وفى أحاديث إمام المرسلين

أما الذى يخالفك فيه المسلمون قاطبة ويحاربونك عليه ، وأما أوهمت أن الله تعالى قلب قلب الرسول الكريم ، الرءوف الرحيم ، إلى حب زينب ، فهذا ما لا يوافقك عليه مسلم ، ذاق حلاوة الإيمان بقلبه ، وإن وافقك عليه جل المفسرين ، سامحهم الله !

وقد قلت فى ذلك ، من قصيدة طويلة :

لم يحض منه نظرة إثم وحديث الهوى أتت رواها

ولم تسو بين أكرم الرسل عليه الصلاة والسلام ، ويوسف الصديق عليه السلام : حيث عرف يوسف بما أحاط به ، والمعصوم أرق الناس خلقا ، فى موقف أضعف من الانغماس فيه !

يوسف : الممتلىء شبابا وفتوة : تخلو به امرأة مفتنة بالجمال والفتنة ، وفى نفس الوقت هى مالكته وسيدته : فيستغيث بربه ، ويولى هاربا مما عساه أن يوقعه فى الإثم ، ولم يكن فى هذا الوقت نبيا ، ولا رسولا !

ويأتي محمد بن عبد الله : إمام الرسل ، وخير خلق الله : فتفتنه امرأة هي في مرتبة زوج الابن ، فلا يلجأ إلى مولاه ليحفظه ولا يتهرب مما عساه أن يحط من قدره كثيراً ! فلم يبلغ شأو يوسف عليه السلام !

رابعاً : ما ذكرته من اجتماع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه بالنساء .

ومن المعلوم عقلاً ونقلاً : أن اجتماعه بهن كان للمبايعة والعظة وحدهما كما يدل على ذلك منطوق الآية الكريمة ومفهومها : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله » .

فالاجتماع بهن لم يكن كما يدعي المخرف الذي يريد أن يهون بالرسول الكريم إلى مستواه . ويقول : إنه كان يحب النساء ويعجبه حسنهن !

والذي يحب له كثيراً ، ويحكيه كثيراً يصعب لي بأن أحلل نفسي من كل تعصب ، وألا أحمل حرصاً على فضل الله تعالى ، وتمهيداً لما يريد

كأنك تريد أن تقول : إن من فضل الله تعالى على رسوله أن وهبه نعمة النظر إلى ما لا يحل . وقد تابعت الغزالي رضي الله تعالى عنه في ذلك عفا الله تعالى عنك وعنه ! (انظر تأويلنا لقصة أم المؤمنين زينب . آية ٣٧ من سورة الأحزاب)

خامساً : انتقلت بعد ذلك إلى حديث يزعم الأفاكون أنه منقول عن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه . وهو : « أوتيت قوة أربعين في البطش والجماع » وقد رددنا عليه بما فيه الكفاية في آخر المبحث الخاص (أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام)

وإذا كان فضل الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتحقق إلا بإتيانه قوة أربعين في الجماع كما ذكر في هذا الحديث المكذوب التافه ، الذي تمسكت به ، فما رأيك إذا ما زعم زاعم أنه أوتي قوة واحد وأربعين ، فهل يصير بذلك أفضل من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؟

وقد أيدت قولك هذا بأن سليمان عليه السلام قد منح قوة سبعين أو أكثر ، وأنه كان يطوف عليهن جميعاً في الليلة الواحدة

وتقتضي هذه الأقيسة التي سقتها ، أن تكون قوة الرسول عليه الصلاة والسلام في الجماع تعادل ثمانين رجلاً أو أكثر . لأنه مما لا شك أفضل من سليمان . وتقتضي المفاضلة أن يكون أعلا منه شأناً في كل شيء ، حتى في الجماع !

ولماذا نذهب بعيداً ؛ وأمامنا كتب الحديث الصحيحة . وفيها عن إحدى أمهات المؤمنين . قالت : « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة بغسل واحد » فما أشبه طوافه على نسائه بطواف سليمان ؛ لولا أن سليمان يفوقه فى عدد النساء !

وقد رددنا على ذلك الحديث السقيم — فى إحدى كتاباتنا — بأن هذا الحديث لا يثبت إلا بإحدى اثنين ؛ لا ثالث لهما .

إحداهما : أن أم المؤمنين — راوية الحديث — جامعها الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، فاغتسل بها ؛ وبعد ذلك خرج من عندها فتبعته حلمة إلى أن دخل بيت إحدى أمهات المؤمنين الأخريات : فتسمعت عليه ، وعلمت أنه قد نال منها ما نال منها . وتبعته بعد ذلك حتى دخل إلى أخرى ، ثم إلى أخرى حتى علمت أنه أتى نساءه جميعا بغير اغتسال !

ثانيتهما : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قال لإحدى زوجاته رضى الله تعالى عنهن : إنى أتيت فى هذه الليلة ضرائرك جميعا

وكلا الفرضين : مستحيل عقلا ، وعرفا ، وذوقا ؛ وليس فيهما ما يدل على مكارم الأخلاق التى بعث الرسول عليه الصلاة والسلام إلينا ليتممها « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وما أشبهنا — فى هذه الحالة — باليهود الملاعين : الذين لم يدعوا نبيا من الأنبياء إلا ألصقوا به فرية :

فقد زعموا أن لوطا شرب من الخمر حتى فقد صوابه ، ثم زنى بابنتيه فحملتا منه !

سادسا : ذكرت فى كتابك حديث تأبير النخل — وفى النفس من صحته الشىء الكثير — وهو على فرض صحته : تعليم للأمة للأخذ بما يقومون به فى حياتهم الدنيا من مصادره ، ويسألون عنه أولى العلم به .

وفيه إشارة دقيقة إلى أن الرياح تقوم فى كثير من الأحيان بهذا التأبير « وأرسلنا الرياح لواقح » فتنقل من ذكور النخل إلى إناثها ، ومن ذكور النبات والأزهار إلى إناثه .

وكيف يستساغ أن يدلى الرسول الكريم — فى أمر من الأمور — برأى لا يعلمه ، ولا يتقنه .

إنها لإحدى المفتريات . وهذا رأيى الذى ألقى الله تعالى عليه آمنا يوم القيامة !

وان لم توافقنى ، كعادتك معى دائما : فى التحيز إلى الكفة المرجوحة ، سامحك الله يا أخى وعفا عنك !

سادسا — استدللت بالآية الكريمة — وهو من القرآن بمكان . يقول المولى سبحانه لنبيه الحبيب وحبيبه النبى : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن » . وأولت هذه الآية تأويلا لا أرتضيه للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وهو خير الخلق قاطبة !

ولا أرتضيه لك وأنت من خاصة المسلمين بل ولا أرتضيه لنفسى وأنا من عامتهم

قلت — سامحك الله — إن معنى الآية : أن الرسول المعصوم كان ينظر إلى حسن النساء ، ولو أعجبك حسنهن ، وأن ذلك كان رفعا لشأن النساء وإعزازا لهن

وإذا سحبنا على هذا المنوال التفسيرى الفذ : لظهر لنا أن قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » أن نتزوج منهن ما ساوقته تجربتنا ووثقنا من طيبه لنا

وغاب عنك يا سيدى أن المرأة المسلمة قد تنقل وصف المرأة إلى الرجل فيعجبه حسنها وليس من الضرورى أن يتأملها بالفحصة . كما يفعل تجار اليوم !

أما وقد انتهيت من الرد بإيجاز على ما قدمته لى فى كتابك من نصح أردت به وجه الله : فهو أبدا مدورى أن أبذل لك النصح مبتغيا به وجه الله . وإعفائى مما أظنه لاحق بك من لوم !

فأقول لك — وأنت منى بمنزلة الأستاذ — أن تتق الله فى خير خلق الله الذى جعله الله من البشر . وأرسله إليهم ليتبعوه ويأتسوا به « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » .

خلقه مولاه من البشر . وليس فيهم جميعا من يساويه . أو يدانيه !

الرسول الكريم : الذى تريد أن تنزل به إلى مصاف عصاة البشر : هو نفسه الذى خاطبه مولاه سبحانه وتعالى بقوله « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » . القبلة التى هى مقصد المسلمين جميعا ، وملتقى أرواحهم فى أحلك ساعات الله « يدلله مولاه بقوله » « فلنولينك قبلة ترضاها » وكرر فى خاطرك لفظ « ترضاها » فإن فيه من الأسرار ما لو تكشف لك : لوصلت إلى ما لم تصل إليه بعقلك ، الذى قضيت فيه طوال حياتك !

وتذكر ما قلته أنا في الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام (من قصيدة طويلة)

أى نفس زكية صاغها الـــــله لطفا . فطاب مبناها !
لم يعب نفسه بنظرة إثم   وقبيح النفوس [illegible] رماها !
بات يرعى الإله صوما وقوما   حيث نوم وآخر [illegible] !
جاع خير العباد حيث شبعنا   وملأنا بطوننا حيث طواها !
أنزل الله آية فتلاها   لجميع العباد : ما أحلاها !
إن عرفت الصلاة نفس لوجهي   ولك [illegible] لي [illegible] !

الرسول الذي يخاطبه مولاه بعونه ، ويثبت تأييده ، ويقول به وأمرت .

هذا الرسول ... ليس بالإنسان الذي عنيته في كتابتك ، بل هو [illegible] من نوع خاص ، لا يخطئ — ولو كتب الخطأ على بنى الإنسان ... ولا ينظر إلى حديثه إنه فيشمها ؛ ويقول سبحان معلم القلوب ! وفي نفس الوقت ينهاها عن النظر ، وهو دون التشهي !

فاتق الله يا عبد الله : في منزلة رسول الله ، وراجع نفسك فيما قلت وفيما كتبت ؛ عسى أن يغفر المولى سبحانه لي ولك ، وأن يشفع فينا رسوله عليه الصلاة والسلام ، الذي لم يخطئ أصلا ، ولم يتطرق الخطأ إلى ضميره يوما من أيام الرسالة أو قبلها !

ويصح لي في ختام حديثي معك أن أعتذر عما وقعت فيه مما سيحسب عنه في كتابتك من التعصب ، وعذري أنه في فطرى التعصب في الحق ، ودفع للباطل الذي تشهد به كل العقول الذكية الأبية ، وأنت أولها وأولاها !

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

١٢،٤، ١٩٧٣



هذا وقد غضب أستاذنا الفاضل من تعقيبنا على نفيه ، وحق له أن يغضب !

لأنه قد توهم — مخطئاً لا خاطئاً — أن في تعقيبنا ، مغالطة له ، أو تحويراً لما أراد أن يثبته . ونسي — حفظه الله تعالى — أني كنت ولا أزال أقول ، إني لا أكتب شيئاً إلا ابتغاء مرضات الله ، وحسن ثوابه !

وقد رد علينا بما ندونه هنا إتماماً لما بدأناه من بحث نرجو أن يخرج القارئ منه بنتيجة حتمية : هي عصمة النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام — قبل البعثة وبعدها — من الخطأ الذي هو دون الخطيئة حتماً !

وها هو رده كما أرسله ، وتعقيبنا عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الرسول الكريم وعلى آله وصحبه وسلم .

١ — لم أقصد بقولي « يخطئ » أن يقترف الخطيئة إذ هو يستحيل في حقه أن يرتكب إثماً أو خطيئة ، وإنما أقصد الخطأ الذي قد رفعه الشارع عنا بقوله صلى الله عليه وسلم « رفع الخطأ عن أمتي والنسيان وما استكرهوا عليه » ، كما جاء في القرآن الكريم « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » . ولقد نسي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصلى الرباعية ركعتين ، كما نسي ودخل المسجد وهو جنب ، ولم يكن ذلك نقصاً في مقامه الشريف !

٢ — لا يجهل أحد قط أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بملك إذ هو مولود من أب وأم كسائر البشر ، ويجوز عليه ما يجوز على كل بشر مما لا يقدح وينقص من مقامه الشريف ، ولا شك أن كل مسلم مهما كان جهله ، لا يقول إلا أن مقام النبي فوق كل مقام من خلق الله جل وعلا ولم يعلوه سوى المقام الإلهي جل وعلا . وأخشى ما أخشاه أن يبالغ المبالغون كل المبالغة فيخرجوه من البشرية إلى الإلهية . ولقد صدق البوصيري حيث يقول :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

٣ — ليس كل نظر ولا كل حب محرماً ، ما خليا من قصد الشهوة ، فالحب الشريف لا يقول أحد بمنعه ، ولا مجرد النظر أن يقول أحد إنه محرم !

٤ — ومن دعوى أن فعل المعصية تنفيذ للمكتوب فقط، إذ لا اطلاع لفاعل المعصية على أنها مكتوبة، وإنما قدم إليها لقضاء شهوته. ولو قدر لأحد أن يطلع على اللوح المحفوظ فيرى أن الله قدر عليه فيه أن يفعل معصية ثم فعلها بقصد التنفيذ لا بقصد الشهوة، لا شك أنه يكون في ذلك غير آثم!

وأنى لأحد الاطلاع على ما سطره الله تعالى ووقعه في علمه سبحانه!

٥ — ليكن من المعلوم أن الله جل وعلا لا يريد المعصية ولا يرضاها لقوله عز وجل «ولا يرضى لعباده الكفر»، وإرادة الله جل وعلا إنما تكون لعلم الله أزلا بما يفعله كل أحد. ولقد رتب سبحانه على كل إنسان من شقاوة وسعادة حسبما علمه الله، وأن السعيد إنما يتوجه لفعل الخير، والشقي بالعكس.

٦ — أما الغرض من قوله سبحانه وتعالى «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» إنما هو للتهديد والإنذار كقوله تعالى «اعملوا ما شئتم».

٧ — أقول إن المشيئة بعيداً عما خصه الله به وغيره هي مشيئة مطلقة فيأكل ويشرب ويتزوج ... الخ.

٨ — القصد من ذلك تحديد قدرهم، وأنهم ليسوا خارجين عن قدرة البشر، حتى يأتوا لهم ما يريدون من اقتراحات.

٩ — لا يشك أحد أن الرسل من البشر، فذكر البشرية للعلم بأنهم لا يستطيعون فوق ما يستطيعه البشر فلا يصدر من أحد منهم أن يحدث معجزة أو يأتي بها كما حصل من الملائكة.

١٠ — سبق أن قررت وأقرر، وأدين الله به، أن مقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعلوه سوى المقام الإلهي.

١١ — ليكن في معلومك أني لم أنكر الصواب لعمر رضي الله تعالى عنه إذ الصواب له الإله الحكيم الخبير، وأن موافقة عمر رضي الله عنه للقرآن الكريم فيما يزيد على ثلاثة عشر موضعاً، إنما ذلك هو مزية له، وهذه المزية لا يمكن لأحد أن يقول بتفضيل عمر على أبي بكر رضي الله عنه، فضلا عن تفضيله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن اعتقد شيئا من ذلك فهو خارج عن الدين، مارق والعياذ بالله!

١٢ — سبق أن قلت : إن كل حب ليس إثماً . فحب الرسول صلى الله عليه وسلم لزينب أو حلافها من الحب الشريف الذى لا غبار عليه ، على أنى أقول : إن الذى أخفاه الرسول عليه الصلاة والسلام فى نفسه هو إعلام الله إياه بتزوجه زينب . وليس ما أخفاه فى نفسه حب زينب ، كما ذهب إليه الكثير .

١٣ — أقول إن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتمع بالنساء ليأمرهن وليعظهن ، وقد ذكرت فى رقمى آية المبايعة وحديث الوعظ فكيف بك تجوز الموضوع وتنسب إلى ما يستحيل أن يكون منى

١٤ — أقول : إن وجود أحد يزيد على الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقتضى أفضليته عليه . وإلا للزم أن نقول إن سليمان عليه السلام أفضل لما حكمه به من إيتائه ملكا لا ينبغى لأحد بعده ، كما قال عز وجل حكاية عن سليمان « رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب » .

وأن الحديث القائل ، أوتيت قوة أربعين ... لم أذكره فى رقمى ، ولم أقل به

١٥ — قلت وأقول : إن المزية لا تقتضى الأفضلية قط

١٦ — هذا الحديث لم أذكره ، ولم أقل به . أما بخصوص سيدنا سليمان عليه السلام هو الذى حدث عن نفسه وأخبر كما جاء فى الحديث بقوله ، لأطوفن على ستين إلى أن قال الرسول صلى الله عليه وسلم آخر هذا الحديث : لو قال سليمان عليه السلام إن شاء الله لأتت كل واحدة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله ،

١٧ — أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهن أمهات أن يتمسمس

١٨ — سبق أن قررت أنه لا يلزم من النظر أن يكون مصحوبا بشهوة بهيمية ، لأن ذلك مما لا يليق به صلوات الله تعالى عليه وسلم فتخلص من ذلك أن النظر البرىء لا مانع منه أصلا ، خصوصا أنه قد أرسل إلى الخلق عامة ذكورهم وإناثهم ، فكيف لا يجتمع بالنساء ويهدى لهن ما شرعه الله لهن ؟ كيف ! والنساء نصف المجتمع ، وأولى بالعناية والرعاية والإصلاح لقصور عقولهن .

وأما قول الله عز وجل « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » مشروط بشروطه ، ومقيد بقيوده ، فالعدد محدود وشرطه الاستطاعة على النفقة ومؤن النكاح ، كما جاء فى الحديث الشريف « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة

فليتزوج . . . الخ ، وهناك شرط أهم وهو العدل بينهن في الكسوة والنفقة والقسم ، وبدون هذين الشرطين أو أحدهما : لا نكاح .

وما أستبعد أن يقصد قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء ، وهو حديث ثابت رواه أحمد في المسند ، والنسائي ، وابن ماجه ، أن يقمع من صدور العرب جذور بغضهم للنساء . فلقد كانوا يحتقرونهم كالمتاع ويئدونهن خشية العار ، حتى جاء الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالقضاء على ذلك ، وتخليص المجتمع من هذا الوباء .

١٩ — نصيحتك مقبولة على العين والرأس . ولو أنها مبنية على فهم خاطئ من جهتي ، لأن مثلي لا يجهل قيمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمته . وأن اعتقادي الجازم بأنه فوق كل ما خلق الله جل وعلا ولولاه ما كانت الدنيا . فهو النور الإلهي الذي جعله الله أصلا للبشر فصلوات الله تعالى وسلامه عليه . وسامحك الله حيث أحسنت الظن في وبجل من لا يخطئ !

٢٠ — كما ذلله ، كما تقول ، وجه إليه بعتاب عنيف به الرحيم ونبهه حيث يقول الله عز وجل ، ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، ، ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، ، عفا الله عنك لم أذنت لهم ، ، عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، إلى أن قال ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى فأنت عنه تلهى ،

فالرسول الكريم أيها الأخ الفاضل هو عبد من عباد الله الصالحين ، شرفه الله ، وجعل مقامه فوق كل مقام ، مأمور من قبل الله ، كما نحن مأمورون . ومكلف كما نحن مكلفون

٢١ — ومن نسب إلى الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينظر نظرة إثم ، أو يخون إلا المشركون المنافقون ، أما المسلمون مهما تنزلوا وقل علمهم فهم بالضرورة ينزهون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن كل ما يؤثم ! فقل لي بالله من أين جاءتك هذه الأوهام والأغلاط التي تريد أن تلصقها ببرىء مثلي ، وتحقر الرسول العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم قدره ، وتعظمه حق تعظيمه !

علي أبو صالح

١٩٧٢/٤/٩

هذا وقد حاول الأستاذ الفاضل في رده هذا التخلص مما ألصقه بنفسه ، ولم يلصقه أحد به ، ولا أردت أكثر أن ما ارتكبه زلة عابر يزول عنه بزوالها عن إصراره ،

على أن ما عابه على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطأ — كما زعم أخيراً — لم يكن خطأ ، بل هو خطيئة بأجلى معانيها ، وأفسح مراميها !

فلم يقل أحد : إن رؤية زينب بنت جحش ، وهي امرأة أجنبية متزوجة ، واشتهاءها ، والأسف على الحرمان منها ، بقوله : سبحان مقلب القلوب !

لم يقل أحد : إنها خطأ ، وليست بخطيئة .

وقد أقر الأستاذ في تعقيبه : بهذه الخطيئة واضحة جلية ، الأمر الذي دعاني إلى ما كتبته آنفاً !

وقد أصر على أن الرسول قد سها فصلى الرباعية ركعتين ، وأغفل ما ذكرته في تعقيبي من أنه لم يكن سهواً بالمعنى المعروف بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : حينما قال له ذو اليدين : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال : كل ذلك لم يكن ، أي لم تقصر ولم أنس

وقد تمسك بأن الرسول عليه الصلاة والسلام : مولود من أب وأم كسائر البشر وهذا مالا أخالفه فيه ، وإنما الذي خالفته فيه : أن هذا البشر المولود من أب وأم ، ليس كسائر البشر ، وأنه لا يقع فيما يقع فيه جميع البشر أمثالنا فكيف وقد أوقعه فيما لا يرضى ، ولا أرضى الوقوع فيه ، وهو النظر إلى ما لا يحل وتشهيه !

وهذا واضح في تعقيبه عند قصة زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها

أما ما رماني به تلميحاً من المبالغة في حق الرسول مبالغة تخرجه من البشرية إلى الإلهية : فهذا الذي أربأ بنفسي منه : متمسكاً بما تمسك به من قبل من قول البوصيري رضي الله تعالى عنه

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وقد قال البوصيري : واحكم بما شئت مدحاً ، ولم يقل قدحاً ، وقد مدحته أنا بما هو دون حقه ، في حين أن أستاذنا الفاضل قد تمسك بما يقدح في مقامه الكريم ، جرياً وراء أناس أساءوا فهم قدره العظيم الذي لا يصل إلى معرفته سوى مكمله ومبدعه تعالى وتقدس عن المثل والنظير ؟

وأزيد على ما ذكره من قول البوصيرى رضى الله تعالى عنه

دع ما ادعته النصارى . . . الخ

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

ولا أدرى ماذا يعنيه من الحب الشريف الذى وقع فيه سيد الخلق ؟

وأى حب شريف هذا ؟ أن يحب الرجل حليلة رجل مسلم . فنقول : إنه كان حباً شريفاً ، فمثل هذا الحب ، إذا صدر من عامة الناس . فما بالك بخاصتهم ، بل فما بالك بخيرة الخلق وصفوتهم ! ؟

أما ما أردت ياسيدى أن توقعنى فيه من خضم الشكوك والريبا ، التى ابتلى بعض المسلمين بها : من أن الله تعالى يريد المعصية ولا يرضاها . فهو قول مردود عليه ، من سلسلة المجادلات البيزنطية ، التى نظمها الأوائل ، فقالوا حوارا على ما قيل كيف يتم فى كون الله ما لا يرضاه الله ؟

ولا نملك حيال ذلك سوى التسليم ، و نتمسك بقول الحكيم العليم : « لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين »

وقولك إن المثلية : مطالقة بعيداً عما اختصه الله تعالى به وميزه

وردّى على ذلك : أن المولى سبحانه ، وقد اختصه عليه الصلاة والسلام مزايا نعجز عن الإحاطة بها ؟ وأنه لا يماثلنا فى شىء : إلا كونه من أب وأم ، ومن لحم ودم !

أما قولك : إن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يستطيعون فوق ما يستطيعه البشر فهو قول مردود أيضا : لأن البشر ليس فيهم من تستطيع أن يدعى العصمة لنفسه . وهم معصومون جملة وتفصيلا !

أما تصويبك لعمر ، فلم أقل : إنك الذى صوبت ما فعل ، بل أنا أعلم علم اليقين أن المولى سبحانه هو الذى صوب فعله — هذا إذا صح ما ورد فى ذلك من أحاديث

وإنما الذى عتبته عليك : هو إيرادك صواب عمر معارضا لخطأ الرسول عليه الصلاة والسلام ، إيراداً قد يسىء إلى مقام الرسول عليه الصلاة والسلام ، بل قد أساء !

أما حديث « حبب إلىّ من دنياكم الطيب والنساء . . . . » وعدم ثبوته عند الرواة : فنسا بسبيله الآن ، وإنما الذى أقصده تضافر الأحاديث على حب الرسول للنساء ، وقوته فى الجماع ، وقدرته على إتيان العدد العديد منهن فى الليلة الواحدة بغسل واحد !

كل هذا يؤيد ما ذهبت إليه وأذهب إليه دائماً من أنها مؤامرة اسرائيلية ، ترمى إلى الحط من قدر الرسول الكريم ، الذى بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ، فأرادوه متصفاً لأحط الخلال ، وأقبح الخصال !

وقد أحدث ما دبروه قضية مسلمة ، ببداهة الأمة ، وبساطة الذى لا يتهم ، وسبق أنصعها مسمى الأعداء ، وكميدهم مؤيد لإقناع !

وأما قولك : إن أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام مرهفات أن يسممن فهذا ما أوافقك عليه تمام الموافقة ، وقد سبق ما سبق منها على عدم معقولية هذا التسمع !

كما قلت : إن النظر لا يلزم أن يكون مصحوباً بشهوة بهيمية لأن ذلك مما لا يليق به صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

وأقول : كيف يكون النظر بلا شهوة ، وقد زعمت مع الزاعمين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى زينب فأعجب بحسنها ، وقال سبحان مقلب القلوب وأنها ذكرت ذلك لزوجها زيد ، فطلقها .

وقد زاد غيرك على جرائمهم سوء هذا الإفك بقوله إن الرسول الكريم طلب من زيد أن يخطبها له !

وزاد الغزالى عفا الله تعالى عنا وعنه بأن من خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام : أنه إذا رأى امرأة مزوجة فأعجبته وجب على الزوج تطليقها وتزوجها الرسول

وهو كما ترى كلام غير معقول ، وغير مقبول ، بل وهو بالكفر أشبه ،

إنسان كمحمد ، يرسله الله تعالى على أنه أمجد الأخلاق ليكون نبراساً لسائر بنى الإنسان ، فيتمشى خلف أمه ، ويتحمه فيها ، وبعد ذلك يطلب منه أن يخطبها له !

ورجل كالغزالى ، ملك ناصية العلم والفضل ، يزعم أن محمداً يجوز له أن ينظر إلى حلائل المؤمنين فيعجب بمعضهن ، ويجب على أزواجهن التخلى عنهن له !

ومثل هذا الإفك الفاضح الواضح يبقى رواجاً بين فضلاء المسلمين ، الأمر الذى يلصق بمن يصدقه الغفلة والوقوع فى الضلال ، بل الوقوع فى الكفر والعياذ بالله (انظر تأويل آية ٣٧ من سورة الأحزاب فى أوضح التفاسير) .

ومثل هذا لا يصح أن يكون تكريماً للمرأة ، وإعزازاً لها ، واقتلاعاً لجذور نعمها من القلوب ، كما قلت

وإلا فأنا على أتم استعداد لإعزاز وتكريم كل امرىء يحبه الله — من روحه وغير روحه — مثل تكريم الرسول وإعزازه ؟

وليس أنا من يقول ذلك ، أو يصدقه في أو فيك ؛ فما بالك بسيد المخلوقات وإمام الدنيا والآخرة ، وشفيع العصاة والمذنبين ؟!

أما قولك « إن أخطأت فالعصمة فيك » فهذا ما لا يقدر عندى إطلاقاً فأنت أحب للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، المعروف بقدره ، المقصر لفضله ، لولا بعض الهنات ، وتعالى من تنزه عن السيئات !

وقدرك محفوظ ، وفضلك محمود ، ويقينك لا يعتريه شك ، ولا يعتورها عوار !

أما ما نسبته إليّ من الصدق بتلك الأغلاط والاتهامات التي أخذتها منها ، فما كان لي أن ألصق بك أو بغيرك من المؤمنين خطأ ، أو اتهاما ، وإنما دافعت عن شك وقعت فيه غيرك من كبار العلماء والمفسرين الأقدمين ، وكانت عندك بقول من قال من قبل عند الله تعالى

ومن عادتي ألا أذم أحداً مهما عظم قدره ، وعلا ذكره ، ما دام يطلبني به ليصحح لي مكانا في الجحيم ، والعياذ بالله فقد وهب لى مولاي عقلا أعصم به نفسي عن القبيح ، وأعصمها عما يوقعها في الإثم ! وهو لا شك مؤاخذني عن عقله ، محاسبي عما فهمته ، لا ما نقلته ؛ وهو جل شأنه القائل « لقوم يعقلون » « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها »

وأخيراً أريد أن أهمس في أذنك ، وأنت الناصح ، صاحب العقل الراجح ، إن ديننا المتين ، وكتابنا المبين ، ورسولنا الأمين ، كل ذلك قد تعرض لهجمات أعداء الدين ، من اليهود والمشركين : فصنعوا الأحاديث ، ودسوا الأباطيل ، ودسوا في الحديث ما ليس فيه ، ونسبوا إلى الرسول الكريم ما برأ من نسبته إليه ، وللإسلام من عليه العفو ، ولا من أوسعهم ، فكيف نحرم حسنا ؟!

ونصيحتي إليك ، وإلى كل مؤمن : أن تضع موضع الشك كل حديث تركب فيه المعقول ، ولا تدع للشيطان سبيلا فتصدق كل منقول ، يخالف كل معقول ! أرشدك الله تعالى إلى ما يحبه ، ولا يؤذيك !

وشكرى لك وافراً وسلام الله عليك دائماً !



تعدد الزوجات

القرآن الكريم ، الذى أنزله الله تعالى على رسوله هدى وشفاء ، لم يدع شيئاً يصلح البشرية إلا بينه ، ولا أمراً فيه صلاح الدنيا والآخرة إلا وضحه .

وقد كان أوائل هذه الأمة رضى الله تعالى عنهم حين يحزبهم أمر ، أو يعترضهم مشكلة يرجعون إلى كتاب ربهم ، فيطيعونه فيما أمر ، وينتهون عما نهى عنه وزجر .

وقد جاء من بعدهم ناس تجرأوا على الكتاب العزيز ، فأولوه وفق هواهم ، وفسروه تبعاً لمقاصدهم ، حتى غدا القرآن الكريم – الذى لا لغو فيه ولا تأثيم – يشتمل من قضية واحدة على قضيتين مختلفتين متنافرتين !

فهذا يقول : إن الله تعالى قد أباح تعدد الزوجات ، ألا ترى إلى قوله « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » .

وآخر يقول : إن الله تعالى قد نهى عن التعدد نهياً صريحاً ، ألا ترى أنه تعالى قيده بالعدل بقوله « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » وقرر عدم استطاعة العدل بقوله « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

ولا يخفى أن مثل ذلك يجعل فى القرآن – الذى هو كلام الرحمن – تناقضاً واختلافاً ينزه عنه كلام بعض البشر فما بال خالق البشر !

وقد قال تعالى فى محكم كتابه « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وأى اختلاف أعظم من هذا اللغو الذى لم يأت به القرآن ، بل قذف به الشيطان فى قلوب تابعيه من بنى الإنسان !

فإذا ما بحثنا قضية التعدد على ضوء ما جاء به القرآن ، من غير ما تحيز إلى فئة أو انتصار لعقيدة : نجد أنه قد أباح التعدد إباحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ولا أدل على ذلك من قوله جل شأنه « فانكحوا ما طاب لكم » وهو أمر يدل على الإباحة المطلقة ، كقوله تعالى « كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً » « كلوا من طيبات ما رزقناكم » « كلوا من ثمره » . . . « فكلوا مما غنمتم » .

وحين أورد تعالى نفي العدل في قوله « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » علم أن هناك صنفان من التعدد: أحدهما تعدد مع العدل، وثانيهما تعدد مع الجور. والصنف الأخير: هو المنهي عنه من مفهوم الآية الكريمة.

يأتي بعد ذلك ما زعمه البعض — ومن هذا البعض بعض العلماء سامحهم الله — فقد زعموا أن العدل غير مستطاع بنص الآية الأخرى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »

وغاب عنهم أن هذا المعنى لو تحقق — كما فهموا — لكان تناقضاً واضحاً!

والقرآن الكريم منزه عن ذلك تنزيهاً كاملاً

هـــذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

إذ ليس معقولاً أن يقول الله تعالى [illegible] في حدود الأربع « فإن خفتم الجور فواحدة » فحسب. وعند ذلك يقول: الجور محقق في كل واحد من راغبي التعدد:

والجور غير محقق في كل من عرفوا التقى وصدقوا التنزيلا

وكان الأحرى — إذا كان هـــذا المعنى هو المقصود — ألا يذكر التعدد أصلاً إباحة أو حظراً.

أما وقد ذكر التعدد في القرآن، وأجمعت عليه الأمة الإسلامية في شتى العصور — بالقول والعمل — فقد وجب تأويل الآية القائلة بعدم استطاعة العدل، بما تأوله به أئمة الشريعة، وأساطين التفسير، الذين قالوا بأن العدل غير المستطاع إنما هو العدل في المحبة، إذ أن قلوب بني الإنسان بين يدي الرحمن يصرفها ويقلبها كيف شاء، « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ».

لذا كان الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه، يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك » يعني المحبة القلبية.

هذا وبقية الآية الكريمة، تدل دلالة قاطعة على قيام التعدد وتنظيمه، « فلا تميلوا كل الميل » عن المرغوب عنها « فتذروها كالمعلقة » التي ليست بعانس، ولا بذات بعل.

وقد تأيد التعدد من سائر مصادر الشريعة. فها هو صريح القرآن وها هو الإجماع. فإذا ما ذهبنا إلى السنة النبوية نستهديها وجدنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام « لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها، ولا على ابنة أخيها، ولا على ابنة أختها ».

ومفهوم المخالفة يقتضي جواز الجمع بين من عداهن. وقد جاء أيضاً في قوله تعالى «وأن تجمعوا بين الأختين» جواز الجمع بين من عداهما.

وقد أمر صلى الله تعالى عليه وسلم غيلان الثقفي حين أسلم وله عشر نسوة — أن يستبقي أربعاً منهن.

كل هذا يدل دلالة قاطعة، لا تقبل الشك أو الجدل، أن التعدد من بدهيات المباحات، وأن التكلم في منعه أو تحريمه يدخل تحت طائلة تحريم ما أحل الله.

وهناك نقطة هامة هي مصلحة امرأة متزوجة على أخرى أو متزوج عليها بأخرى.

فأما الأولى فلا يوجد عقد زواج إلا وأحد طرفيه امرأة تملك زمام أمرها بيدها، ولا تتزوج إلا برضاها، ووفق هواها. فإذا كان ذلك نصرها ففي وسعها ألا تتزوج بمتزوج. وإن كانت في غمرة من أمرها، ولا تستطيع أن تقوم بأودها. فقد فرج الله عليها بالزوج الذي يدفع عنها كابوس الفاقة، وذل العوز، وغائلة الجوع.

وأما الثانية التي تعتبر أن الزواج عليها فاجعة لها؛ فلا بأس من أن يسن تشريع يبيح لها طلب الطلاق. ولا أغالي إذا قلت إن شريعتنا السمحة تبيح ذلك. خاصة إذا تدلى الزوج من أعلى إلى أدنى فتزوج على الأولى من دونها حسباً ونسباً. كأن يتزوج بماجنة على عفيفة، وبخسيسة على شريفة، وبخضراء الدمن[1] على عريقة النسب! فهنا يتوفر الضرر الموجب للطلاق في هذا الزواج!

وقد روي أن بني هشام بن المغيرة ذهبوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستأذنونه في زواج بنت أبي جهل بن هشام لعلي بن أبي طالب فغضب صلى الله تعالى عليه وسلم، ولم يأذن بهذا الزواج إلا على شريطة طلاق ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها، حتى لا تطامن في كرامتها، أو تفتن في دينها وقال: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن يزوجوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي. إن ابنتي بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما يؤذيها»!

ففي هذا تفهيم أنه لا يجوز إيذاء الزوجة بالتزوج عليها بمن هي دونها حسباً ونسباً

وليس في هذا ما يؤيد من قريب أو بعيد مزاعم المنكرين للتعدد

١ — خضراء الدمن: المرأة الحسناء في المنبت السوء كما جاء في الحديث الشريف

وهب أن في تعدد الزوجات ضرراً يلحق بعضهن — كما تزعمون — فلا بد أن فيه خيراً كثيراً عموا عنه، ولم يفطنوا إليه. «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم».

فهل — يا رعاك الله — لك أن تعارض أحكام الله: «أأنتم أعلم أم الله».

هذا ويجب أن يكون التعدد بقصد الاستعفاف، لا بقصد الإسفاف أو الإسراف، ولا يكون بقصد الإضرار بالزوجة الأولى، كما كانت تفعل العرب في الجاهلية

قال شاعرهم يهدد امرأته بضرة

أكلت دماً[1] إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط[2] طيبة النشر[3]

فجعل الزواج بثانية لكيد الزوجة الأولى وغيظها. ونسي أن واجبه الأول أن يوفر لها أسباب الراحة والسعادة، لا أن يبحث عن تعستها وإشقائها، وأنه إن أحبها أمسكها وأكرمها، وإن كرهها طلقها ولم يظلمها!

فساد النفس بعدم التعدد

هذا وقد حرمت بعض الحكومات إباحة التعدد، كما تم ذلك في تونس الشقيقة، وحددوا عقوبات لمن يعدد الزوجات

وقد نتج من بشاعة هذا التحريم المجحف أنهم إذا ضبطوا رجلاً عدد زوجاته، كان عليه أن يدفع هذه التهمة بأن يزعم ويقرر أنها خليلته، ولعنت حليلته! وبذلك يخلص من عقوبة سنها أناس لا يعرفون إلى معرفة الله تعالى سبيلاً، ولا يميزون رضاه من سخطه

ولم يقفوا — في مخالفتهم — عند تعدد الزوجات فحسب، بل تدخلوا في المواريث فشوهوا نظام الله تعالى الذي لا يعدله نظام!![4]

أما ما تلوكه ألسنة الطاعنين في التعدد من فساد العلاقات بين الإخوة غير الأشقاء فهي دعوى فاسدة، فكم قد رأينا شقيقين يقتتلان، وأخوين لأب متصافيين متحابين!

١ — يدعو على نفسه بالعار [illegible]؛ وقد كانوا حين [illegible] ... [illegible] في وقت حتى [illegible] ويأكله

٢ — يكنى بطول رقبتها؛ وهو من صفات جمال المرأة.

٣ — النشر: الريح الطيبة، أو هو رائحة فم المرأة وأعطافها عند قيامها من النوم

٤ — حيث منعوا مشاركة الأعمام للبنات فيما ترك لهن أبوهن، وقد أعطاها الله تعالى في محكم كتابه.

هذا وقد غاب عن هؤلاء الطاعنين أن البلدان الأخرى التي حرمت التعدد، فشا فيها الفجور، والمخادنة، وملئت فيها الملاجئ بأبناء الزنا، والبيوت بالأبناء غير الشرعيين.

ولماذا نتعب أنفسنا في تعقيب رأي رآه خالق الناس للناس، وشرعه لهم؟ ولماذا نفاضل بين رأي بعض البشر، ورأي خالق البشر؟!

إن خالق الناس، ومن هو أدرى بالناس من الناس، قال بالتعدد، فهل يجوز للإنسان مهما أوتي من علم وفهم، أن يأتي فيقول: لا، إن التعدد نظام بغيض يقضي على المجتمع ويشتت شمل الأسرة؟!

هذا، ولا يخفى ما في تعدد الزوجات من مصلحة عظيمة، وحكمة بالغة، فإن الرجال فضلا عن زيادة عدد النساء عليهم، معرضون لنقصان مستمر، بسبب قيامهم بشاق الأعمال، وبأعباء الحروب وغيرها، وبتعرضهم للمهالك، وليس من الحكمة في شيء أن ندع قسما كبيرا من بناتنا بدون إحصان!

إن الأوروبي – مثلا – لا يبيح له دينه التعدد، لكنه يبيح لنفسه مصاحبة المئات من العشيقات.

ويرى والد الفتاة فتاته مع عشيقها فيسر ويغتبط، بل ويمهد لهما جميع الوسائل، وكأنه السل مؤدية زوجتهما، وضمنا بيديهما.

أما ذنب الدين يحرم على الرجل النظر إلى المرأة، ويحرم على المرأة النظر إلى رجل، فقد كان لزاما عليه أن يوجد لهذا الضيق فرجا، ومن هذا المأزق مخرجا: فجعل النكاح مكان السفاح، ووضع الحلال مكان الحرام! وإلا فمن للعوانس وربات الخدور؟ ألهن العهر والفجور، ولنا العفاف والطهر؟ أم لهن الجحيم، ولنا النعيم؟!
وهل من المستحسن أن يكن ضرائر؟ أم يكن فواجر؟

وقد شنع فيلسوف الإسلام المرحوم الشيخ محمد عبده على التعدد، وهي سقطة شائنة، رغم ما كان عليه رحمه الله تعالى من رأي قويم وفكر صائب.

وإذا تأملت في الشرائع الوضعية التي أبطلت تعدد الزوجات: تجدها اضطرت إلى قبول ما هو شر منه؛ إذ فتحت باب التدهور الأدبي على مصراعيه. فاضطرت إلى الاعتراف بمشروعية العلاقات الآثمة بين الجنسين، وبمشروعية الوساطة في هذه العلاقات!

١ — الفجور: الانبعاث في المعاصي والزنا، وفجر: فسق وكذب.

فانحط الدون الأدنى في المجتمعات إلى درجة أنهم يفخرون ويتباهون بما يوجب الخزي والعار! بل بما يستوجبون عليه شرعاً: الجلد والرجم، والقتل!

ثم انتهى أمر هذه الشرائع بقبول مبدإ تعدد الزوجات. ولكن تحت ستار المخادنة البغيض!

والمخادنة هذه زواج حقيقي، لكنه غير مصحوب بعقد. أي إن الرجل لا يتقيد حيال المرأة بأي حق من الحقوق، فتكون عرضة للطرد بأولادها — في أي وقت شاء، وفي أي يوم أراد — دون أن يكون لها أية حقوق عند الرجل الذي قد تكون عاشرها سنين طويلة، وأضاع زهرة شبابها، وبهجة حياتها!

لكن الإسلام — الذي كانت مهمته الأولى المحافظة على حقوق الأفراد والجماعات — شرع مبدأ تعدد الزوجات ليحمي المرأة من عدوان الرجل الظالم، فلم يقبل أن تكون في علاقاتها معه إلا على حالة واحدة، وهي أن تكون زوجة لها ولأولادها حقوق مقررة؛ لا يستطيع الرجل بحال التنصل منها، وفي الوقت نفسه حرم الزنا، والمخادنة، وجميع ما من شأنه الحط من مستوى المرأة، وإنزالها من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية!

والآن أمامنا فيما يتعلق بهذه القضية نظامان:

أحدهما يبيح تعدد الزوجات، ويحرم ما وراء ذلك من العلاقات الآثمة، ويضرب بيد من حديد على أيدي المتلاعبين بالأعراض، الخائضين في ضروب الفحشاء والفساد.

والآخر يحرم تعدد الزوجات، ويبيح سائر العلاقات الآثمة، ويجيز التلاعب بالأعراض، والخوض في ضروب الفحشاء!

قطعاً لا يوجد إنسان عنده ذرة من عقل، يختار القسم الثاني، ولا توجد نفس كريمة ترضى أن يكون حظ النساء منه كحظ البهائم العجماوات!

وفي أي دين، أو أي نظام أو أي عرف، تكون الخليلة أفضل من الحليلة؟!

ويقولون أيضاً: إن الرجل الذي يعقب أولاداً من زوجتين، يعتبر في نظر المجتمع آثماً؛ لأنه يخلق العداوة بين نسائه، والبغضاء بين أبنائه!

فهل معنى هذا أن الرجل الذي يعقب أولاداً من امرأتين إحداهما شرعية، والأخرى غير شرعية، لا يعتبر آثماً ولا يكون خالقاً العداوة بين نسائه وأبنائه؟!

والذي يدعو للعجب، أن يقوم أناس يتعصبون للمرأة، ويدعون إلى عدم التعدد،

ويصفونه بأشنع الصفات، ويصمونه بأقبح السمات مع أن النتيجة المحتمة لما يدعون إليه هي انتشار الزنا، وتفشي الأمراض وهتك الأعراض!

وهل من الإنصاف للمرأة أن يوقعوها في هذا المحيض، لتصبح زوجة مجردة من حقوق، لرجل يشغل صباها، حتى إذا فني شبابها، وأشبع نهمته، ألقى بها وبأولادها إلى حيث تستكفف الناس وقد لا تجد عطفاً عليها من الناس؟!

هذا وقد ثار في الآونة الأخيرة الجدل العنيف بين بعض السيدات المشتغلات بالكتابة، وبعض رجال المشتغلين بالقضاء، وقد كان هذا الخلاف بين الفريقين [illegible] إلى أن صار تشكو من رجل وامرأة، وأصبحت بين عشية وضحاها ترى في كل بيت خصومة ونزاعاً [illegible] كل طرف من حق له قبل الآخر

وهي ظاهرة خطيرة، يجب الوقوف عندها والحد من استفحال آثارها.

ولقد زاد من الإساءة إلى المرأة وحقوقها ما ندد به بعض الكتاب لها في آراء تخالف نصوص الدين الذي ننتسب إليه، والذي نظم علاقات المرأة والرجل تنظيماً لا يدع مجالاً لشك، أو مجالاً للاجتهاد!

والقرآن حين يعرض في بلاغته وفصاحته [illegible] وهن مثل الذي عليهن بالمعروف، فقد أثبت أن للمرأة حقوقاً مثل ما للرجل من الحب، والعطف، والرعاية، ولين الجانب، وحسن المعاملة وهي كلها صفات يجب تبادلها بين الجنسين

بل هذا تقرير المرأة، [illegible] في أحد [illegible] في أحاسيسه، ولكن حين يكمل هذه الآية بقوله الحكيم العليم: وللرجال عليهن درجة، نرى في وجوه بعضهن الامتعاض والاشمئزاز!

كيف يكون للرجل درجة، وقد خلقنا من جنس واحد ونفس واحدة؟!

وحينما ينص الكتاب الكريم — في صراحة لا تقبل التأويل أو التبديل: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، تثور ثائرة [illegible] لا أقول النساء فحسب — بل وبعض الرجال، الذين يرون في تلك المقالة [illegible] وهجراً، وما هو بالهزل ولا بالهجر، فإن سائر المفسرين والمشرعين في شتى أنحاء المعمورة قد أجمعوا على أنه لا اجتهاد مع النص

ذلك في القوانين الوضعية التي وضعها البشر المخلوقون، الذين هم كثيراً ما يخطئون ويجانبون الصواب!

لكن القرآن الكريم : وهو من لدن حكيم عليم ، غفور رحيم ، عالم بالخفيات والمكنونات ، إذا قال حكماً صريحاً فصيحاً ، جاز في نظرهم أن يجتهدوا فيه ، وأن يعيبوا عليه !

وهناك ما يسمونه بتطور المعانى ، والمفاهيم الصحيحة ، واتهام بعض السادة رجال الدين بإغلاق عقولهم دون الفهم ، وتشبثهم ببعض النصوص والأحاديث ، وضيق فهمهم

وثالثة الأثافى : أن يكتب كاتب مرموق فى إحدى المجلات السيارة بدوران الحكم مع العلة ، وجوداً وعدماً .

وهذا الرأى — إن وجد له سامعون — فإنه يؤدى حتى إلى ارتكاب كل المحرمات

فالزنا بسبب خطره وتحريمه اختلاط الأنساب ، فإذا أمن اختلاط الأنساب حل الزنا وجاز !

والخمر بسبب تحريمها غشيان العقول ، فإذا أمن ذلك الاغتيال ! حلت لنا الخمر أيضاً ، وقس على ذلك سائر المحرمات !

فالسرقة جائزة ، والربا جائز ، واغتيال الأعراض والأموال جائز أيضاً !

وهكذا يصل العصاة الطغاة من هذه القاعدة الفاسدة إلى كل ما يشتهون ويشتهون !

والقرآن الكريم حين يأمر الرجل بالعدل ، وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، فلا يعدل ويعدم الحب ، فلا تميلوا كل الميل ، فيميل ، وبالمودة والرحمة ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، فلا يواد ولا يرحم ، وبالإمساك بالرحمة — ولو كانت مبغوضة — ، فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ، فلا يمسكها كارهاً لها !

كل هذا ليس عيباً فى دين الله ، يستوجب إصلاح الدين وتعديل شرائعه ! ولا نقص فى كتاب الله يستوجب إلغاءه وتصحيح أحكامه ! إنما هو عيب فى طباع البشر ، ونقص فى خلقهم ، وفساد فى عقولهم !

فالسرقة : حرام ، وجزاؤها القطع . والزنا : حرام ، وجزاؤه الرجم . وشرب الخمر : حرام ، وجزاؤه التعزير والضرب بالنعال !

ولكن المشرع المخلوق : عدل فى أنظمة الخالق ، فخفف عقوبة السرقة بالإكرام فى السجن بالطعام والملبس والترفيه : فزادت السرقة ! وألغى عقوبة الزنا ففشا ، والخمر فزادت انتشاراً ودماراً !

فأين عيب الدين إذن ؟ وأين قصور القرآن ؟

هذا : وقد وصف المحقق نهائية بحدوثها : تطلب أن يكون لها رأى فى هذه التشريعات التى تتعلق به تعلقا واضحا ـ أليست تصف الأمة ؟ أليست تمس بهذه التشريعات ؟ أليس لها ما للرجل تماما ؟

وهكذا أصبحنا فى حال لا نعرف نظام ، ولا يعرف بها دين !

ولا يبعد أن يتحدث مدعوا آخر فى تشريع آخر ! ومرتكبوا الزنا فى تشريع الزنا ، والسراق فى تشريع السرقة !

فى حين أن الدين لا يجوز أن يستنبطه عاص منه ، والقرآن لا يفسره جاهل به !

إن من سن السنن ، وشرع الشرائع ، وقنن القوانين ، ومن هو أدرى بالخلق من الخلق : قد أباح التعدد . فهل بعد هذا يجوز لرجل ـ يؤمن بالله واليوم الآخر ـ أن يعترض هذه المزايا ، ويتبعه تلك النظم بدعوته لعدم التعدد ؟

هذا وقد ثار قوم على هذا النظام الدقيق ، ودعوا إلى سده ، وشوهوا جماله ، وعصوا من حكمه ، داعين إلى وجوب الاقتصار على واحدة ، وزعموا أن قوله تعالى « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » وقوله عز من قائل « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » نص فى عدم التعدد

وفاتهم أن قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم » هو أمر يدل على إباحة التعدد ومشروعيته ، وقوله جل شأنه « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » تنظيم لتعدد واقع فعلا ، بدليل قوله عز من قائل « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » .

وشتان بين ما سيقت الآية من أجله ، وبين ما فهمه فيها المعارضون !

ومنطق المعارضين المتعسفين منطق غريب ، لا يستقيم مع نظم الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وقد جاءت السنة المطهرة بالتعدد ، يدل على ذلك قصة غيلان الثقفى ، وما سار عليه المسلمون فى العصر الأول ، بل فى شتى العصور .

وقد تصدى لهذا الموضوع الخطير بعض العلماء ، أقول بعضهم ولا أقول كلهم لأن فيهم الشفاه لتعاه ، ومنهم حملة الشريعة ، وهداة الأمة !

وقد قال هذا المحصن قولا خالف فيه الفرق الإسلامية ، وقد أجمع عليه أئمة المسلمين وهم من عرف اختلافه !

فعلى رسلكم أيها المدعون ، فالله عليم بما تقولون وما تعملون ، وما تظهرون وما تخفون فالقرآن الكريم ، الذي يجب علينا أن نستقرئه ونستصحبه إذا حرنا في أمر أو أعوزنا دليل ، ومن سمع هدى القرآن ، فلن نضل أبداً ولن نشقى !

هذا وأول من جهر بهذا الرأي [illegible] وحيد الدين الأيوبي وكتبت عنه الجرائد السيارة ، وقد انبرى [illegible] الله تعالى للرد عليه في الجرائد ثم نشر [illegible] في جريدة ونظم قصيدة في أحمد [illegible] عليه [illegible] في عام ١٩٢٠ ميلادية ذكر فيها

أفيوجد نزر [illegible] آلاف كاتب	[illegible] التحريم والتحصيلا
وأراك أول [illegible] تعوز له	[illegible] فراغ ، إذ [illegible] دليلا
في [illegible] أباح أربع نسوة[2]	إلا خفت جوره فقليلا[3]
والجور غير محقق في كل من	عرفوا النبي[4] وصدقوا التنزيلا
ماذا عرفت من الحديث ، وما الذي	أدركت حتى تحسن التأويلا
والله قل ما المرء يعرف نفسه	واسمع ذوي الحاجات منك السؤلا
هل أنت مجتهد ؟ أم أنت مقلد ؟	أم لا ولا ؟ [illegible] رسولا ؟
أم أنت بالنص الموافق مؤمن	[illegible] ما [illegible] تعطيلا ؟
أم أنت تنصر فرقة ؟ أم صاحب	للشرع قد عاندت وضل سبيلا ؟
مهلا ولا تمرح ، فلست بخارق	أرضا ولن تبلغ الجبال طولا[5]
[illegible] أكسبني [illegible] الهدى	وأثم عشرا حين كان جهولا
قال الذي له [illegible] أرى	ودع الموافق ، فافهم التمثيلا
ما إن رأينا في البرية [illegible]	يدع [illegible] الإنجيلا

١ — وقد كان رحمه الله تعالى [illegible] أصدر [illegible] عربية [illegible]

٢ — قوله تعالى «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع»

٣ — قوله تعالى «وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة»

٤ — محمد صلى الله عليه وسلم ، [illegible] أخلاقه الكريمة ، [illegible] !

٥ — في هذا [illegible] قوله تعالى «ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا»

[illegible]

أن نحرم من الزواج أصلاً من لا يستطيع أن يقوم بأود واحدة . وهذا ما لا يقره عرف أو شرع أو دين !

ذلك لأن تقدير اليسر وعدمه متروك لأهل النفوس ؛ فهم وحدهم الذين يقدرون مدى استطاعة الزوج الإنفاق على أسرته .

والذين يتكلمون في التعدد ينظرون إليه من زاوية بعيدة كل البعد عن واقعية موضوعه ، ويصورونه في أذهانهم كأن طلاب التعدد قد اختطفوها من أمها ، وكانت محاطة بالطالبين والراغبين !

وفاتهم أن التي تقبل الزواج من متزوج قد فاتها طلاب الزواج من موحدين ، أو لم يتقدم لها الكفء ، وأصبحت عبئاً ثقيلاً على أهلها وعلى ذويها ؛ فكم من زوج عدد زوجاته ، وكان خيراً له لو اقتصر على واحدة ، فحول حياته جحيماً وأمسى صفوه شقاء ، وأمنها خوفاً ، وودها بغضاً ، ورحمتها عذاباً !

وما يدرينا : لعل خاطب الفتاة نفسه لا يستطيع أن يطعمها أو يكسوها ، ويدعو ربه صباح مساء أن يرزقه بما يغنيه عن هذا العبء الثقيل !

وقد جاء في الأثر : أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أباح التعدد مع الفقر وجعله سبباً من أسباب اليسر ، ولعل في ذلك حكمة لا نعلمها !

وأكثر من هذا : فإن محمداً عليه الصلاة والسلام قد مات ولم يشبع أهله من خبز الشعير ؛ وعنده من عدد من الزوجات فلم يكن ذلك منقصة في حقه ، أو مدعاة عن صد نفسه في الوقوع فيها !

وهل من الدين في شيء ، أو من الحكمة في شيء ، أن تظل بيوتنا هواجر من دون إحصان ، ونساؤنا عوانس بغير زوج ، في سبيل تقليد الأمم الأخرى غير المسلمة التي تقول بعدم التعدد ؟

ومن العجيب أن يقوم أناس من بيننا ، ومن أبناء جلدتنا وديننا ، يدعون إلى عكس ما يدعو إليه الدين ، بل بما تدعو إليه المسيحية والنصرانية جهاراً !

ما إن رأينا في البرية مسلماً يدع القرآن ويدعو الإنجيلا !

ويسيء إلى الإسلام أشد الإساءة ويستوجب مقت كل أهله من تلاعب بألفاظ القرآن الكريم ، لنصرة مبدأ سقيم ، ورأى تافه عقيم !

(انظر قرار المؤتمر الإسلامي في ختام مبحث تحديد النسل)

أزواج الرسول

عليه الصلاة والسلام

هذا وقد ضل كثير من سفهاء القوم، ومن أراذل الدعاة من أهل مهنة التبشير، في محمد عليه الصلاة والسلام، واتخذوا من زواجه مسبة يعيبونه عليها، ومنقصة يلصقونها به. وقالوا: إنه رجل شهوة لا يملك نفسه إلى النساء، «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا».

في حين أن زواجه صلى الله تعالى عليه وسلم يسمو بملابساته عن أحد بعينه لا يجاريه فيه إنسان، ولا يباريه فيه بشر!

ولو أراد أن يعيش في بيته كما يعيش الملوك وعظماء الرجال لكان له ما يريد من أجمل نساء العرب، وأجمل الجواري من بنات فارس والروم، اللاتي يرفلن في حلل الدمقس، ويتحلين بأفخر الجواهر، ولكان بيته كبلاط قيصر وكسرى!

كيف لا وقد كانت تحمل إليه الأموال حتى تلقى بها في مسجده، فلا يقوم وفي كفه منها شيء.

وما شغله هو وآله من حب الشهوات، وحظه من الغنى والجاه: ما قدمنا وما وصفنا!

ولم يجمع في حريمه سوى المعوزات المكتهلات اللاتي مات عنها زوجها، فلم تجد مأوى، ولا من يعولها، فعاشت في كنف غيرها من الأزواج.

ولم يكن بينهن من فتاة عذراء سوى واحدة هي عائشة ابنة رفيقه وصديقه أبي بكر الصديق «ثاني اثنين إذ هما في الغار».

ولو أردنا أن نصف ما لاقين في كنفه من التقشف وشظف العيش، لما وسعنا هذا المؤلف!

وعندما طلبت نسوة الحياة متعتها، وحاورت عنده صاحباتها، نزلت آية التخيير:

«يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً».

وقد أكرمه الله تعالى بالتوفيق إلى حسن الاختيار ، واختار دار القرار ، وقبض حبيباً : من يريد الله ورسوله !

فتمت فى ذلك السعادة ، واستوجبوا الحسنى وزيادة .

وقد تزوج — عليه أفضل الصلاة وأتم السلام — بالسيدة خديجة رضى الله تعالى عنها ولها أربعون سنة ، وهو ابن خمس وعشرين ، ولم تدعه [illegible] زواجها سوى أنها خطبته لنفسها بنفسها ، وكانت من أشرف النساء ، وأعرقهن حسباً ونسباً ! ولها — بعد ذلك — فضل السابقية فى الإسلام ، فلم يتقدمها إليه رجل ولا امرأة . وماتت وسنها خمس وستون سنة ، وكانت مدة مقامها معه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة ، [illegible] حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين .

ولم يكن وفاؤه لخديجة رضى الله تعالى عنها — [illegible] — من [illegible] الروح والنفس : فلقد فضلها — بعد ذلك — على عائشة ، وهى أصغر [illegible] وأحب إليه

فترى من هذا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قضى عنفوان شبابه ، وزهرة حياته مع خديجة ، ولم يتزوج غيرها ، وإنما تزوجها لخلقها ومعاونتها له ، ومناصرتها إياه

فقل لى ربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟!

انظر خديجة رضى الله تعالى عنها فى آخر هذا البحث

وتزوج بالسيدة سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها — وكانت تحت السكران بن عمرو ، وكان قد أسلم معها وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ومات حين قدم مكة ولو عادت إلى أهلها بعد موت زوجها [illegible] وفتنوها فى دينها ، فكفلها صلى الله عليه وسلم ، وهو الملبى الداعى للهمة والنجدة والمروءة وكانت مسنة ، ولم يكن معه غيرها ومكث معها خمس سنين إلى أن تزوج السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها فى السنة الأولى من الهجرة ، وهى التى وهبت يومها لعائشة [illegible] وصله إليها

فترى من هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج السيدة سودة إلا لإيوائها وهى [illegible] من زوجها الذى مات معها [illegible] على إيمانها وعقيدتها ، وتألفاً لقومها وقوم زوجها الذين أسلموا ونالوا صحبته صلى الله عليه وسلم

فقل لى ربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟!

وتزوج بالسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما . وكلنا يعلم من هو أبو بكر الصديق الذي كان معه « ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ولم يتزوج بكراً غيرها

وإذ علمت أنه لم يتزوجها إلا وهو ابن خمس وخمسين سنة علمت أنه لم يرد إلا مكافأة أبيها وإحكام الرابطة بينهما وقد كانت رضي الله تعالى عنها واسطة في نقل شتى الأحكام والتشريعات إلى سواد الأمة الإسلامية حتى [illegible] !

قيل لم ينزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها . ومن أفقه نساء الأمة علماً وأعلمهن لذا قال عليه الصلاة والسلام « خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء » ولو أن لمعترض مجالاً للشك في صحة هذا الحديث [illegible] أحد من [illegible] ينكر فضلها [illegible]

فهل في زواجها أي شبهة [illegible] في هذا ؟

وتزوج بالسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وكانت تحت خنيس بن حذافة ومات عنها من جراح أصابته [illegible]

وتزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم مكافأة لها ولأبيها [illegible] هذا النسب الشريف [illegible] الذي قتل في سبيل الله وهو يدافع عن الله ورسوله ودينه .

فهل في زواجها أي الشبهة [illegible] في هذا ؟

وتزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة وكانت تحت عبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنهم ، فقتل عنها يوم بدر [illegible] وتزوجها صلى الله عليه وسلم [illegible] في زوجها [illegible] وتوفيت بعد [illegible] شهرين

فهل في [illegible] في هذا ؟

وتزوج بالسيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية وكانت تحت ابن عمها عبد الله بن عبد الأسد وكانا أسلما قديماً وهاجرا إلى الحبشة ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة فمات أبو سلمة من جرح أصابه في غزوة أحد فتزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم

قيل كانت رضي الله تعالى عنها آخر [illegible] وقيل آخرهن صفية

ورد في [illegible] أنها [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] من [illegible] قصته

مصيبة فليسترجع ويقول: اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلفه الله خيراً منها. فلما مات أبو سلمة تذكرت قول الرسول عليه السلام وقالت في نفسها: ومن خير من أبي سلمة؟ رجل [illegible] بصحبه، وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم! ولكنها استرجعت وقالت. فأخلف الله تعالى لها رسوله عليه الصلاة والسلام فتزوجها وحفظها، وأكرمها!

فترى من هذا أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها لتعويضها خيراً من زوجها الذي فقدته، وكانت كثيرة الأولاد فتزوجها وآوى أولادها [illegible] على تربيتهم وتعليمهم [illegible] وليس في [illegible]

وتزوج بالسيدة زينب بنت جحش [illegible] وهي ابنة عمته [illegible] وكان قد زوجها مولاه زيد بن حارثة ليرفع من شأن [illegible] الكبير [illegible] أهلا [illegible] بني هاشم، مصداقاً لقوله تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

وقد تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد طلاقها من زيد [illegible] لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم.

وكانت تقول لنساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: زوجكن [illegible] وزوجني الله من فوق سبع سموات.

وقد زعم المغرضون في هذه القصة [illegible] سيد بني آدم ولا فخر [illegible] ذلك العصر [illegible] للإسلام وملأوا بها [illegible] كتب التفسير.

(راجع آية ٣٧ من سورة الأحزاب في [illegible])

وقد كان [illegible] إذ [illegible] بعد طلاق [illegible] لخطيب [illegible] لا [illegible] إلى [illegible] الأحرار [illegible]

فقل لي ربك: أين الشهوة وليس إلى [illegible]

وتزوج بالسيدة جويرية بنت الحارث وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقي وقد قتل كافراً يوم المريسيع، وأخذت سبية حين [illegible] بني المصطلق. وكانت سيدة بني المصطلق وبنت سيدهم. فأعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها، فلما سمع المسلمون بذلك أعتقوا ما في أيديهم من سبي بني المصطلق وقالوا: هم أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فأسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم وحسن إسلامهم!

فترى من ذلك أنه لم يكن له [illegible] سوى رغبته في إسلام قومها، وقد أنقذها من الأسر وأعتقها من الرق، وأعزها من الذل!

فهل في ذلك أثر للشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

وتزوج بالسيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وقيل اسمها هند، وكانت تحت عبيد الله بن جحش، وقد هاجرا إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر زوجها، ومات بالحبشة، وثبتت هي على إسلامها وأبت أن تتنصر معه، وخالفته، واختارت الإسلام عليه، فأتم الله تعالى لها الإسلام، والهجرة، والصحبة، وأكمل لها الشرف بزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم!

ويروى أن أباها [illegible] قدم المدينة فدخل عليها، فلما ذهب ليجلس على الفراش طوته دونه فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت امرؤ نجس! فقال: لقد أصابك بعدي شر! فقالت: بل خير! وقد خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم من ملك الحبشة حتى يمنع انقطاعها وقطع تغربها. فهل في ذلك أثر الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

وتزوج بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير من اليهود مع بني قريظة، وكانت تحت سلام بن مشكم القرظي ثم تزوجها كنانة بن أبي الحقيق، وقتل عنها يوم خيبر، وأخذت صلى الله تعالى عليه في الأسرى، فخيرت بين عودها إلى قومها، وزواجها للرسول فاختارت خيرها الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم، وتزوجها رغبة في إسلام قومها اليهود، وقد أسلم كثير منهم. فهل في ذلك أثر الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

وتزوج بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية بعد وفاة زوجها، وهي آخر من تزوج وسلم صلى الله عليه [illegible] خمسين سنة وقد زوجه إياها أهلها، وتأليفاً لقومها. وقد أسلم بسبب هذا الزواج كثير من قومها منهم ابن أختها سيف الإسلام خالد بن الوليد الذي كان حرباً عواناً على الإسلام، فأصبح حرباً ضروساً على أعداء الإسلام!

فهل في ذلك أثر الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

ولا خلاف في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم توفي عن تسع نسوة

وفي ذلك يقول الشاعر

توفي رسول الله عن تسع نسوة … إليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة ، وصفية … وحفصة ، تتلوهن هند ، وزينب

جويرية ، مع رملة ، ثم سودة … ثلاث وست ذكرهن مهذب

ويتضح مما تقدم أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، تزوج بإحداهن إلا لأسباب [illegible] ومقاصد أخروية ، لا تمت إلى الشهوة بسبب ، ولا تتصل إلى الميل للنساء بصلة !

هذا عدا أن هناك حكمة لهذا التعدد من أجل الحكم ، وهي نشر الأحكام الخاصة بالنساء ، والتي لا يستطيع معرفتها الرجال ، كالطهارة ، والحيض ، والنفاس ، والولادة ، والرضاع ، إلى غير ذلك من الأحكام التي لا يستطيع إفهامها للنساء ، على الوجه الأكمل — سوى النساء .

ولا يمكن بحال أن تقوم بمهمة تبليغ الأحكام [illegible] على اختلاف صفاتهم في دقة الحيض [illegible] امرأة واحدة [illegible] من عدة [illegible] ما أراده الله تعالى من إظهار نوره ، وبسط شريعته !

وقد ثبت أن أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] علماً وفقهاً !

ولو كان صلى الله عليه وسلم يريد [illegible] الأمراء [illegible] ليس غير [illegible] والكواعب الأتراب [illegible] هؤلاء الثيبات المكتهلات !

فهل بعد هذا للمشركين [illegible] أن يقولوا عنه صلى الله عليه وسلم إنه شهواني يميل إلى النساء ؟!

في حين أن في دياناتهم ومعتقداتهم ما تنزه الأسماع عن ذكره [illegible] الإسلام [illegible] فسبحان من هدانا لدين الحق ، دين النور [illegible] الفطرة ، وأظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون !

وفضلاً عن ذلك : فلم تكن علاقته عليه أفضل الصلاة وأتم السلام [illegible] بزوجاته كعلاقة أي زوج مهما دنا ، بأي زوجة مهما علت !

فقد عاشرهن العشرة الطوال ، فلم تفلت من لسانه الكلمة النابية ، بل بحكمته وقوته [illegible] على قوته الخطيرة [illegible] الخطرة !

وما من رجل — بالغ ما بلغ من المروءة والرفق وسعة الصدر [illegible] إلا واستحال رضاه إلى غضب فى ساعة ما ، وبدا منه التبرم والتضجر إزاء تصرف [illegible] ، وبدرت منه بوادر الشر ، وندر السوء حيال عمل ما !

وسكن الرسول [illegible] الذى أوتى جوامع [illegible] وبعث ليتمم مكارم الأخلاق

الرسول الذى أرسل من البشر ليعلى من أقدار البشر ويرفع من شأنهم [illegible] ويسمو [illegible] لم يكن كذلك !

ولم يكن هذا منه — عليه الصلاة والسلام — [illegible] ، أو ضعفاً [illegible] كان كلالاً وكلالا !

فإن الضعف الإنسانى [illegible] أقوى من [illegible] ، وأكمل من [illegible] الكمالات ، وهو [illegible] مقياس للعظمة الإنسانية فى أجل صورها وأرفع مراتبها !

فإن من يقهر نفسه [illegible] ، ليتغلب [illegible] لا طاقة له [illegible] ولا [illegible] له عن غضب الليل والنهار [illegible] سوى [illegible] من الله !

[illegible] شىء واحد [illegible] وهو من الخطورة بمكان — وهو أن [illegible] يروى عن الطاهر المطهر صلى الله عليه وسلم أنه قال [illegible] حبب إلىّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة .

وقال أيضاً [illegible] أعطيت [illegible] فى البطش والجماع .

وهذا كما [illegible] مردود [illegible] لا [illegible] محال نسبته لسيد النبيين ، وإمام المتقين !

[illegible] رويت [illegible] الأحاديث فى [illegible] الصحيح [illegible] — وأسندت فى كل [illegible] — [illegible] إلا [illegible] ، والجزم ببطلانها !

يقول الله تعالى [illegible] فى [illegible] زين للناس حب الشهوات من النساء ، [illegible] للرسول عليه الصلاة والسلام القول بحب النساء ، وأنه أعطى قوة أربعين فى إتيانهن !

[illegible] هذا اليوم المبشرين فى [illegible] على الرسول صلوات الله وسلامه عليه — بأنه شهوانى يميل إلى النساء [illegible] ويحاولون [illegible] بأكاذيب الحجج [illegible] بأفسد البراهين على صحة زعمهم [illegible] وصدق [illegible] وينسب للرسول ويفترى عليه ما لم يقله ، وما هو مبرأ من أن يحس به ، فضلاً عن أن يجهر بذكره ، ويقوله على ملإ من أصحابه ، الذين يرون فيه المثل الأعلى للأخلاق الفاضلة والخلال الكاملة !

الرسول المطهر المطهر، يجلس بين صحابته ويقول : « إنى أحب النساء، وإنى أعطيت قوة أربعين فى الجماع؟! »

يا لها من فرية يضطرب لها القلب ويتصدع منها حتى لا نحتملها — أيها المنصف الحكيم — ودع خطلاتها بين من تعرف، هدى الله وإياك فيه الرشاد والسداد!

وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم[1]، وتلين له أشعاركم وأبشاركم[2]، وترون أنه منكم قريب[3]، فأنا أولاكم به. وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه بعيد عنكم، فأنا أبعدكم منه ».

فمن هذا يعلم أن ما تقدم من الأحاديث وأمثالها، لا يجب الأخذ بها ولا التعويل عليها؛ لمخالفتها للكتاب والسنة، بل ولآداب الأمة أيضاً.

(١) تعرفه قلوبكم : أى تطمئن إليه، ولا تنكر معناه، ولا تستوحش من معناه اهـ
(٢) الأبشار : جمع بشرة؛ وهى ظاهر جلد الإنسان
(٣) قريب : أى لأفهامكم وأذواقكم وآدابكم

أم المؤمنين خديجة

رضي الله عنها

لقد تزوج الرسول الكريم — صلوات الله تعالى وسلامه عليه — خديجة رضي الله تعالى عنها، وهي الكبرى بخمسة عشر عاما، ومكثت معه خمسة وعشرين عاماً، حتى لحقت بربها مزودة بدعائه لها، وحزنه عليها، وأسفه على فقدها!

وقد لاقت معه من الصحبة في عصر ... من جمالها الذي طبع في قلبه الشريف، وأشرقت به نفسه الكريمة!

فالحسن في الحقيقة حسن الروح والنفس، لا حسن الصورة والحس

فكم من امرأة بهية الحسن، عدا عليها سوء الخلق، فصحت مقتاً وهجراً!

وكم من غيداء وحسناء تجيش بعدها دلالاً واختيالاً، بدّد زوجها أقبح من القبح، وأبشع من بشاعة ما يرسمه لسهم من سوء!

لكن خديجة — رضي الله تعالى عنها — وقد جعلها مولاها نموذجاً للزوجة الصالحة الكاملة، وأضفى عليها من كريم الخصال وبديع الخلال ما جعلها فوق كل سمو وعلا بها فوق كل علو!

فقد ظل — صلوات الله تعالى وسلامه عليه — حافظاً لعهدها وودها، مقدراً لحسن قدرها!

لم تحدثه نفسه الكريمة بالتزوج عليها، مع قدرته عليه، وتيسر له

وما كان ذلك إلا لسبب واحد، أنها زوجة التزوج وأوضح معالمه!

لم تكن خديجة زوجة له فحسب، بل كانت له أماً، وعوناً، وعضداً وسنداً

كانت تعلم حقيقته حق العلم، فآمنت به وبدعوته، وأكبرت جهده، وأيدت دعوته،

ولم تشغله عن التفرغ لواجب حياته!

لقد كانت تشعره دائماً بالحب مع الرضا، وأنه من قلبها وعينها، وأنه المثل الأعلى في كل ما يعمل، وكل ما يدع!

وكان يكرمه كذلك: فتصدقه هي ، وبالعون في سعيه ، فتسبق في إكرامه !

وكلما ازداد عنت المعتدين ، وتشكك المشككين ، ازدادت رأفته ، وحنوّ عليه وحباً ، وتصديقاً له !

وبقدر ما بالغت في تكريمه ، بالغ المولى سبحانه في إكرامها ، حتى بلغ من علو قدرها ، وسمو فضلها ، أن نزل جبريل عليه السلام ، قائلا : يا محمد أقرئ خديجة من ربها السلام ،

فأى فضل هذا ؟ وأى تكريم خص به المولى سبحانه خديجة : الزوج الكريمة ، للرسول الكريم التي عاشت معه طوال حياتها لم تخدش شعوره ، ولا تعكره ، ولا تكدره بأى شيء - مهما صغر - ولم تخالفه في أمر من الأمور ، فيما هي تلك المخالفة ، بل كانت تبادر لما يريد من غير قول ، وإلى ما يرغب ، من غير إشارة !

فكانت الطائعة الموافقة ، التي لا يهمها إلا ما يهمه ، ولا تشغلها إلا ما يشغله ، ولا يسرها إلا ما سره !

ترى مباهج الحياة ومسراتها في إرضائه ، لا في إرضاء نفسها !

كل هذا جعل من خديجة رضي الله تعالى عنها خير زوجة على الدرج السابق واللاحق

واجب كل زوجة

وهذا الذي فعلته خديجة هو في الواقع واجب كل زوجة مسلمة ، ترغب في رضا زوجها ، ومرضاة ربها ، وترغب أن تحيا حياة سعيدة في الدنيا والآخرة

متى يمنع التعدد .

بعد ذلك ، كان لزاماً على الزوج الذي وهبه الله تعالى مثل هذه الزوجة أن يجتنب التعدد — وهو الذي أحله الله تعالى — وإلا كان كافراً بنعمة الحب ، مستهيناً بأنعم الله تعالى عليه !

ومن أجل ذلك منع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه تشريعاً لأمته زواج علي كرم الله وجهه على فاطمة الزهراء ، خير النساء ، وبنت خير الخلف ، ونعمة خير الخلق أجمعين !

متى يجوز التعدد

أما لو اشتغلت الزوجة عن زوجها بمتاع الدنيا الزائل ، وزخرفها الباطل ، والتحديد

الغيرة عليه ؛ كان عليها أن تتحمل في حياتها ما يتعبها ويتعبه ، في حدود ما رسمه الإسلام ، من نظام لا يتطرق الشك إلى مزيد حكمته ، وعظيم نفعه : وهو التعدد .

والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام — بعد موت خديجة ، وبعد هجرته إلى المدينة — تزوج عدداً من فضليات المؤمنات ؛ لم تبلغ إحداهن خديجة : في طاعتها معه ، وحبها له ، واستكانتها لأوامره ، وسعيها إلى طاعته : فيما طلب وما لم يطلب !

تزوجهن جميعاً : لا لحسن ، ولا لمال ، ولا لجاه . وإنما لأسباب كلها إنسانية واجتماعية ، وبوحي من ربه ، وإلهام منه

ولم يكن التعدد منه بطراً ، أو سعة في المال ؛ كما يفعل الكثير اليوم . فقد روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أنها قالت : « كان يمر علينا الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال ؛ ثلاثة أهلة في شهرين ؛ وما يوقد في أبيات رسول الله نار للطعام » .

كما روي أيضاً : « لقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ ولم يشبع أهله من خبز الشعير » .

كل هذا حصل في بيوت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو خير أهل الأرض والسماء !

ولاقى نسوته الكريمات شظف العيش ، وهن خير من أنجبت حواء !

كل هذا والمال موفور لديه ؛ والفيء يملأ مسجده الشريف ، حتى ليضيق به ؛ فلا يقوم من مكانه حتى يوزعه جميعاً . ولا يبقى لنفسه منه إلا ما يسد الرمق ، ويبقي الحياة !

وكان قوام حياتهن جميعاً — على ما فيها من ضيق — طاعة الزوج ، وعبادة الله ، حتى لقين الله تعالى ، وهو عنهن راض ، ولهن مكرم !



الطلاق

يقول الله تعالى ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ وقد أراد قوم — غفر الله تعالى لهم — أن يقيدوا الطلاق ، ويجعلوه بيد الحاكم لا بيد الرجل ؛ وهم بهذه القولة يتركون الإسلام ؛ ذلك الدين الكريم السمح ويعودون بنا إلى المسيحية التي تلزم الرجل بإمساك زوجته : كارهاً لها ، مبغضاً لعشرتها ، منتهياً هلاكه للخلاص منها !

ومن عجب أن الشرائع التي أخذت بمنع الطلاق : تلاقي من ذلك ضيقاً وأي ضيق ، وعنتاً وأي عنت ؛ ولا يجد متبعو هذه الشرائع متنفساً لما هم فيه ، سوى الهم والسكوت فيظل الزوج يمسك زوجته الفاجرة على هون ! وتظل الزوجة في كنف زوجها الفاجر الباغي على أذى !

فكم من مآس تمس الأعراض والأنساب ، وكم من جرائم تهدم الأخلاق والمقدسات ، وكم من فساد يفشو ، وكرامات تهدر !

فقد يحصل بين الزوجين ما يسمونه فراقاً جسمانياً ، وهو أمر تقره الديانات المسيحية وحدها !

وقد قصدت هذه الديانات بذلك تأديب الزوجة بالهجران لأمد قصير ، ولكنه قد يطول حتى ينهي حياة أحد الزوجين ، أو كليهما !

وقد شرعت الديانة الإسلامية ذلك التأديب أيضاً ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ وهذا الهجر : يعتبر أوسط التأديب — بين الوعظ ، والضرب — ولكن الهجر في الإسلام : لما كان يستتبعه الضرب ، فالطلاق ، فالتزوج بأخرى : كان تأديباً نافعاً ناجعاً !

أما في الديانات المسيحية ، فلا يعقبه شيء ما ، اللهم إلا أن يضرب الزوج رأسه بالحائط ، أو يشرب ماء المحيط إن شاء ؛ فلا هو يستطيع تسريحها والزواج من غيرها ، ولا هي بمستطيعة التخلص منه ، والتزوج من غيره !

فيلح عليهما داعي الجسد ، الذي أودعه الله تعالى في كليهما كما أودعه في كل كائن حي — وحينئذ يدأب الزوجان على التحلل من ذلك الضيق بأبسط الحلول الحيوانية : فيتخذ الزوج خليلة مكان الحليلة ، ولتتخذ الزوجة خليلاً مكان الحليل !

ويصبح هذا الإجراء مهما اصطبغ بصبغة شبه رسمية ، هو بالخلال والمساح أشبه

فيصطحب الزوج عشيقته فى المجتمعات والمنتديات ، والحفلات الرسمية ، وغير الرسمية ، وتصطحب الزوجة عشيقها أيضاً فى مثل هذه الحفلات !

وقد يلتقى الإثنان — أو الفريقان — فلا يقابل أحدهما الآخر إلا بالتحية ، والمودة ، والابتسام ؛ وقد تنتج من هذه العلاقات الآثمة ذرية وأبناء . فلا يضيق هذا المجتمع الراقى بهم ؛ بل تعترف بها قوانين الدولة ، بغير ما تثريب أو لوم !

وهكذا تنقلب العلاقات التى ربطها الله تعالى برباط محكم وثيق من الود والرحمة والروحانية ، إلى علاقات آثمة تعافها أحقر الحيوانات !

وتصبح هذه العلاقات — التى لا تقوم على أى أساس من الدين ، أو الآداب العامة — وقد أقرها المجتمع ، لأنه يرى فيها أنها نتيجة حتمية ، لعلاج حالة اجتماعية !

هذا وقد سجلت المحاكم الأجنبية قضايا يندى لها الجبين خجلا ، وتتأذى منها الأسماع والأبصار ، وهى تجل عن الحصر

فى ذلك[1] أن رفع أحد الأزواج قضية طلاق ضد زوجته التى خانته مع زوجها السابق ، مطلقها ، خيانة زوجية تستوجب فى شريعتنا الإسلامية السمحة الرجم بالأحجار ، حتى تنقطع الأعمار !

وقد اعترفت الزوجة أمام القضاء بتلك الخيانة ، غير أن محاميها دفع التهمة عنها بأن الكنيسة لا تعترف بالطلاق الأول ، وبالتالى فإنها لا تعترف بزواجها الحالى ، وبذلك تكون الجريمة قد وقعت فى ظل سماحة الدين الذى يحرم زواجها من زوجها الحالى وبذلك يكون المجرم هو الزوج المجنى عليه والبرىء هو الجانى بل الزانى !

فلم يسع المحكمة إلا الحكم بالبراءة ، ولعل الزانى الآن قد رفع دعوى مدنية ضد الزوج يطالبه فيها بتعويض عما ناله من أذى فى سمعته الأدبية ، ومكانته الاجتماعية !

وهكذا ساءت أخلاق الأمم غير المسلمة ، وانهارت مقوماتها ، وانحطت مثلها العليا ، وانطمست فضائلها ! ولم يجدهم علمهم الضخم ، وأدبهم الجم ، ومنظرهم الفخم ! ولم ينفعهم ما هم فيه من عيش رغيد ، ونعيم أكيد ! بل صاروا بهذه الأخلاق كالرمم البالية والذئاب العاوية !

---

(١) نشر هذا الخبر بجريدة الجمهورية ، عدد ١٩ فبراير سنة ١٩٥٧ (العدد ١١٥٦) .

ولم يمنعهم سكنى الدور والقصور ، ولبس الملابس الزاهية ، وركوب المراكب الفارهة[1] !

وأصبح الأعرابي : العاري الجسم ، الحافي القدم ، ولد الصحراء ، قاطن الكوخ ، أصبح يزهو بأخلاقه ، ويتيه بسيرته ، ويستمسك بعصبيته ، ويعجب بزوجته : التي حفظته في حضوره وغيبته ! وهو إن أحبها : أمسكها وأكرمها ، وإن كرهها ، طلقها ولم يظلمها !

ونظام الطلاق في الإسلام : هو الواحة التي يستظل بها كل من لفحته سموم الشحناء ، وأحرقته سموم البغضاء ! فمالنا به وتقييده !؟

وكيف يمسك إنسان إنسانة وهو لها كاره ولعيشها قالٍ ؟

ولم لا يسرحها ، فتتزوج بمن تحبها وتحبه ، ويحرص على راحتها وتحرص على راحته ؟ أم نعلق الإنسان للإنسان ، « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

والطلاق ضرورة اجتماعية : ينادي بها كل من له قلب يفقه به !

فتعالى الله الذي جعل لعباده من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ، وأعد لهم - وهو أدرى بهم من أنفسهم - ما يصلح دينهم وآخرتهم !

وإلا فخبروني بربكم : كيف يكون الحال والمآل ، إذا قال الحاكم للزوج : أمسك عليك زوجك ، وقال الزوج : لا ، لا ... هي طالق ، هي طالق ، هي طالق ! فهل تبقى معه كما يقول الله تعالى « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » ، أم يمسكها على هون رغماً عنه ؛ كما أمره الحاكم ؟!

وقد قال تعالى - بعد ذكر الطلاق - « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » « ولا تتخذوا آيات الله هزواً » .

وكيف يعطي القاضي حقاً ، منحه الله تعالى للزوج وحده دون غيره . فقد سمى الزوج : الذي بيده عقدة النكاح ، فكيف يعطي الحاكم عقدة النكاح ، بعد سلبها ممن أعطاها الله تعالى له في محكم كتابه ، وصريح آياته ؟!

وقد شرع الله تعالى الطلاق لحكمة عالية ، وأغراض سامية ، ومقاصد شريفة : لأنه متنفس الزوجين ؛ إذا ساءت العشرة ، ودامت المضارة ، وتكدر صفو الحياة ، وانقطعت الألفة ، وزالت حبال المودة ، ودب البغض في قلب كليهما ، واشتد الجدال ، واحتدم الخصام ، وهبت أعاصير الشقاق ، وطلب الوفاق فلا وفاق !

---

(1) الفارهة من الدواب : حسن المنظر ، جيد السير .

وما المخلص للزوجين : إذا كانت طباعهما متنافرة ، وميولهما متباينة ، أو كان أحدهما فاسد الخلق ، لئيم الطبع ، سيء العشرة ، بذيء اللسان ! ؟

أليس الطلاق : هو الدواء الناجع لتلك الآلام ، الشافي من هذه الأسقام ؟

ولولاه لعم الفساد ، واختل الأمن ، واعتديت الأرواح ، وفشا الانتحار ، وهجرت الأوطان ، وذاع الفسق والفجور !

وقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »

وجاء عن عمر رضي الله تعالى عنه ، أنه قال لرجل طلق امرأته : لم طلقتها ؟ قال لا أحبها . فقال : أوكل البيوت تبنى على الحب ؟ أين الرعاية والذمم ؟!

وقد أوجب الإسلام على الزوج ملاينة زوجته ، وملاطفتها ، وموادعتها ، ومعاشرتها بالمعروف ، وأخذها بالحسنى ؛ حتى تطيب نفسها ، ويطمئن قلبها !

كما دعاه أيضاً إلى الصبر على ما يكره منها ، ووعد له الخير الكثير ، والثواب العظيم ! قال تعالى : « فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

فإن اضطر بعد كل هذا إلى ولوج باب الطلاق ؛ فليفعل غير آثم ، ولا باغ ، وليتبع حدود الله تعالى « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

ومن عجب : أن تقوم زمرة من مثقفي هذه الأمة فينعون على الطلاق ، بزعمهم أن سائر العقود : لا يصح أن تفسخ من طرف واحد ، دون إرادة الطرف الآخر . وهي كلمة حق أريد بها باطل !

إذ أن عقد الزواج بني على إرادة الزوجين للزواج ؛ وعلى أن يكون الزوج وحده بيده عقدة النكاح ، وأن له وحده حرية فسخ العقد .

وهذا كلام لا يقبل الجدل ؛ ولا يختلف فيه اثنان من ذوي العقول !

إن أوامر هذا الدين ؛ لا تقبل تأويلا ولا تحريفاً . فقد أكمل الله تعالى لنا ديننا ، وأتم نعمته علينا ، ورضي لنا الإسلام ديناً « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » فإما الطلاق كما شرعه الله تعالى في دينه الذي ارتضى لنا ، ونظمه رسوله عليه الصلاة والسلام . وإما نصرانية صريحة يأباها الدين ؛ ولا يقرها المسلمون « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

« ينظر قرار المؤتمر الإسلامي في ختام مبحث تحديد النسل »

تحديد النسل

أو تنظيمه

يقول الله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » فهو وحده — جل شأنه — الذي يتولى زيادة المواليد ونقصانها ، ويهيىء السكون لها ، وقد خلقه وأبدعه ، وأعد له ما يصلحه وينفعه ! « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » واختياره وإرادته ! فكم من أنثى لا تلد : مع توافر الأسباب ، والرغبة في الإنجاب . وكم من أخرى تلد فوق ما ولدت ، وتنجب فوق ما أنجبت !

وقد تكون الأولى في سعة ، والأخرى في ضيق ولكنه تقدير الحكيم العليم ، الذي يعلم ما لا نعلم ، ويرى ما لا نرى ، « وكل شيء عنده بمقدار » .

وإنه لمن الكفر الصراح ، أن نعتقد أن الله تعالى الذي لا تحمل أنثى ولا تضع إلا بعلمه يتركهم بعد وضعهم وشأنهم للجوع والضياع . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » !

وقال جل شأنه : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » وقال عز وجل « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

والدليل في الآية الأولى . التخلص من الأولاد . لفقر واقع فعلا « من إملاق » . وفي الآية الثانية . التخلص منهم ؛ لفقر لم يقع . ولكنه متوقع « خشية إملاق » .

وفي الآيتين : نهي عن القتل . والقتل : ليس مما يدعو إليه القائلون بتحديد النسل وقد رد كثير منهم على من يحتج بهاتين الآيتين

ولكن غاب عنهم أن فيهما نهي عن القتل ؛ مع إيراد السبب الدافع إليه .

والقتل في ذاته : قد يكون مرغوباً فيه : إذا كان دفاعاً عن العرض أو النفس فوجب أن ينظر إلى السبب الدافع إليه ، وهو خشية الإملاق

ومن المعلوم أن خشية الإملاق — كما سنبين في هذا البحث — إنكار لقدرة الله تعالى ، وإظهاره جل شأنه بمظهر العجز عن كفاية ما خلق !

فى حين أن من بين عبيده من يتكفل بإطعام بعض مخلوقاته ، ويقوم بكفالته خير قيام .

وليس من المعقول أن يكون من بين مخلوقات الله تعالى : من هو أقدر من خالقه وأصدق منه وعداً !

وقد كانوا فى الجاهلية يقتلون أولادهم من الفقر ، أو خشية الفقر ؛ وهو كفر لا يعدله كفر ! وينطوى تحت جرم قتل الأولاد جرم هو منه أفدح وأشنع ، وهو جرم الكفر بالله ، وعدم الثقة بوعده الحق ، وقوله الصدق !

وقد قام فى هذا الزمان أناس ينادون بتحديد النسل نتيجة عدم كفاية المواد الغذائية ، والمواد الأولية ، لحاجة سكان الكرة الأرضية ، الذين هم فى ازدياد مستمر .

ولما أعوزهم الدليل ، وضاق بهم السبيل قالوا : إنهم لا يعنون تحديد النسل — بمنطوقه ومفهومه — بل يعنون تنظيمه ؛ وغاب عنهم أن التنظيم الذى يريدونه ؛ هو التحديد الذى يعدلون عنه — بل وأشد منه قبحاً ومنكراً وذلك لأن التنظيم فى النسل بالذات يقتضى سد الحاجة بالمنع أو الإعطاء ، فإذا ما افترضنا جدلاً حاجة السكون إلى التزايد فمن فى مكنة مخلوق أن يتحكم فى هذا النقص بالزيادة ؟!

والإجابة على هذا السؤال لا تقتضى سوى النفى المطلق !

وهنا لا يكون أمامنا سوى التحكم بالمنع والعصيان ! وهو التحديد الذى تهربون منه !

فإذا ما تمشينا معهم فى تحديدهم أو تنظيمهم ، فها هم محدد أو منظم ، وعدد ما من الأولاد ما يكفينا ويرضينا ولكنا فى أن يحدد ... من إنسان قادر على تحديد ... ! وهذا العصيان لا يعدو ... وهب الله تعالى ... وقضيناه وقضانا به !

فدلونى أيها المحددون المنظمون على هذا ... ، ولن تجدوه ، بل ولن تتوهموه ! ولكنه القدر المتصل ، هو الذى يحفظ ، وهو الذى يزيد ، وهو الذى ينقص ، وكل شىء عنده بمقدار .

وفوق كل ذلك فإن السعى فى تحديد النسل أو تنظيمه : ما هو إلا مظهر من مظاهر معاندة الخالق سبحانه وتعالى التى أصبحت فى العصر الحديث ... ديدناً لمن يدعون العلم ، وما هم بعالمين !

وكثيراً ما تجنح النفس إلى عدم التفكير فيما يجاوزه ويعصيه ؛ وتنكر كثيراً من أفعاله الحكيمة المحرمة ! وتنفر نفسها رحمة لخيفته ، وتأمله لعدده !

فقد عاندوه في الرزق فأعجزهم ، وعاندوه في العلم فتحداهم ، وها هم يعاندونه في نقضه مكرهم !

ولا أدل على ذلك من إحصائيات المواليد ، حيث لا تدخل أحد مستشفيات الولادة إلا وتجد الكثرة الغالبة من الوالدات قد ولدت توأمين أو ما يزيد !

وجاءت بذلك الأخبار تترى في شتى البلاد التي قالت بالتحديد أو دعت إليه ، حتى بلغ ما تلده المرأة في المرة الواحدة : خمسة توائم !

وإليك بعضًا من هذه الأنباء : فقد نشرت جريدة الأخبار في عددها الصادر في يوم ١٠ يناير عام ١٩٦٨ أن امرأة ولدت أربعة توائم رغم تناولها حبوب منع الحمل !

ونشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر في ١٩ يناير سنة ١٩٧٣ الخبر التالي تحت عنوان :

« تلد للمرة التاسعة رغم حبوب منع الحمل »

« وضعت سيدة استرالية في الثلاثين من عمرها ، مولودها التاسع ، رغم محاولاتها المستميتة بحبوب الحمل .

وقد استخدمت في محاولاتها سبعة عشر نوعًا مختلفًا من حبوب منع الحمل كما أجرت جراحة للعقم » .

فثبت من هذا أن الله تعالى بالغ أمره ، وأنه جل شأنه جعل لكل شيء قدرا ،

وهنا نذكر قول الرءوف الرحيم ، ذي القلب السليم ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه : « ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة » !

وقد ثبت أن حبوب منع الحمل هذه خسارة متلفة ؛ فما أجدرنا بالإيمان بالله والرجوع إليه ، والتسليم لما أراده بعباده وقدره لهم !

هذا وقد أذاعت وكالات الأنباء رأي صفوة من كبار أطباء العالم في حبوب منع الحمل وأضرارها البالغة ، وأن في إحدى المستشفيات بلندن ٢٧٥ سيدة مصابات بتجلط في الشرايين ؛ نتيجة لتناولهن حبوب منع الحمل .

كما صرح طبيب مصري ، من كبار أطباء الولادة ، الدكتور إبراهيم مجدي ،

صرح بالأضرار المترتبة على تعاطي حبوب منع الحمل ، وأنها تتسبب في التأثير على الغدة النخامية ، والغدة الدرقية ، والغدة فوق الكلية

وهذه الغدد لها أثر فعال في تنظيم نمو الطفل وتنظيم التحام العظام

وأن تعاطي هذه الحبوب : مجازفة بحياة النساء !

وأن من الواجب الامتناع عن تعاطي حبوب منع الحمل بكافة أنواعها ؛ حتى لا نقع في مضاعفاتها في المستقبل .

وأن من أضرار هذه الحبوب التي ثبتت فعلا :

١ — أضرار بالغة في الجهاز العصبي ، وغثيان ، وعسر هضم ، وقيء .

٢ — اختلال في وظيفة الطمث ، ونزف في مدة الحيض ، وانقطاعه لمدة طويلة

٣ — ظهور شعر حول الذقن !

٤ — تزيد نسبة تشحم في الجسم ، وتسبب سمنة مفرطة

٥ — اختلال في تفاعل الأملاح في الجسم مما يحدث عنه احتباس ورشح مائي في الجسم

٦ — تسبب في تشويه الأطفال الذين يولدون (١)

وهذا في الواقع قل من كثر ... ومع ذلك ينادي ويلح بوجوب تعميم تعاطي هذه الحبوب الفتاكة خشية حدوث انفجار سكاني ، تعقبه مجاعة !!

والقول بما يقولونه هو إحدى الكبر ، إذ كيف نقحم أنفسنا في أمور ليس لنا عليها سلطان ، وما لنا بها طاقة ، ولا نحيط بها علما . أليس الله معنا ، يسمعنا ويرانا ويعلم سرنا ونجوانا ، ومتقلبنا ومثوانا ؟

أليس هو الذي يرزق الطير في وكناتها ، والوحش في فلواتها ، فتغدوا خماصاً وتروح بطاناً ؟!

أليس الله تعالى هو القائل : « وخلق كل شيء فقدره تقديراً » ، وهو جل شأنه القائل « وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » .

هل بعد هذا القول — الصادر ممن يملك الخلق والتقدير ، والإبقاء ، والإفناء — يجوز لمخلوق حقير — لا يملك قوت يومه ، بل لا يملك من قطمير — هل يجوز لمخلوق عاجز

---

(١) من حديث صحفي لشركة الجرائد في جنيف

أن يجابه مولاه العلى القوى ، ويقول له : لقد أسأت التقدير ، وأخطأت التدبير ، فلم تعد الأقوات التى أخرجتها ؛ كافية للناس التى خلقتها !

وهو تعالت قدرته "تقدّس" ، وما كنا عن الخلق غافلين ،

وهل يجوز إذا قال أحد ملوك العصر : لقد درت لشعبى قوته ، وأمنته غائلة الجوع والعوز

هل يستطيع أن يقوم فى وجهه أحد رعاياه ، فيجابهه بالمخالفة ، ويسفه رأيه ، ويطعن فى تنظيمه ؟

فإذا كان هذا لا يجوز ، مع تبين خطأ الملك وفساد تدبيره ، فكيف يجوز أن يجرؤ بقولنا هذا الحكيم العليم ، القوى الغنى ، خالق الخلق [illegible] ، ومخرج الأقوات ، ومبدع الكائنات ، ومدبر الأرض والسموات ؟!

ومن العجيب أنهم يقولون : إن العالم عرضة لانفجار سكانى عنيف ، يخافون منه القول إنما قد تقدمنا فى الحضارة ، ولكن هذه الأمم [illegible] ما قدمت إلا احتياجاً بدليل أن أغلب هذه الأمم تعيش ببعض محصولات من الأمم المتخلفة ، وتلجأ فى كل من الأحيان إلى إلقاء بعض محاصيلها فى البحار

وأين الانفجار السكانى المزعوم ، وما هى أرض الله واسعة [illegible] منها مشارقها .

وكيف يجوز لنا أن [illegible] هذه الحجة الواهية ،

وهل الانفجار السكانى المزعوم سيكون فى غفلة من الله تعالى !

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، !

وهذه الأمم نفسها حين تقول بتحديد النسل [illegible] عن طريق أنابيب الاختبار ، زاعمين أنهم سيتحكمون فى هيئة الجنين وفى صفاته وأخلاقه ، تعنى أنهم سيتفوقون عما يصنعونه عما صنعه الله !

وثالثة الأثافى ، وداهية الدواهى ، أن يقوم وزير مسئول ، فينادى بتعقيم الرجال للحد من النسل !

والتعقيم هذا [illegible] أشبه ، وهو زعم أنه تغيير لخلق الله ، ملعون من يأتيه ، أو يأمر به ، بنص الحديث الشريف

وهو بدعوته هذه « يتابع إحدى الدول المتأخرة » غير الإسلامية ، وقد عقمت خمسة ملايين من شعبها ، وهي في سبيل تعقيم عشرات الملايين من شعبها البائس ، الذي أهلكته الكوليرا والطواعين ! وهو لا يزال يرزح في موجات المرض والهلاك ، لعدم تقدم حركته !

وهذه النزعة : إن صح أن تشيع في البلاد العربية — التي تميزت بالإلحاد والمادية — فلا يجوز بحال أن تنشر وأن تشيع في البلاد الإسلامية التي تميزت بالإيمان والروحية

وهل يجوز أن نؤمن بأن الله هو « الخلاق » ولا نؤمن بأنه تعالى هو « الرزاق » ؟

وهو جل شأنه في معرض الامتنان والإحسان « واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم » فبان لنا من ذلك : أن القلة ذلة ، والكثرة عزة !

فكيف نستبدل العزة بالذلة ، والكثرة بالقلة

ويقول الله تعالى « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات » فنقول : دعونا من الحفدة والبنين فلسنا لهم مطيقين !

ويقول أيضاً « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » فنقول : وأين هذه المعايش ؟ وأين هذا الرزق ؟

قال الله تعالى « الله الذي خلقكم ثم رزقكم » فأسمع الخلق مرزوق !

وقال أيضاً « نحن نرزقهم وإياكم ... نحن نرزقكم وإياهم ... كلوا واشربوا من رزق الله ... إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين »

فإذا ما استمعنا إلى هذه الآيات البينات ، قلنا بلسان الحال والمقال ، أين الرزق ، وأين الرزاق ؟ لقد كسد الحال ، وكثر العيال !

فإذا ما استمع مؤمن إلى هذا الهراء ، الذي هو أشبه بالكفر ، بل هو الكفر نفسه ، قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » لقد حق علينا الهوان ، وبؤنا بالخسران

والقول الفصل في هذا ، ما أشار إليه الذكر الحكيم بقوله « أفرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ؟

وأعقب ذلك بقوله « أفرأيتم ما تحرثون ؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » ؟

وأعقبه أيضاً بقوله « أفرأيتم الماء الذي تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » ؟

كل هذا يقوله الخالق الرازق، الحكيم العليم. فما يزيدهم إلا كفراً وعناداً: من أين نرزق؟ من أين نأكل؟ من أين نطعم أبناءنا وحفدتنا؟

وهذا نزغ من الشيطان نعوذ بالله تعالى منه. «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا».

لقد تكفل الله بأرزاق ورزق أبنائنا وحفدتنا ودوابنا «وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها» «وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم».

ولله در الخليل بن أحمد حيث يقول:

إن الذي شق فمي ضامن ... للرزق حتى يتوفاني

وقال آخر:

وما مجاهدة الإنسان موصلة ... رزقاً، ولا دعة الإنسان تقطعه

قد وزع الله بين الناس رزقهم ... لم يخلق الله من خلق يضيعه!

وهل علك الإنسان رزق نفسه إذا حدد النسل، أو منع نفسه منعاً باتاً؟ «إن الله لذو فضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون».

وماذا يكون الحال وحتى في عهد [illegible] التي تجمع إحداها ملايين الألوف من البشر؟ بل ويزعمون أنها ستغني العالم في خططه. ساء ما يحكمون.

ماذا يكون حال الأمم التي حرمت التعدد، وحددت النسل؟

وها هي الأمم التي أكثرت من الحروب تشكو كثرة النساء، وقلة الرجال و[illegible]

«وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»... «إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون».

وقال تعالى: «ألم نخلقكم من ماء مهين. فجعلناه في قرار مكين. إلى قدر معلوم. فقدرنا فنعم القادرون. ويل يومئذ للمكذبين».

وما دعا إلى هذه النزعة سوى الجحود والكنود، وسوء الظن بالله تعالى، وتوهم أن أبواب فضل الله قد أغلقت! وحاشاها أن تغلق في وجه مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر!

وقد جاء عن رسول الإسلام، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، حين سئل عن العزل: «إنه الوأد الخفي».

وحين سأله بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ وقد عزلوا مع بعض السبايا[1] : غضب غضباً شديداً ، وقال : « وإنكم لتفعلون ، وإنكم لتفعلون ، وإنكم لتفعلون ؟ ! ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة : إلا هي كائنة » وفي رواية : « لا تفعلوا فإنما هو القدر »[2]

هذا وقد وردت بعض أحاديث تؤيد جواز العزل ، وأن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه لم ينه عنه . وهي أحاديث يجب تأويلها لمعارضتها لما قدمناه من الأحاديث الصحيحة ، وإذا لم تؤول . فيكون لها مقاصد أخرى سامية ؛ ليس من بينها تحديد النسل

وكيف يكون في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ما يدعو إلى تحديد النسل ؟ وهم حينذاك قلة ؛ تنوشهم الأعداء من كل جانب ! ؟

كيف يدعو إلى العزل من يقول بصريح القول ؛ في شتى الأحاديث « تزوجوا الودود الولود ؛ فإني مكاثر بكم » ، « تناكحوا تناسلوا تكثروا ؛ فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة » .

كيف نرغب عن سنة الرسول [illegible] في التكثير وهي عزة . وندعو إلى القلة ؛ وهي ذلة ؟

وإذا كان مناط بحثنا خشية التكثير في النسل للفاقة ؛ فإنه يقوض ما قدمنا ويهدم من عماد ذلك الرأي ؛ فكم قد رأينا إنساناً لم يرزق من زينة الحياة الدنيا سوى ولد واحد ، وهو — مع فيض رزقه ، وسعة عيشه — لم يستطع أن يتم تعليم هذا الولد الواحد ، أو يتم تثقيفه وتهذيبه !

وبعد ذلك يتركه عالة على المجتمع جاهلا ، خاملا عاجزاً

وكم قد رأينا رجلا [illegible] تحيط به الفاقة ، ويجتاحه الفقر المدقع — وقد وهبه الله تعالى من البنين والبنات عشرات ؛ فإذا بهم بمعونة من الله زينة كل مجتمع ، وبهجة كل محفل : علما ، وأدبا ، وفضلا ، ونبلا !

والذي قلناه . هو الواقع الثابت . الذي يحس به كل من حدد ، ومن لم يحدد . ومن قال بالتحديد ، أو لم يقل به .

هذا وقد أورد الغزالي — رضي الله تعالى عنه — في كتابه الإحياء : ما فهم منه بعضهم جواز العزل وبالتالي جواز التحديد وهو فهم خاطىء [illegible]

---

(١) ولا يخفى أن السبايا : ليس لهن [illegible] من حقوق

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه : صفحة [illegible] من جزء ١٠ طبع المطبعة المصرية

قال الغزالى : ومن الآداب ألا يعزل ، بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث ، وهو الرحم ، فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهى كائنة ، هكذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الرجل ليجامع أهله ، فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكر ، قاتل فى سبيل الله فقتل » .

وأشار الغزالى إلى أن ترك النكاح أصلا ، أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج : ترك للأفضل ، ولو أنه لم يصل إلى حد التحريم لأنه لم يبلغ بعد حد جناية الإجهاض والوأد ، لأنها جناية على موجود حاصل

وأول مراتب الوجود : وقوع النطفة فى الرحم ، واختلاطها بماء المرأة ، واستعدادها لقبول الحياة

وأن إفساد ذلك جناية قطعاً ، فإذا صارت النطفة علقة ومضغة كانت الجناية أفحش ، فإذا نفخ فيها الروح ، واستوت الخلقة : ازدادت الجناية تفاحشاً !

وجميع ما تقدم : لا يتم إلا بترتيب ، وتنظيم ، وتقدير إلهى : يسير وفقاً لحاجة الكون الماسة إليه ؛ فليس لكائن من كان أن يقول : إن حاجة الكون قبل الآن كانت ماسة والآن غير ماسة ، بل يجب على الكل التسليم بأن الحكمة فيما تم ، والخير فيما كان !

وإذا لم يكن طلب التحديد مكروهاً من حيث إنه دفع لوجود الولد ، فلا شك أنه مكروه مرذول : للنية الباعثة عليه !

إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة ، يشوبها من كل جانب شوائب الشرك الخفى !

وكل ما قاله الغزالى فى هذا الباب لا يؤدى إلى ما ذهب إليه المفترون عليه

بل قصر قوله على أن أسباب العزل خمسة .

١ — فى السرارى ٢ — استبقاء جمال المرأة ٣ — الخوف من كثرة الحرج ، بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة إلى التعب فى الكسب .

وعقب الغزالى على هذا السبب الأخير بقوله

نعم إن الكمال والفضل : فى التوكل من الثقة بضمان الله تعالى ، حيث قال « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » ، ولا جرم : فيه سقوط عن ذروة الكمال ، وترك الأفضل .

ولكن النظر في العواقب ، وحفظ المال وادخاره — مع كونه مناقضاً للتوكل — لا نقول : إنه منهي عنه .

والغزالي بقوله هذا — يعترف اعترافاً صريحاً بأن هذا العمل مناقض للتوكل

ومتى كان العمل مناقضاً للتوكل : فهو حرام قطعاً !

قال تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أي كافيه

فمن أعرض عن التوكل فقد تخلى عن كفاية الله تعالى له !

وقال جل شأنه : « إن الله يحب المتوكلين » ومتى كان الله تعالى يحب المتوكلين ؛ فإنه يكره من عداهم .

ومن ترك التوكل فقد فارق حب الله تعالى له !

وقال عز من قائل : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » « إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين »

فظهر لنا أن عدم التوكل . قرين عدم الإيمان بالله

وذكر الغزالي في السبب الرابع : الخوف من الأولاد الإناث ، لما يعتقد في تزويجهن من المعرة . وقد ذم الغزالي هذا السبب

وقد ذكر في السبب الخامس : امتناع المرأة لتعززها ، ومبالغتها في النظافة ، والتحرز من الطلق والنفاس ، والرضاع .

وذم الغزالي ذلك ، وقال : إنه كان من عادة نساء الخوارج ، وأنها بدعة تخالف السنة !

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من ترك النكاح مخافة العيال ؛ فليس منا (ثلاثاً) » .

« انتهى قول الغزالي »

ومن أعجب العجب : أن تتصدى بعض العلماء لهذه المسألة ، ويؤلفون فيها كتباً تحمل الخطأ المزري ، والجهل المردي ! ويبحثون فيها عن هذه الأفكار الفاسدة الكاسدة ، وهم بما يكتبون : لم يريدوا وجه الله ، بل هو ضرب من ضروب النفاق . عافانا الله بمنه عن ارتكابه ، أو الأخذ في أسبابه !

وقد قلت في التحديد أو التنظيم :

ويقولون : محمد [illegible] قلتنا خرافة … وكيف نجود الخير يأتي به الرب[1] ؟!

فقالوا : عظيم [illegible] فقدنا [illegible] … وكيف يكون النصر ، [illegible][2] ؟!

فقالوا بأن الرب قد شح رزقه ! … فيا ويلكم أين المطاعم والشرب ؟

وأين عطاياه [illegible] الكروم ، [illegible] … [illegible] وأين نخل ، والتين والقضب[3] ؟!

وأين جنان [illegible] فوقكم … ويا ويلكم أين الفواكه والأب[4] ؟!

حسبتم على الدنيا [illegible] زعمكم … [illegible] كما قلتم ، وزاد به الكرب !

فعودوا إلى الدين ، يجود عليكم … ويأتيكم الرمان ، والتمر ، والعنب !

وتوبوا [illegible] … من الرزق ما جادت به شمس والسحب !

فيا ويلكم ماذا دهاكم ؟ وما الذي … تريدون من شعب أصابه الرعب !

تعدون رباً [illegible] ، ومهيمناً ، … [illegible] ، وسلامكم حرب !

كفرتم رزق الله ، [illegible] … إذ [illegible] ، وإن [illegible] عب !

ومن تخافون الورع ، أو [illegible] … إذ ما نحن [illegible] الأخ والترب !

ومن توقنون [illegible] ، أو تسمعونه … إذا ما [illegible] الكريم ، ولا نحو !

[illegible] : كما راح الدعي بظلامه … [illegible] ، وبعدكم قرب !

لقد قلتم قول اليهود : إنما … فقير ; ونحن الأغنياء ، [illegible][5] !

إذا قيل : هذي جنة الخلد فادخلوا … أبيتم ، وإن قيل : الجحيم ، فهل تأبوا !

ومن أعجب العجب أن أجهزة الإعلام في مصر ، [illegible] وجوب تحديد النسل ، و[illegible] دليلاً بذلك من المعركة التي نحن فيها ، [illegible] هذا العام .

فانظر معي ولتعجب مما يقول

المعركة التي تحتاج إلى الرجال [illegible] إلى [illegible] هؤلاء الرجال !

ولا أزيد على ذلك

(١) من مادة [illegible] ; أي [illegible] ، [illegible] ، ولفظة شر [illegible] فقد وضعا ذلك [illegible] عما لا [illegible]

(٢) كما أن [illegible] لا [illegible] على [illegible] ، كذلك [illegible] لا [illegible] على [illegible] .

(٣) القضب : [illegible] ، ومن [illegible] ; وهو كل [illegible] ، و كل حرب [illegible] ، وهو أيضاً : ما يسقط من أعالي [illegible] ; [illegible]

(٤) الأب : مرعى الدواب ; من [illegible] ، أي قصده

(٥) قال تعالى « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » وذلك قول اليهود ، قاتلهم الله !

يقول المولى [illegible] الخالق البصير الخبير «واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم»
وعن يقول : «واذكروا إذ كنتم كثيراً [illegible]» .

أعيثونا ياذوى العقول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] في [illegible]
[illegible] الوهاب !

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ربه ، ويتبع [illegible] شيطانه !

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، ولنعرض [illegible] [illegible] !

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الممالك والأقطار ، ليستطيع
[illegible] أمام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله سبحانه [illegible] [illegible] [illegible] !
ويحاول جاهدين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !

ومن [illegible] [illegible] في هذه [illegible] [illegible] [illegible] قول الله تعالى «إنا كل شيء خلقناه بقدر»
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأسماء [illegible]

و[illegible] [illegible] [illegible] المولى سبحانه [illegible] أحاط [illegible] فلا حول ولا قوة إلا بالله !

[illegible] [illegible] الحق سبحانه وتعالى «يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور
أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً» ، ومن [illegible] أن [illegible] لا تكون
إلا في خير محض ، ولا يجوز أن [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ما [illegible] الله تعالى في كتابه الكريم بمعنى الهبة : هو خير محض [illegible] [illegible]
«الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل و[illegible]» [illegible] «ووهبنا له إسحق و[illegible]»
«ووهبنا له من رحمتنا» [illegible] [illegible] [illegible] «لأهب لك غلاماً زكياً» [illegible] «رب هب لى
من لدنك ذرية طيبة» [illegible] «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» .. «وهب لنا
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» .

أما [illegible] فقد يكون خيراً ، وقد يكون شراً [illegible] الخير قوله تعالى : «وهو الذى
جعلكم خلائف الأرض» ، «وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين» . [illegible]
الأنهار تجرى من تحتهم» . «وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس» .

ومثال الشر قوله جل شأنه : «فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة» [illegible] «فجعلهم
كعصف مأكول» .

فقوله تعالى : «ويجعل من يشاء عقيما» يقتضى الشر المحض ؛ إذ لا يوجد إنسان

ـ يمكن تعداده وعده ... يمنى أن يكون عملا مقطوع الصلة ... اللهم إلا إن كان من أنصار التحديد

فكيف نحاول جاهدين — بإرادتنا المحضة — أن نمنع منة الله تعالى لعباده ، أو أن نوقفها ونحد من نمائها . وقد أحاطها المولى الكريم الحكيم بسياج منيع يحد من نقصها أو قتلها . فأى حل من خالق . وعز من رازق ، أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، وقد ثبت علمياً أن عدد الجراثيم المنوية التى يتمكن منها الجنين ... تبلغ مئات الملايين ، فى حين أن الجنين يتولد من واحدة ليس غير من هذه الجراثيم !

فانظر يا رعاك الله وهداك إلى حكمة مولاك وتدبيره فى إيجاد الكائنات

ونحن الآن فى عصر العلم الذى يزعمون أنه رمز للعصور ... نريد عقولنا وحدها أن نهدم ما ... الله تعالى من تدبير الكائنات والمخلوقات ، وهيهات هيهات ، أن نحارب خالق الأرض والسموات !

فيا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم ، وتكفل بأرزاقكم ، ولا تقحموا أنفسكم فيما ليس لكم به علم ، وادعوا الله تعالى : « لا يكل أحدكم إلى نفسه فيهلك » ، واذكروه كما هداكم ورزقكم من الطيبات ، وفضلكم على العالمين !

ولا تقحموا فى هذا الحديث ، « ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم . إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم » !

وتذكروا قول الحكيم العليم ، الرؤوف الرحيم : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » !

ونريد أن نهمس فى آذان من يقولون بالتحديد : أن ما يبعثه الله تعالى من نسل : لم يكن مستهلكا فحسب ، بل هو منتج قبل أن يكون مستهلكا !

ولكن قلة الكياسة ، وسوء السياسة ... حدت بكم إلى الدعوة لما تدعون إليه !

ونختتم هذا البحث بما بدأناه به ... من قول البارئ المصور ، الحكيم العليم : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار » ، وقوله جل شأنه « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » .

فإذا كان المولى جل شأنه يعلم — على إنشاء وإرادة — ما تحمله كل أنثى فى أرحامها .

وما تسببه تلك الأرحام من محنة بسقوط الأجنة وما قد يسببه من تعدد الأجنة في الرحم الواحد، بولادة واحدة، «التوائم».

وجميع ذلك مقدر بمقدار معلوم لديه، تقتضيه الضرورة وتستلزمه الحاجة والمصلحة وتهيئه من شأنه — كما لا يخفى — سابق لأمره!

وإذا كان ذلك كذلك، فمن أعلم من الله؟ ومن أخبر منه بحاجة مخلوقاته وكائناته؟!

والقول بتحديد النسل هو منتهى سوء الظن بالله، واليأس من قدرته وعدالته!

قرار المؤتمر الإسلامي

هذا وقد كان المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٥ والذي جمع أكثر من مائتي عالم من مختلف الدول الذين يمثلون شتى المذاهب والطوائف الإسلامية. كان المؤتمر للدفاع عن هذه العقيدة، تعدد الزواج وحرية الطلاق، وتحديد النسل، على تقدير جميعها كما بينا من تعاليم الدين، ومن صلب العقيدة الإسلامية! فضلا عما يترتب من تضييقها وتحديدها من أضرار اجتماعية! فقد كان المؤتمر للدفاع عنها، وقد دافع الله تعالى عنها في محكم كتابه، ودافع عن المدافعين عنها، لاتصافهم بالإيمان «إن الله يدافع عن الذين آمنوا».

وقد كان قرار المؤتمر كافياً شافياً، لم يدع شكاً لمتشكك، أو مغمزاً لغامز!

وهاك نص هذا القرار السليم الحكيم بعنوان «شئون الأسرة والشباب».

أولا — بشأن تعدد الزوجات:

يقرر المؤتمر أن «تعدد الزوجات» مباح بصريح نصوص القرآن الكريم، بالقيود الواردة فيه، وأن ممارسة هذا الحق متروكة إلى تقدير الزوج، ولا يحتاج في ذلك إلى إذن القاضي.

ثانياً — بشأن الطلاق:

يقرر المؤتمر أن «الطلاق» مباح في حدود ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وأن طلاق الزوج يقع دون حاجة إلى إذن القاضي

ثالثاً — بشأن تحديد النسل

يقرر المؤتمر ما يلي :

١ — أن الإسلام رغب في زيادة النسل وتكثيره ، لأن كثرة النسل تقوي الأمة الإسلامية اجتماعياً واقتصادياً ، وحربياً ، وتزيدها عزة ومنعة !

٢ — إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل فللزوجين أن يتصرفا طبقاً لما تقتضيه الضرورة ، وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه[1]

٣ — لا يصح شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه !

٤ — أن الإجهاض بقصد تحديد النسل ، أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا الغرض ، أمر لا تجوز ممارسته شرعاً للزوجين أو لغيرهما[2]

ويوصي المؤتمر بتوعية المواطنين ، وتبصيرهم بحقيقة ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل

ولا شك [illegible] في هذه الخاتمة أن [illegible] العلماء القادمين من شتى الأقطار الإسلامية ، [illegible] ولم يخرجوا في آرائهم عما حددته الملة السمحاء ، [illegible] أمتهم [illegible] خير الأمم [illegible] ، ما لك خير الدنيا والآخرة

أما من شذ في رأيه ، أو اتبع هواه في نفسه [illegible] إلا ما وسع عيسى ابن مريم — عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام — حيث قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »

(١) وقد أريد بالضرورة المرض الذي يعجز [illegible]

(٢) أريد بالوسائل التي تؤدي إلى العقم [illegible] وقد [illegible] ضررها ، [illegible] كثيرون



التبرج والسفور

يقول الله تعالى «يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين(1) عليهن من جلابيبهن(2) ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً»(3).

وهو أمر صريح لسائر نساء المؤمنين وبناتهم بإرخاء جلابيب لستر سائر الجسم حتى لا تعرف المرأة: من هي؟ وما شكلها؟ وما هيئتها؟ ولتعرف ذلك السنة بينها وبين الإماء، وليبتعد عن إذايتها المرتاب ومن في قلبه مرض!

والمراد أيضاً في هذه الآية إدناء الجلباب والخمار، وهو من باب ذكر البعض وإرادة الكل، وإلا فالجلباب بغير خمار لا يمنع من التعرف بالمرأة، إذ أن وجهها ينم عليها. يؤيد هذا المعنى قوله عز من قائل «وليضربن بخمرهن على جيوبهن»(4).

ويقول الله تعالى أيضاً «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم»(5) وكيف يتوفر غض البصر؛ وقد انتشرت النساء في الطرقات والمنتديات، كاسيات عاريات، لا يحجبهن عن الأنظار سوى غلالة من هواء؛ تزيد في فتنتهن، وإغرائهن! وكما أن تحريم الخمر: لا يبيح صنعها؛ فكذلك تحريم النظر لا يجوز الحث عليه، والتشويق إليه. وكيف يغض البصر غاض، وقد امتلأت الطرق والحوانيت بالكاشفات عن النحور، والثدي والصدور؟ اللهم إلا إذا أغمض عينيه، وأسلم نفسه ورجليه للمقادير، فتتقاذفه الأحداث، ويحيط به الموت وأسبابه من كل جانب! وهذا أمر يخرج عن حد التكليف المعقول المقبول «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها».

وإثم ذلك لا يقع على هؤلاء السافرات المتبرجات وحدهن؛ وإنما إثمه واقع على أشباه الرجال الذين يكفلونهن، ويقرون هذه الفتنة وهذا الفجور!

(1) «يدنين» أي يرخين. يقال: أدنيت ستري: أي أرخيته.
(2) الجلباب: ثوب يستر جميع البدن، وقيل هو المقنع.
(3) آية 59 من سورة الأحزاب.
(4) آية 31 من سورة النور. و«الخمر» غطاء الرأس. و«الجيب» فتحة الثوب من جهة العنق.
(5) آية 30 من سورة النور.

وليس معنى هذا أن نبيح للرجال النظر للأجنبيات، ما دمن سافرات، بل إن غض البصر من ألزم اللوازم، وأفرض الفرائض، بل هو في مقدمة الخلال الكاملة، والأخلاق الفاضلة، وكيف يسلم الإنسان الكامل نفسه للشيطان، ويدع بصره يرديه في العصيان وما أحسن قول الشاعر:

لواحظنا تجني ولا علم عندها وأنفسنا مأخوذة بالجرائر(1)

ولم أر أعمى من نفوس عفيفة تصدق أخبار العيون الفواجر

ومن كانت الأجفان حُجّاب قلبه أذنّ على أحشائه بالفواقر(2)

ولا عبرة بما قاله بعض من الشعراء الماجنين، الذين لا يميزون حلالا، أو حراما، بل يسيرون وفق هواهم: مخالفين بذلك مولاهم!

فمن ذلك قول بعضهم:

إني امرؤ مولع بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه إلا لذة النظر

وقول الآخر:

أمتع في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرما

وأي إثم أكبر من اتباع الحسن، والتلذذ بالنظر؟ وقد نهى الله عن النظر أصلا!

وأي محرم أفحش من إمتاع ناظريه، في روض المحاسن التي حرمها الله تعالى عليه

ومن المعلوم أن النظر بريد الزنا!

ومثل هؤلاء الذين أحلوا ما حرم الله، كمثل من يسرق فاكهة من بستان غيره، ويقول: ما ألذها وما أحلاها، وما أشهى منظرها وطعمها(3).

وكأنهم لا يرون حرجا في ذلك، لأنه في اعتقادهم هو الفعل المباح الذي لا عقاب عليه

في حين أن الله تعالى نهى عن النظر نهيا صريحا فصيحا: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾.

(1) الجرائر: جمع جريرة، وهي الذنب والجناية.

(2) الفواقر: جمع فاقرة، وهي الداهية [illegible]

(3) وجه المقابلة: أن السرقة حرام، والنظر حرام أيضا، [illegible]

وقال أحد الحكماء: من طاوع طرفه: تابع حتفه!

وقيل: إن الشافعي رضي الله تعالى عنه — وقد كان يلقي دروساً على طلابه بالمسجد الحرام — أتاه شاب فأعطاه ورقة؛ فقرأها الشافعي وكتب عليها رداً لما جاء بها وانصرف الفتى. فقال بعض الطلبة: لابد أنها فتوى نستفيد بالاطلاع عليها. فأسرع بعضهم وراءه، وقال له: بالله عليك أرنا ما أفتاك به الإمام.

فأراهم ورقة مكتوب فيها:

سل المفتي المكي: هل في تزاور   وضمة مشتاق الفؤاد جناح؟

وقد كتب الشافعي بخطه — على الورقة — إجابة هذا السؤال:

أقول: معاذ الله أن يذهب التقى   تلاصق أكباد بهن جراح!

فعجبوا من ذلك أشد العجب — وحق لهم أن يعجبوا!

كيف يبيح الشافعي ذلك؟ وهو من هو: علما وفقها، ودينا وتقى!

فجمعوا للشافعي رضي الله تعالى عنه متسائلين:

لقد رأيناك يا سيدي منذ قليل تكتب فتوى لسائل. فما هي؟

قال: سألني هل يجوز له تقبيل امرأته وهما في الصيام؟ فأجبته بالإيجاب

فقالوا له: ولكن لم تصرح له بذلك

قال: قد فهمت سؤاله، وأجبته عنه

فعادوا إلى الفتى، فسألوه: ماذا كان يقصد من سؤاله؟

قال: سألت الإمام عن جواز تقبيل امرأتي ونحن في الصيام فأفتاني

فازداد عجبهم لمزيد فهم الشافعي، وعمق فطنته وسماحته!

لكن بعض الشعراء شوهوا حسن هذه القصة وجلالها. وما احتوت عليه من فقه، وكمال، وأدب. فرووا البيتين

سل المفتي المكي هل في تزاور   وضمة مشتاق الفؤاد جناح؟

فقال: معاذ الله أن يذهب التقى   تلاصق أكباد بهن جراح؟

في حين أنهم بذلك قد حرفوا المعنى والمبنى، وأساءوا للدين والأخلاق!

هذا وقد حد الله تعالى حدوداً يجب على المؤمنات ألا تتجاوزها . فقال عز وجل ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن ، أو بني إخوانهن ، أو بني أخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء[1] ﴾

وهذه الأصناف التي أبيح للمرأة عدم إخفاء زينتها عليهم ، لا يصح تجاوزهم إلى غيرهم ؛ فكيف يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتعدى حدوده ، وتنتهك محارمه ، وتبدي زينتها وما وراء زينتها لرجال حرم الله تعالى عليهم النظر إليها ؟!

هذا وقد أخذ كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في تأويل هذه الآيات بأخذ الشدة لعلمهم أن النساء يتعدين فيما يسمح لهن به ، ويتجاوزن الحدود المرسومة لهن . فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : تغطي المرأة حتى لا يظهر منها سوى عين واحدة تبصر بها . وقال الحسن رضي الله تعالى عنه : تغطي نصف وجهها .

وقد ذهبوا إلى وجوب ستر الوجه والكفين أيضاً ، وأن يبدين من جسمهن عيناً واحدة فحسب .

ودليلهم على هذا قول الحكيم العليم : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » .

ولا أدل على التعرف على الإنسان من وجهه ، فوجب ستر وجه المرأة تطبيقاً لهذه الآية الكريمة .

ودخل نسوة على أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ، وعليهن ثياب رقاق[2] فقالت عائشة : « إن كنتن مؤمنات ، فليس هذا بلباس المؤمنات ! وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعن به » .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في وصف ما نراه الآن : « نساء كاسيات عاريات[3] » .

(١) آية ٣١ من سورة النور .
(٢) أي تلك الثياب الرقاق التي يلبسها نساء اليوم من ... لا تحجب ما تحتها ، حتى إن المرأة تبدو كأنها عريانة ؛ لا يحجبها حاجب ، ولا يسترها ساتر !
(٣) أي مكسوات اسماً ، وعاريات فعلاً ، أو المقصود عاريات من الإيمان .

مائلات مميلات ، رءوسهن مثل أسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها !

وهل بعد بلى الإيمان ، والحرمان من الجنات ، يقوم إنسان فيدعو لهذا السفور من هذا الفجور ! ؟

وقد قام أناس — عفا الله تعالى عنهم — بالدعوة إلى السفور والحض عليه ، وذم الحجاب الذى مدحه الله تعالى ورسوله وأمرا به ، وقد قال قائلهم

أخر المسلمين عن أمم الأر ض حجاب تشقى به المسلمات[3]

وقد جعلت هذا البيت مطلعاً لقصيدة قلتها من عشرات السنين قبل أن يستفحل الأمر ، ويجل الخطب ، وقد نسيت أكثرها ، ولا بأس من تدوين ما تذكرته منها ، عسى أن يتعظ به متعظ أو يستفيد به مستفيد

أخر المسلمين عن أمم الأر ض حجاب تشقى به المسلمات[4]
بئس ما يدعى فلاسفة العصـــر من أن السفور فيه الحياة
هو حق إذ أن أسلاف الأعــراب مفرط من يحجون ماتوا[5]
ما حيينا حدث عن الشرق قدماً حين كانت تعظم الحجرات
حين كان القرآن يحى ويخشى والقوانين آيه البينات
حين كان الحديث يتلى ولا يرو يه إلا ذوو العقول الثقات

٥ ٥ ٥

إن في الرجال قوماً أناساً في التوقى علومهم قاصرات[7]

(١) أي مائلات في مشيتهن ، ومميلات غيرهن من قلوب ضعيفة من الرجال

(٢) أسنمة جمع سنام وهو أعلى ظهر الإبل (٣) من قول شاعر العراق جميل صدقى الزهاوى.

(٤) صدرت هذا البيت بما يدل على هذا الرأى الفاسد الذى يتعارض مع صريح القرآن الكريم ! فما أخر المسلمين سوى السفور ، فى البعد عن الدين وسوء القصد ، أدركنا الله تعالى بلطفه ! وهذه الأبيات من قصيدة طويلة ضاعت فى ضياع ما ذكرت منها سوى ما أوردته

(٥) تهكم بهذا الرأى الفاسد ، والقول المذموم ، وإشارة إلى من مات من أعداء العرب حرقاً وحزناً على عدم نيل من أحب ، هذا وفى حين أن السفور الممقوت قد جعل كل إنسان ، وجعل المحب متمكناً من حبيبه ، والعاشق مالكاً معشوقه ، فنشم علينا الأنس والهوى ، وعن مكانهما القرب والنجوى ، نعم هناك الشر والبلوى ، والحرمان والفتن ، وغضب الرحمن ! فلا حول ولا قوة إلا بالله !

(٦) تقى ومجد

(٧) أى لا يتقون ما يجب أن يتقوه وهو أشد الأشياء في الشريعة والفقه ، أو لا يقومون به أصلا لتركهم الصلاة ، وهذا شأن الكثيرين ممن دعوا إلى السفور

وهموا بعد يدعون علوماً   أنكرتها عصورنا الخاليات
ليت شعرى ماذا يريدون منا   وصنوف الآداب [illegible]

* * *

بنت مصر هذى سفورك فاغشى   كل ناد وتغشى منك الجهات (٢)
عرفى هتك الحياء وطوفى   لا تفتك الأسواق والحانات (٣)
ثم أمى مجالس القوم واغشيهم إلى حيث لا يحل سعاد
علنا بالسفور منى جسوماً   شاهدت مثلها ترد الغداة
وعسانا نرى البرايا سجوداً   لابن مصر وعند ذلك [illegible] (٤)
ولعمرى لقد بكى الدين حزناً   حين قال خطيب [illegible] (٥)

وحقاً إن الدين ليبكى حزناً حين تختلط الفتيات بالفتيان، ولا تعرف الحرائر من القيان(٦)، وتكشف المرأة — للأجانب عنها والذين ليسوا بمحارمها — عن محاسنها ومفاتنها بغير خجل ولا حياء ولا [illegible] الخطر ذلك وليحذر منه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!

وإن دعاة تحرير المرأة لم يدعوا إليه إلا لعلمهم أنها لا تعرف لتحريرها معنى سوى الانطلاق على سجيتها فى الطرقات والمحافل العامة: شبه عارية [illegible] الفتنة فى قلب الرجل، أو لتعمل مضيفة تسبى الراكبين بالفتنة [illegible]، أو لتعمل [illegible] مطعمه، أو موظفة تندس بين صفوف الموظفين، تنوشها العيون [illegible] فى [illegible] إلى وجهها الذى [illegible] للشيطان، وقدها المياس الذى يذكى فى نفوسهم عوامل الشر والجريمة!

---

(١) وذلك بما يزعمونه من أن السفور لا يتنافى مع الدين، على ما فيه من [illegible] الذوق، والخلق الكريم.
(٢) هو أمر قصد به الاستهزاء والتهكم.
(٣) ولقد تمادت النساء فى زماننا هذا حتى أصبحن لا يتورعن من غشيان الأسواق و[illegible] بل والمراقص أيضاً! بغير وازع من دين، أو رادع من خلق!
(٤) غداة السبات: تركة النوم والخمول.
(٥) أى عند ما [illegible] وقال [illegible].
(٦) القيان: جمع قينة، وهى الأمة المغنية، وقد تطلق على [illegible].

وهي في كل ذلك تزاحم الرجال في المركبات العامة ، والمحافل ، والطرقات ، تزاحمهم بالصدر والعجز ؛ وهي غير مبالية بما تفقده بذلك الدعاية من رواج لأسواق الشيطان

فإن تم نصيبها ، وحسن إدراكها وفهمها ، ووقفت بينهم خطيبة ؛ فإنما تقف لتستعرض مفاتن جسمها ، أكثر مما تستعرض مواهب عقلها ، ولتستدر الإعجاب بجمالها ، أكثر مما تستدره برأيها وفكرها

وخير عندها ألف مرة أن يقال لها : كم أنت جميلة فاتنة ، من أن يقال لها : كم أنت ذكية نابهة !

فإن شذت واحدة منهن — بكرم أصلها وطيب عنصرها — فاحتفظت لنفسها بدينها وكرامتها ، ولزوجها عرضه وشرفها ، ولولدها عطفها وحنانها : حسبت أسيرة في المنزل ، لا تمد يدها لخدمة مجتمع ، ولا تسهم في نهضة أمة

أخر المسلمين عن أمم الأرض حجاب تشق به المسلمات

هذا في حين أن المرأة المسلمة قد استطاعت في شتى العصور أن تؤدي أجل الخدمات لأمتها ومجتمعها ؛ دون أن تمس عرضها ، أو تبيع شرفها ، أو تكشف عن صدر أو نحر . فسجل التاريخ بما فعلت ، وبدون عنها من شمل بها من صفحات الدين والعزم !

والمرأة المسلمة حقاً واجباتها أكثر من واجباتها ألا يصدها ظلام الجهل في مكانها ؛ بل عليها أن تسعى إلى العلم النافع ، فإذا ما تعلمت لا يطغى بها الغرور العلمي عن مكانها الذي أعده الله تعالى لها . إذ أنها عماد الأسرة في التربية والتوجيه ، وهي عماد الأمة في النصح لله تعالى ولرسوله !

وهي أيضاً ظهير الرجل في الكفاح من أجل الدين والوطن : ثابتة في الصف الثاني ، لتكون دائماً ردءاً للرجل ، ومرجعاً له : إن استشارها نصحته ، وإن رجع إليها من عنت العمل ومشاق الكفاح : غمرته بالحب والحنان ، ووفرت له كنف المنزل ؛ فوجد فيه الهدوء لنفسه ، والراحة لبدنه !

وهذا هو الإطار العام الذي يجب أن تبدو فيه المرأة المسلمة ؛ فإن زادت على ذلك ، فقد أحاط بدينها الغموض ، وتعقبتها الشكوك والريب ، ولاكتها الألسن والأعين !

ما من شك أن هنالك فلتات في التاريخ لا يقام لها وزن ؛ لأنها تبلغ حد الندرة التي لا حكم لها .

ولم يغض من قدر أم المؤمنين عائشة رضوان الله تعالى عليها أنها لم تكن سافرة ، مع الحجاب الشديد الذى كان يغطيها — من رأسها إلى قدميها — فقد كانت من أعلم الناس ، وعنها أخذ المسلمون نصف دينهم !

وقد كان من فضل النساء فى العصر الأول أن يلجأ إليها أفاضل العلماء ، ويقولوا : تعالوا بنا نستشير وقاية[1] ، فعصابتها خير من عمامتك !

وانظر إلى وصية إحداهن لابنتها عند ما زفت إلى زوجها : لا يأمن ... خير من فى بيتك غير زوجك ، ولا تكشفى عن رأسك فى بيت غيرك ولو كان صاحبه فى العراق !

فما أحلى هذا الخلق ، وما أبدع هذا النصح !

هذا وقد بلغت حرية كثير من المنتسبين شأواً بعيداً ، متحررين من سائر قيود الأخلاق والفضيلة ، ضاربين بالكرامات والأعراض عرض الحائط ، غاضين النظر عن كل ما يحد من الملذات أو يضيق أفق الإباحية المطلقة ، والتمتع الحسى الخالص من القيود !

فقد ضبط أحد الأزواج ... فى منزل الزوجية ... وجهه عارية كيوم ولدتها أمها ، مصحوبة برجل أجنبى عنها عرياناً أيضاً كيوم ولدته أمه ، ورفع أمره للقضاء طالباً الطلاق من زوجته البغى التى استهانت بكرامته وكرامة منزل الزوجية المقدس ! غير أن القضاء الإنجليزى فى إحدى محاكم لندن لم يرقه تصرف ذلك الزوج الرجعى الذى لا يتمشى مع التقدم العصرى والرقى الاجتماعى ، فقضى برفض دعواه ... هذه المسألة بأن الزوج يجب عليه أن يقدر الظروف والتقاليد[2]

وقد ضبط أحد الشبان الهنود — وقت إقامته بباريس — رجلاً يجلس مع امرأة فى حالة مريبة وصحبة الفجور فى الطريق العام ، فلم يجد بداً من الاستغاثة بجندى البوليس ، الذى قبض على الشاب الهندى المبلغ بتهمة الإخلال بالحرية الشخصية !

فرحى مرحى لهذه الحريات ، التى تقوم على أشلاء الفضيلة !

وهكذا كلما ازددنا تنكراً لتعاليم الدين الإسلامى الحنيف ازددنا بعداً عن الأخلاق والمروءة والكرامة والعفة ، بل خرجنا من عداد بنى الإنسان إلى عداد الحيوان ! وقد نرى فى بنى الإنسان من يأتى فعلاً يربأ الحيوان بنفسه عن إتيانه ! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

---

(١) وقاية : امرأة عالمة فاضلة ، كانت بإحدى مدن ... ، وكان أفاضل القوم يتركون رأيهم ، ويستمعون لقولها .

(٢) هذا الخبر منشور بجريدة أخبار اليوم ص ٢ عدد ٥٨٦ الصادر فى ٣٠ يونية سنة ١٩٥٦ .

هذا وقد أصبحنا في زمن ، تفشى فيه الانحلال والاضمحلال ، فترى الشاب والفتاة ، فلا تعلم من منهما الشاب ، ومن منهما الفتاة !؟

شباب مخنث : لا يعبأ إلا بزينته ، وتصفيف شعره ، وتحريق ملبسه (١) ، وقد قلت في ذلك من قصيدة طويلة :

كيف نمحو الشرور والشر صاح　　مستبد بمائز الطرقات

فتيات يلحن كالبدر حسناً　　بقلوب قددن من صخرات

ورجال يسير تيهاً وعجباً　　كنساء يخطرن كالفاجرات

لا فرق بين الرجال وبين النســـوة صوتاً ، وملبساً ، وخطاة

يمشي الفتيان في المشي كالأفعـــى ، وتمشي الغادات كالعاربات

ويه يا أيها الشباب . أترضوا　　أن تكونوا في السير كالعاهرات ؟

ما رأينا والله قبل رأينا　　مثل أخلاقكم بهذي السمات

عهد لوط من بعد نوح نوثى (٢)　　وأتانا الخنى بالمعرات

أبدل الغاة الطغاة ، فصاروا　　بقلوب تفيض بالرحمات

يرحمون الضعيف فيهم ، ويلقوا　　ن العتاة بقوة وثبات

فتحوا الفرس : فتح قوم عتيد　　وسعوا الروم فرقة وشتات

أغمدوا السيف في صدور عداهم　　لم يلاقوا الحروب بالكلمات

سنه الله ، أن تكونوا رجالاً　　وتكونوا من صادق العزمات

أين أنتم من إخوة سبقوكم　　أصعقوا الجهاد كالباشقات (٣)

ما الذي أوجب التخلف عنهم　　حيث صرتم كالأعظم النخرات

فتعالوا أيها الشباب فأنتم　　لي ، وإن أعجز الدواء أساتي

واتركوا اليوم ما جبلتم عليه　　ودعوا الموبقات والشهوات

لتروا في الحياة كل جميل　　وتكونوا من سادة السادات

(١) حرق ملبسه : قصه وضيقه .
(٢) إشارة إلى أن قوم لوط ، كانوا يأتون الذكران دون النساء .
(٣) الباشقات : جمع باشق ، وهو من جوارح الطير .



التعطيل

لقد فشا بين الأمم المتقدمة مذهب التعطيل ، وأخذه عنهم بعض الضالين من المتأخرين . وكل هؤلاء مقفرة عقولهم ، معطلة قلوبهم !

« وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين »[2] .

فرد الله تعالى على زعمهم هذا بقوله عز من قائل « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم » للحساب يوم القيامة « قال أليس هذا » البعث « بالحق » كما أخبرتكم على لسان رسلي ، فكذبتموهم وآذيتموهم وقتلتموهم « قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »[3] بذلك اليوم

« قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها »[4] أي في الدنيا بعدم الإيمان بالساعة

قال تعالى « قل الله يحييكم » بالخلق ابتداء « ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة » للحساب والجزاء « لا ريب فيه » أي لا شك في مجيء ذلك اليوم الموعود « ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[5] .

وهل يجوز عقلا وجود مصنوع بغير صانع ، ومخلوق بغير خالق ؟ أم هل تجوز

---

(١) التعطيل لغة : التفريغ والإخلاء وترك الشيء ضياعا . وإبل معطلة : لا راعي لها . وتعطل : بقي بلا عمل . وتعطلت المرأة : إذا لم يكن عليها حلي ، ولم تلبس الزينة وخلا جيدها من القلائد . والمعطل : الموات من الأرض . وبئر معطل : إذا ترك فلا عامر بعمره . وبئر معطلة : لا يستقى منها ولا ينتفع بمائها ومن أنكر البعث : فقد قال بالتعطيل ؛ لأنه ترك الكون ضياعاً وهملا ، لا راعي له ، ولا مدبر لأمره وحاشا أن يكون كذلك !

(٢) آية ٢٩ من سورة الأنعام (٣) آية ٣٠ من سورة الأنعام

(٤) آية ٣١ من سورة الأنعام . (٥) آية ٢٦ من سورة الجاثية .

سبحانه خلق هذا العالم البديع، وهذا الإنسان الناطق المبصر السميع، وهذه الشموس المنيرة، والكواكب المضيئة، والسماوات المرفوعة، والأرض المبسوطة، وسائر الأزهار الناضرة، والمناظر الساحرة، والطيور المسبحة في الهواء، والأسماك الجارية في الماء، والفاكهة التي تسر الآكل والناظر، وسائر المطعومات، والمشروبات، والمشمومات، واختلاف كل هذه المخلوقات منظراً وطعماً؛ فهل يجوز خلق جميعها بلا خالق يخلقها، أو مدبر يدبرها؟ وهل هي الطبيعة كما يقولون؟ وهل قام هذا الكون باطلاً، وهذه المخلوقات عبثاً، فلا بعث ولا حساب، ولا نعيم ولا عقاب؟ لقد ارتكبوا إثماً وفجوراً، وقالوا بهتاناً وزوراً!

هذا وقد جهر بهذا القول الشنيع، والرأي الفاسد القبيح، كثير ممن طبع الله تعالى على قلوبهم فهم لا يفقهون؛ فمن ذلك ما قاله شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي في قصيدة طويلة (1).

وسائلة: هل بعد أن يعبث البلى ... بأجسادنا نحيا طويلاً ونرزق؟ (2)

فقلت مجيباً: إنني لست واثقاً ... بغير الذي حسي له يتحقق (3)

وميت لا ترجى حياة له إذا ... إليه البلى في قبره يتطرق (4)

تقولين: يبقى الجسم والروح بعده ... فهل بعده للروح عهد موثق (5)

(1) نشرت في ٢٢ سبتمبر من سنة ١٩٢٤ بجريدة [illegible]

(2) هو إنكار صريح للبعث والنشور.

(3) لا يؤمن بغيب وراء حسه، [illegible] من الإنسان من يؤمن بعقله وحسه كإيمان الحيوان؟ [illegible] على قلوبهم [illegible] ولا [illegible] أو [illegible] وهو يؤمن [illegible] كما تعرفون.

(4) ومن قبله قال الكافرون: «أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون [illegible] أو آباؤنا الأولون» [illegible] «أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد» [illegible]

(5) أنكر عدو الله وعدو نفسه خلود الروح، وقد تمنى خلودها سائر الناس مؤمنهم وكافرهم؛ وأصبحت من حقائق العلم الملموسة.

إلى أن قال :

وكم لي من رأي إذا ما سمعته ... يقولون : زنديق من الدين يمرق[1]

إذا جئت كذباً : فالضمير يلومني ... وإن قلت حقاً : فالعواطف تحنق

لقد كثرت أحمال كل حقيقة[2] ... على أنها حسناء بالحب تخلق

خض اللج من بحر الطبيعة سابراً[3] ... ولا تخش عند الغوص أنك تغرق

وقد نشرت هذه القصيدة في مصر بالجرائد السيارة ، فلم تتصد أحد من الكتاب أو العلماء للرد على هذا الكفر الصريح الفاضح !

وقد رددت عليه بقصيدة من بحر قصيدته وقافيتها ، راجياً بها وجه الله تعالى ، ذائداً عن حياض الدين ، مدافعاً عن الكتاب المستبين !

والزهاوي هذا من كبار الملاحدة — بل ليس في الملاحدة من يدانيه في الإلحاد وله شعر كثير ، أنكر فيه صراحة وجود الإله جل شأنه !

فمن ذلك قوله :

لما جهلت من الحقيقة أمرها ... وأقمت نفسك في مقام معلل

أثبت رباً تبتغي حلا به ... للمشكلات فكان أكبر مشكل

وقوله أيضاً :

قالوا بأن الإله حي ... له على عرشه ثبوت

فقلت : ما الله غير وهم ... أثبته الوصف والنعوت

إن حيي العلم في أناس ... فالله من ذاته يموت

(١) نعم زنديق وأي زنديق ، ومارق من الدين وأي مارق

(٢) يقول له [illegible] ، وهي [illegible] ؛ أي [illegible] من [illegible] الهوى ، وأن من لم يوافقه على رأيه [illegible] من [illegible] يكرهون [illegible] هذه الحقائق التي يقول بها ذلك المارق

(٣) السبر : التأمل والبحث ، وسبر الجرح : تعرف عمقه

هذا وقد هلك الزهاوى منذ بضع سنين ، ورأى الآن جزاء إنكاره الحق فى قبره ، وعلم أن معرفته تعالى لم تكن من المشكلات ؛ بل آمن به كل الحيوانات والجمادات ! وأنه جل شأنه حقيقة لا وهم فيها ، إلا على من انطمست بصيرته ، واسودت سريرته ! حمانا الله تعالى من الجهل بحقيقته ، بعد عرفانه حق معرفته ! وحفظنا من الزيغ بعد الإيمان ، ووقانا شر النفس ومكائد الشيطان !

وها هى قصيدتى رداً على قصيدته فى إنكار البعث :

حول إنكار البعث (١)

أو نقيضة الزهاوى

« قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة
لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

[قرآن كريم]

إذا طفق (٢) التبريح (٣) بالقلب يعلق ... فلا عجب للطرف إن كان يأرق

وقائلة : ما لى أرى الهم والأسى ... عليك هل أمسيت الزهر (٤) تعشق ؟

أمنْ بعد ترحال خليل ؟ فقلت : لا ... ولكننى من غير ذلك أفرق (٥)

أخاف الذى فوق السموات عرشه ... إذا خضت بحر الإثم فالإثم يوبق (٦)

فقالت : تعشق كل هيفاء غادة ... ولا يثنيك الغزال المقرطق (٧)

---

(١) نشرت فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٤ [illegible] بعد نشر قصيدة الزهاوى بثمانية أيام .
(٢) طفق : جعل ، أى ظل يفعله .
(٣) التبريح : شدة الشوق وتوهجه .
(٤) الزهر : الأنجم المضيئة ، والمراد بها هنا : بيض الحسان اللاتى يشبهن الأنجم وهن فى جمال .
(٥) أفرق : أخاف .
(٦) يوبق : يهلك ؛ لأنه يورد النار .
(٧) القرطق : ملبوس يشبه القباء ، وهو من لبس الأعاجم

وحافظ على ذكر الملاح ورقص … لتبلك فيهن النسيب يرقق

وغازل ونادم واشرب واطرب ولا … تضيق فماذا نال منها المضيق؟

فقلت لها: مثل العروس ينام في … حفيرته دهراً إذا النفس ترهق

ويحشر في حزب الأمانة والتقى … وأكرم أهل الأرض يوم تشقق [2]

ويسكن جنات النعيم مخلداً [1] … على حين يصلى النار من كان يفسق

فقالت: أحق أننا بعد موتنا … وبعد البلى نحيا طويلا ونرزق [3]

فقلت لها: إن كنت أنكرت هذه … فذلك من دين المهيمن يمرق

لأنك أنكرت الإله ووعده … وكتباً أتت بالحشر والنشر تنطق [4]

فقالت: لنا عقل وديتكم لكم … والعقل بين الرشد والغي يفرق

فقلت لها: ماذا أرتكم عقولكم؟ … فقالت: وجودي بالطبيعة ملصق

بما كان ما قد كان هل أنت منصف؟ … فقلت لها: ما قال هذا موفق

وليس ضميري مطمئناً لباطل … ولا أنا عن ذكر الحقيقة أحنق [5]

لقد ورد ذا نوح، وهود، وصالح، … وموسى، وعيسى، والنبي المصدق [6]

وإن رمت منهاج العقول فإنني … به عارف والباب ما هو مغلق

أتختلف الأشيا بغير إرادة … تخصص كلا بالذي هو أليق [7]

(١) ورد في حديث شريف أن المؤمن ينام في قبره مثل العروس.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى «يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً» وهو يوم القيامة؛ عاذنا الله سبحانه فيه، وجعلنا من خاصة أحبائه!

(٣) هذا هو سؤال الاستنكاري الذي سأله الزهاوي في قصيدته نفسها.

(٤) ورد ذكر القيامة والبعث في سائر الكتب السماوية.

(٥) وذلك رداً على قوله «وإن قلت حقاً فالمخالف يحنق».

(٦) ورد في القرآن الكريم ذكر القيامة والبعث وحسابه على لسان هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٧) اختلاف الطعوم والألوان والأشكال ونوع وصنف «يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل».

أيطبيعيون اشرحوا لي طبيعة ... بها كل جسم عندكم يتحقق

هي تلك عين الجسم. كان مقدماً ... على نفسه إذ فاعل الشيء يسبق

وإن تك جزءاً منه، أو قوة له ... على كل حال فالمحال محقق

إذ الجزء، مثل الكل في سبق نفسه ... إذن وصفات الشيء للشيء تلحق

فلا عجب من قوة في عطلها ... لأن به تلك القوى تتعلق

وإن لم تكن من ذا: فما رسمها إذا ... تعالى عن التحديد عقل ومنطق؟

على أنكم لا تعرفون سوى الذي ... إذا ما دعاه الحس لا يتعوق

فقولوا لنا، إذ كلنا لجوابكم ... وشرحكم الشافي غدا يتشوق

أباللمس، أم بالشم، يدرك حاشا ... لكم، أم بذوق، أم بالابصار ترمق؟

هذا وقد تفضل ـ مشكوراً مأجوراً ـ المجاهد الإسلامي الكبير، المرحوم الأمير شكيب أرسلان، فأرسل لي ـ حين اطلع على هاتين القصيدتين بآخر تلك السيارة ـ خطاباً يفوح بعطر الإيمان، الذي كان يحتويه صدره، وشدة الإسلام، الذي كان يشبع من جهاده!

وقد رأيت تكريماً له واعترافاً بفضله أن أنشر هذا الخطاب الكريم بحرفه كما ورد

---

(١) إشارة لقول الزهاوي :

نقل جسماً . إني ست ورقاً ... غير الذي حسي له يتحقق

جنيف ١٠ أكتوبر ١٩٣٤

حضرة الشاعر المفلق الحكيم السيد محمد محمد عبد اللطيف

قرأت في السياسة ، قصيدتك في انكار التعطيل فاعجبت بها لفظا ومعنى وراقني اسلوبها السهل الممتنع
وما فيها من حسن التعليل ولطف الجدل بساطع البرهان مع فحولة اللفظ وعذوبته معا مما يلحق شعرك
بشعر الأولين الذين كانوا يملكون علو المعاني مع قوة العربية فما ملكت نفسي مع وفرة اشغالي أن هنأتك
على هذه الملكة النادرة والله يزيدك فصاحة وبلاغة ومضاءً في تنوير الاذهان بحقيقته

شكيب ارسلان

Hôtel d'Angleterre
Genève



أين الله؟

سؤال حائر، على شفاه ساذجة: تنشد الإيمان والمعرفة !

فرفقاً بأناسنا المؤمنين، الذين يتساءلون: أين الله؟

تظنونهم كفاراً، وما هم بكافرين! وتتوهمونهم ملاحدة، وما هم بملحدين!

عرفوهم بالمنطق السليم ما يريدونه من معرفة الله، ضموهم في صدوركم ليحسوا عطفكم، قبل امتحانكم، وبعطفكم، قبل حكمكم!

إن حرمانهم من استماعكم لأقوالهم، سيقف بهم عند الجحود بآرائكم، وربما كفرهم بربهم!

إن من يقول: أين الله؟ خير بكثير ممن عرف الله، ثم أشاح بوجهه، وأدار له ظهره!

فكم رأينا أناساً ينتسبون إلى الإيمان، والإيمان منهم براء! ويزعمون محبة الله، والله كاره لهم، غير راض عنهم!

ويدعون معرفته، وهم أول الكافرين به، المنكرين لوجوده!

أما الذي يقول: أين الله؟ فهو طالب للمعرفة، راغب في الإيمان!

ولا يعقل بحال، أن يكون القائل: أين الله؟ راغباً في رؤيته بالذوق والحس وإلا كان عابد وثن وصنم!

لأن المولى سبحانه: يجل عن الرؤية البصرية، ولكنه لا يمتنع عن رؤية العقل والبصيرة!

فلو توهم إنسان أن الله تعالى: يجب أن يرى بالبصر، لكان جاحداً بمنطق العقل!

ولو رؤي الله بالبصر، لكان مخلوقاً مثلنا، يرى، ويحدد، ويمس!

وهذا ما لا يقوله إنسان أكرمه الله تعالى بالعقل السليم، والفكر المستقيم!

ولا تنسوا — يرحمكم الله — موسى عليه السلام، حين قال «رب أرني أنظر إليك» فزلزلت الأرض زلزالها، ودكدكت جبالها، وخر السائل صريع سؤاله!

فتعالوا يا أبنائى : أعلمكم أين الله ؟

ها هو الله ! تروبه عياناً فى بديع صنعه ، ودقيق نقدمه

ها هو الله ! يثبت وجوده فى كل خلق خلقه ، وفى كل رزق رزقه ، وفى كل منح منحه ، وفى كل منع منعه : أعطى بمقدار ، ومنع بتقدير !

وقد يوسع على من يكره ، ويضيق على من يحب ، لحكمة يراها جل شأنه ! لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع !

ها هو الله ! نصر من قال : الله أكبر ! وخذل من عق . أما القوى الأقدر !

ها هو الله ! تروبه فى أنفسكم ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ،

ألا تعلمون كيف جئتم إلى هذه الحياة ؟ ومن أى مادة صنعتم !

لقد صنعكم المولى ابتداء من طين ، ثم خلقكم من ماء مهين ، ثم حول هذا الماء إلى علقه ، ثم إلى مضغة ، ثم جعل هذه المضغة عظاماً ، ثم كسا هذه العظام لحماً ، ثم أخرجكم فى هذا الاستواء الخلق الذى أنتم عليه !

وأظنكم يا أبنائى — وأنتم رجال الغد ، وعقلاء المستقبل — أعقل وأسمى من أن تلجئوا فى مناقشتى إلى ما يلجأ إليه سفهاء الأحلام — من أن أنابيب الاختبار ، التى وضع فيها ماء الرجل ، قد استحالت مخلوقاً إلى الحياة ، التى يصنعها الله !

ومما يحق لى أن أقول لكم : ومن صنع ماء الرجل الذى وضعتموه فى أنابيب الاختبار

لقد أخذتم البيضة ، ووضعتموها فى الدفء حتى أنتجت دجاجة ، وقلتم : ها نحن خلقنا الدجاجة !

فهل هذه الدجاجة تعتبر من صنعكم ، أم من صنع الخالق جل شأنه ؟

لأن التساؤل الواجب فى الحالتين : من خلق ماء الرجل ؟ ومن خلق البيضة ؟ أترون يا أبنائى — وأنتم العقلاء الألباء — أن كل هذا صنع بغير صانع ، وخلق بغير خالق ؟ وأنها تحولت من عنصر الموت إلى عنصر الحياة بلا موجد ومدبر !

إنى أربأ بعقولكم أن تظن هذا !

أم تقولون كما قال أناس من قبل : إنها الطبيعة وحدها التى صنعت هذا الصنع وأبدعت هذا الإبداع ؟

وهنا يحق لى أن أسألكم : وما هى الطبيعة ؟ إن ما تسمونه الطبيعة ، هو ما نسميه معشر المؤمنين . الله : والله وحده !

والأمثال كثيرة على فساد هذا الزعم وسأكتفى بإيراد مثل واحد ، تقتنعون من خلاله بأن الله وحده ولا شىء بعده !

إن الطبيعة ... إذا صح أن هذا صحيح ... لا تختار الذكورة والأنوثة ، والجمال والقبح ، والسواد والبياض ، وحسن الخلق وسوأه !

فما تقولون — هداكم الله وعافاكم — فى الشعب الألمانى ... بعد الحرب الضروس التى أشعلها واحترق بها !

وقد خرجت المنايا من الحرب بعدد من رجالها ! وزيادة تعداد نسائها : زيادة كثيرة مخيفة !

فماذا فعلت الطبيعة ... حين هذا الحدث الجلل ؟

لم تفعل الطبيعة — التى يزعمها الملاحدة — شيئاً ، وما كان لها أن تفعل ، لأنها طبيعة لا تجلب نفعاً ، ولا تدفع ضراً .

ولكن المولى سبحانه ... الدافع الضر ... خالق الكون ومدبره — فهو مصلح الكون بعد أن أفسده أهله وذووه !

فترى الإحصاءات الرسمية للمواليد بعد الحرب : قد أثبتت زيادة الذكور على الإناث حتى بلغت ثمانين فى المائة ، وحتى عاد مستوى الذكور متوافقاً مع مستوى الإناث !

وذلك لأن الله تعالى خالق ، والطبيعة لا تخلق ! ورازق ، والطبيعة لا ترزق ! ومدبر ، والطبيعة لا تدبر !

وهكذا تجدون أصبع الرحمن فى كل مكان !

ألا ترون الأشجار ، وما تنتجه من عجيب الثمار : فهذا حلو ، وهذا مر ، وهذا رطب ، وهذا يابس !

الحنظلة : بجوار الساعور ، فيثمر هذا ثمراً حلواً بالغ الحلاوة وتثمر ذاك ثمراً مراً بالغ المرارة ، وكلاهما يسقى بماء واحد !

وترى الوليد من البهائم : ينزل من بطن أمه فيقف على رجليه ، ثم يستدير إلى أمه فيلتقم ثديها بفمه !

من الذى أعلمه أن الرجلين للوقوف ؟ وأن فمه للطعام والشراب ؟ وأن ثدى أمه وعاء لذلك الطعام والشراب ؟!

ألا ترون الهرة ، وما شاكلها من الحيوانات ، حين تلد ، فإنها تقطع الحبل السرى لمولودها : بحيث لا تزيد عما يجب ، ولا تنقص !

إن هذه الأمور كلها تدل على هداية حقيقية : ليس للطبيعة فيها شأن !

وإنما هو صنع الصانع : الذى أتقن كل شىء ، وأعطى كل شىء خلقه ثم هدى !

فاطمئنوا يا أصدقائى إلى ربكم ، وثوبوا إلى رشدكم ، واسألوا متى أردتم ! وأنى شئتم أين الله ؟

فالله معكم ، فى حلكم ، وترحالكم ، يحفظكم من كيد أنفسكم ، ومن شر الشيطان اللعين !

ولله در سيدى محى الدين بن عربى حيث يقول

ومن عجب ، أنى أحن إليهم ، وأسأل شوقاً عنهم ، وهم معى !
وتبكيهم عينى ، وهم فى سوادها ، وتشكو النوى قلبى ، وهم بين أضلعى !

الإسراء والمعراج

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، خالق الخلق أجمعين ، خلقهم كما يشاء ، لما يشاء ، ورزقهم ، وهداهم ، وأرشدهم إلى ما يصلحهم ، ويقربهم إلى ما يسعدهم !

والصلاة والسلام [illegible] على أكرم خلق الله ، وأقربهم منه ، وأعرفهم له !

أرسله — عز وجل — هادياً مهدياً ، ومرشداً فأرشد ، ومبشراً فبشر ، ومنذراً فأنذر !

أمده مولاه تعالى بخلق : لم تتوفر لأحد من خلق !

ووهبه نوراً إلهياً : لم يهبه لأحد ممن وهب !

وأعلى شأنه بقوله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما » وأي رحمة !

وجعل أفئدة الناس تهوى إليه بقوله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » وأي قضاء !

وتوجه — جل وعلا — بقوله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وأي نور !

فاستوجب بحق « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وأي طاعة !

واستحق بصدق « وإنك لعلى خلق عظيم » وأي خلق !

وكان جديراً بخطاب مبدعه له « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وأي رحمة !

نور الله في أرضه ! ونوره في سمواته ! ونوره في قيامته ! ونوره في جنته ! ونوره في قلوب عباده !

وإذا انقطع هذا النور الرباني المحمدي عن البشر كفر والعياذ بالله ! وإذا انقطع عن أمة : باءت بالحرمان والخذلان

أعلى مولاه شأنه فوق كل شأن ! ورفع قدره فوق كل قدر !

فما من مخلوق علا إلا وهو دونه ، وما من إنسان سما إلا وهو تحته !

درجة . لا يحلم مخلوق أن يصل إلى أدناها ، ورتبة تتساقط سائر الرتب دونها .

رتب تسقط الأماني حسرى وعطاء . حاشاه أن يتناهى !

أعده الله تعالى لما أعده من سيادة ورئاسة لأن تعلمه أمور سبحانه بالترقي بالبشرية الأرضية إلى سموات الروحانية الربانية !

فكان جديراً بصلاة الله تعالى وملائكته ، وسائر مخلوقاته عليه !

« إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً »

اللهم صل وسلم وبارك عليه . صلاة وسلاماً دائمين بدوامك ، تنفعنا بفضلهما في دنيانا ، وتحيي بعيضهما في أخرانا ! وتجعلنا فيمن رضيت عنهم يامولاي ورضوا عنك !

الإسراء

أما بعد فإنه مما لا يشك فيه مسلم ذاق بعقله حلاوة الإيمان ، واستمتع بما أودعه الله تعالى في قرآنه أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : قد أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما جاء في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ! « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » .

المعـــراج

أما العروج به . صلى الله تعالى عليه وسلم إلى السموات العلى . فإن الإنسان المسلم يحس في قرارة نفسه بصحته . ويؤيده تمام التأييد بعقله !

فإذا ما قرأ الأحاديث الواردة فيه . أحسّ بالوحشة تكتنفه ، وبالانقباض العسكرى يتملكه !

ولم تكن تلك الوحشة ، وذلك الانقباض من صعوده عليه الصلاة والسلام إلى السموات ! فهو جدير به ، وأهل بمثله !

ولكن هذه الأحاديث — كما سترونها — مليئة بالترهات ، مفعمة بالأباطيل والأضاليل !

قدر الرسول صلى الله عليه وسلم

فالرسول عليه الصلاة والسلام : لن ينقص قدره عدم عروجه إلى السماء ، كما أن عروجه إليها : لن يزيده رفعة فوق رفعته ، التي لم تدع زيادة لمستزيد !

وأى رفعة أعظم من مدح مولاه له في القرآن الكريم « وإنك لعلى خلق عظيم » !

وأى فضل أكبر من تفضيله على سائر المخلوقين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » !

ومن المعلوم يقيناً : أن سائر الأنبياء من العالمين ! وسائر الملائكة أيضاً من العالمين !

وذلك لأن « العالمين » جمع لعالم والعالم كل ما سوى المولى سبحانه وتعالى

وما أرسل عليه الصلاة والسلام — بنص الآية الكريمة — إلا رحمة لهم وبهم جميعاً !

فلم يقل المولى سبحانه : إنه أفضل المخلوقات ، أو أكرمها ، أو أشرفها ؛ بل قال : إنى لم أرسله إلا رحمة لها !

وبذلك يكون محمد عليه الصلاة والسلام : أفضل المخلوقات على الإطلاق : إنس ، وجن ، وملك !

فتعالى من رحمنا به ، وأعزنا برسالته ، وأكرمنا بشفاعته !

وبما قدمناه : ينقطع قول من ادعى أن جبريل أفضل من محمد عليهما الصلاة والسلام ، كما قالت المعتزلة وغيرهم : عفا الله تعالى عنا وعنهم !

ولنعد إلى ما بدأناه من الكلام في الأحاديث التي تناولت المعراج

وقد قلنا : أحاديث — وهو حديث واحد — لما ورد فيه من روايات : يتباين كل منها مع باقيها ، تبايناً كلياً .

لكنها تجمع على أشياء كثيرة : منها تفاهة المعنى والأسلوب وبعد منطوقها عن منطق النبوة الرائع المبدع المنير ! وبعد مفهومها عما اصطلح عليه سائر المسلمين ، من عدم وقوع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الزلل ؛ بالقول ، أو الفعل ؛ الذي يحطان من أقدارهم : كما حواه هذا الحديث الغريب ؛ من منكر القول ، وفاسد الأخلاق والعقائد !

زيف هذه الأحاديث

وقد اجتمع فى هذه الأحاديث — رغم كثرتها — شىء واحد : هو صياغتها على ما هى عليه

فحينما تتلو أحدها : تذكر أن هذه الصياغة ليست غريبة عنك ، ولا بعيدة منك

فهذه الصياغة ، وهذه اللهجة ، هى بعينهما اللتان صيغت بهما آيات التوراة والإنجيل ؛ اللذين أجمع على تحريفهما وتبديلهما كل من فهم ومن لم يفهم ، ومن علم ومن لم يعلم ، حتى صارا عنوانين لكل ما يتصف بالتحريف والتبديل . وصارا مثـــلا تضرب لكل فساد وإفساد !

وجوب تبجيل المولى سبحانه !

ومخترعوا هذه الأحاديث : إنما أرادوا بها تعظيم شأن الرسول ، عظيم الشأن ، وإعلاء قدره ، عالى القدر !

ولم يبالوا بما نزلوا به من مرتبة المولى عز وجل !

فالرسول عليه الصلاة والسلام ، واجب التكريم بنص القرآن الكريم ؛ وإغفال خالقه تعالى ، ومرسله عز وجل من التبجيل والتكريم ، الواجبين له : هو فى نظرى ، انحراف عن الجادة ، وعدول عن الصراط المستقيم !

فترى كثيراً من المسلمين : إذا ذكر الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قولا ، أو كتابة : بادروا بالصلاة والسلام عليه ؛ وهو أمر واجب على كل من يدين بدين الإســـلام !

فإذا ذكر المولى سبحانه : الذى تفضل علينا بالرســـول الذى نصلى عليه . أشاحوا بوجوههم ، وخرست ألسنتهم !

أقول ، خرست ؛ لأن الذى يقصر فى تبجيل مولاه ؛ مستحق الخرس !

وقد يقول قائل ساذج الفهم ، تافه الإدراك : إن تكريم الرسول عليه الصلاة والسلام واجب بنص القرآن ، حيث لم يوجب علينا تكريم المولى سبحانه بنص صريح !

ونحن لا نحتاج إلى أدنى عناء للرد على مثل هذا القائل الضعيف الوجدان ، السقيم العقيدة !

فالمولى سبحانه — ولو أنه غني عن التكريم — قد كرم نفسه بنفسه ، ليعلمنا واجب تكريمه وتعظيمه !

فقد كرر في كتابه العزيز لفظ « سبحانه » ١٤ مرة ، و« سبحان » ١٨ مرة ، والأمر بالتسبيح « سبح ، سبحه ، سبحوا ، سبحوه » ١٨ مرة ، وذكر من يسبح له « يسبح ، يسبحن ، يسبحون ، يسبحونه » ١٥ مرة ، ولفظ « تعالى » ١٤ مرة : و« تبارك » ٩ مرات!

ويكفيك قول العزيز المتعال « تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام » وقوله جل شأنه « وسبحوه بكرة وأصيلا » أي صبحاً ومساء ، وفي كل وقت !

وهذا هو واجب المؤمن حيال ربه ، الذي « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » و« ليس كمثله شيء » و« خالق كل شيء » و« وسع علمه كل شيء » و« بيده ملكوت كل شيء » !

العودة إلى حديث المعـــراج

ولنعد إلى ما نحن بصدده ، وهو حديث المعراج الذي أعلم علم اليقين أن ما أكتبه فيه : سيثير علىّ حرباً عواناً لا هوادة فيها ، وسيقول بعضهم عنى « كافر ، فاسق زنديق ملحد ؟! » الخ ما في القواميس من قذف وسباب !

ولكني وايم الله ، مشفق عليهم ، رؤوف بهم ، طالب المغفرة لهم مقدماً !

وأقسم غير حانث ولا آثم : أني ما كتبت إلا ما اعتقد أن رضا المولى سبحانه فيه ، وأنه تعالى سيثيبني عليه !

فليشفق اللائم على من هذا شأنه ، وليتحرَّ الناقد مرضات ربه كما تحريت ، وليعلم أن كل كلمة يكتبها أو ينطق بها : هي له أو عليه ! « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »

هذا وقد كنت منذ نعومة أظفاري ، إذا سمعت حديث المعـــراج — كما يرويه الراوون ، وينقله الناقلون — أحس في صدري بما يثقله ، وفي عنقي بما ينوء بحمله !

بطلان بعض الأحاديث

وإذا سمعت أيضاً حديث «خلقت وآدم بين الطين والماء»، وحديث أئمة القوم «لولاه لما خلقت الأرض والسماء، ولما انشقت الأنهار، ولما أظلم ليل وأضاء نهار. وأن اسمه صلوات الله تعالى وسلامه عليه مكتوب من نور على ساق عرش الرحمن!»... الخ ما يروونه. إشادة بمن أشاد به الله، ورفعة لمن رفعه الله!

تعالى الله عن أن يشركه أحد في ملكه، أو أن يكون سبباً في خلقه ما خلق، وذرأ وبرأ!

فهو سبحانه: خلق خلقه بإرادته وحده، من غير مثال سبقه! وأعذر لتلقي أوامره ونواهيه عن طريق أنبيائه ورسله، الذين بعثهم، لتنقطع بهم الحجة، وتسقط المعذرة!

ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم: إمامهم جميعاً، وخاتمهم، وسيد الخلق على الإطلاق!

فكل من أراد أن يسمو به فوق هذا السمو: مخطئ! وكل من أراد أن يعلو به فوق هذا العلو: واهم!

هذا ما أردنا أن نضع الحقائق في مواضعها، وأن نخضع المفاهيم إلى مقاييس الفهم الصحيح، ونزنها بالميزان الراجح، الذي وضعه لنا المولى سبحانه، والذي يحاسبنا بمقتضاه، ويؤاخذنا بما أفصح عنه ذلك الميزان الرباني. وهو العدل!

وجب علينا: أن نعرض عليه كل ما يعرض لنا في هذه الحياة: من منقول، أو معقول: بشريطة ألا نترك لإبليس العنان، فيتدخل فيما بيننا وبين الرحمن!

فإذا ما قلنا: إن الرسول عليه الصلاة والسلام قد خلق — خلقة حقيقية — قبل خلق آدم: فمن الذي ولدته آمنة، من ظهر عبد الله؟ ومن الذي شق قلبه، كما يقولون؟

وإذا قلنا: إنه قد خلق قبل آدم في علم الله تعالى فحسب: قلنا أيضاً: إننا جميعاً قد خلقنا قبل آدم في علم الله، فلم يعد لهذا الحديث معنى

وإذا قلنا: لم يعد له معنى: وجب علينا أن ننفي نسبته إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، الذي لا ينطق عن الهوى!

وأي فخر لمن يخلق أولا؟ اللهم سوى الإرهاص لما يريده المرجفون من إثبات

ما يريدون إثباته للرسول الكريم من أشياء لا تعني قدره الذي أعلاه ربه بقربه، وحبه، واصطفائه!

وما هو إبليس اللعين وقد حق قول الحق أجمعين فيه، زاده ذلك سوى لعناً، وطرداً، وتوعساً ونحساً!

أما القول بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم: لولاه لما خلقت الأملاك والأفلاك، وأن اسمه مكتوب على ساق العرش... الخ فهو رغم ما فيه من اختلاق وإفك ظاهرين. باطل بطلاناً واضحاً لا شبهة فيه! فإننا لم نشاهد في حياتنا الدنيا ملكاً كتب اسم رئيس وزرائه، أو كبير أمنائه على كرسيه، أو على عرشه! ولو كان هذا الرئيس، أو كان هذا الكبير متسبباً في تولية هذا الملك على ملكه!

هذا في حين أن الملك، ورئيس وزرائه، وكبير أمنائه بشر من طينة واحدة، وأصل واحد.

فكيف نجوز أن نقول بكتابة اسم محمد على ساق عرش الرحمن؛ وهو إنسان، وهذا هو الخالق الديان؟!

فبئس القول ما قيل! وبئس هذا التصور العقيم السقيم!

وهذا القول نفسه يؤثم من يدعيه؛ بل ويقربه من الكفر، ويقحمه فيه!

ومن هنا: كان بدء غلو المادحين للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (وهو خير الممدوحين، وأولى الناس بالمدح)

فقال بعضهم، منشطراً لأبيات من همزية الإمام البوصيري:

بأبي عمران شرفت سيناء ولإدريس والمسيح السماء
ولك العرش موطئ ووطاء كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

فانتقلنا بذلك من كتابة اسمه على العرش إلى أن وطئ محمد العرش بقدميه!

عرش الديان؛ المعد لاستواء الرحمن: يكون موطئاً ووطاء لقدم أحد مخلوقاته؛ ولو أنه خيرهم، وسيدهم، وإمامهم!

العرش الذي يمثل عظمة السلطان، وسلطان الرحمن: يطؤه واحد من بني الإنسان!
وجميع ذلك: لا يجوز عقلا، ولا ذوقا، ولا دينا. ولا يعقله عاقل، ولا مجنون!
اللهم إلا إذا آمنا بأن لله تعالى شريكا في ملكه! وهذا الشريك، غير مماثل لشريكه؛ بل ممتون عابث، متعال عليه، يطأ عرشه برجله!

تعالى المولى عن ذلك علوا كبيرا! وتعالى الرسول أن يكون كما قيل.

فليس هناك سبب لخلق الله سبحانه: سوى أنه تعالى كان كنزا مخفيا. فأراد أن يعرف: فخلق الخلق؛ فبه تعالى عرفوه، وبه عبدوه!

جل شأن المولى سبحانه! وصلى وسلم على نبيه المختار، صلاة نتعبد بها له ونتقرب بها إليه!

وجوب تحري الأحاديث

هذا وقد ورد عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه أنه قال: «إذا سمعتم الحديث عني، تعرفه قلوبكم[1] وتلين له أشعاركم وأبشاركم[2]، وترون أنه قريب منكم[3]، فأنا أولاكم به. وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترونه بعيدا منكم، فأنا أبعدكم منه».

فإذا ما سمعنا — مثلا — في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت «جاءت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة[4] من دخول سالم — وهو حليفه[5] — فقال لها: أرضعي سالما خمسا: تحرمي بها عليه».

هل يجوز لعاقل يؤمن بالله واليوم الآخر، بعد أن قرأ قوله تعالى «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن»، أن يصدق هذا الحديث، أو أن يعيره بالا؟!

---

(١) تعرفه قلوبكم: أي تطمئن إليه، ولا تنكر معناه.
(٢) الأبشار: جمع بشرة؛ وهي ظاهر جلد الإنسان.
(٣) قريب منكم: أي لأفهامكم، وأذواقكم، وآدابكم.
(٤) أي أرى في وجهه من الكدر والتغير؛ لدخول أجنبي على امرأته.
(٥) المراد به: شريكه في التجارة.

ولكن رواية هذا الحديث في المسانيد مقتضباً مطولا : دعت كثيراً من العلماء إلى تصديقه وبحثه ، والأخذ منه بجواز إرضاع الكبير !

فهل هذا الحديث : قريب منا ! أم بعيد عنا ؟ نعرفه قوياً ، أم تنكره أشد الإنكار ؟ لانت له أبشارنا وأشعارنا ، أم اقشعرت وجددت ؟!

ولنفرض أن هذه المرأة أتت لأحدنا ، وشكت له ما شكت للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ أكان يقول لها : أرضعيه ، أم كان يقول لها : احتجبي عنه !؟

وأي الجوابين أولى وأصح . قول الرسول الأعظم ، الذي كان كل فعله وقوله تشريع أم قول مخلوق مقصور من أمثالنا ؟!

وهكذا أحاديث كثيرة : اتصفت بهذه الصفات ، واتسمت بهذه السمات !

منها — على سبيل المثال لا الحصر — وقوع يوسف في الخطيئة ، حين هم بامرأة العزيز ! وقصة زينب بنت جحش ، وما اكتنفها من أكاذيب وأضاليل . تلصق بمحمد ما لا يرضى عامة الناس ودهماؤهم أن ينسب إليهم !

وقد أرادوا بأحاديث أم المؤمنين زينب بنت جحش ، أن يصوروا محمداً : عظيماً في كل شيء ؛ عظيماً حتى في شهوات الدنيا ؛ التي ذمها المولى سبحانه في كتابه !

وقد أخطأ الدكتور هيكل ، حيث يقول في كتابه (حياة محمد) إن القوانين التي تجرى على الناس . لا سلطان لها على العظماء ، فأولى ألا يكون لها سلطان على المرسلين والأنبياء !

وهو قول خاطئ — جملة وتفصيلا — في ظاهره وباطنه ، فإن الأنبياء والرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ؛ جاءونا من لدن المولى سبحانه بأوامر واجبة الطاعة ! وذلك لبعدها عن الجور ، وعن الانحراف !

فإذا ما زعم زاعم . كافر بالله ، وبكرامة رسله — أن أحد هؤلاء الأنبياء قد حاد عن المثل العليا — حاد — طبعاً — لينبغي أن يخرجوا عن طاعته ، ويكفروا برسالته !

فإذا قيل . إن أحدهم ، بل كبيرهم : نظر إلى امرأة واحد منهم ، فهويها ! حق لنا أن نقول : إن مثل هذا لا تصلح للرسالة التي اختصه المولى سبحانه بها ، واتسمه عليها ! ولا يصلح للزعامة التي بوأه الله تعالى إياها ! وإلا جاز لنا أن نقتدى به ، ونسير على هديه !

وهو — كما ترون — هدى فاسد أقرب إلى الشيوعية الملحدة البغيضة، من الإسلام القيم، المنير، المحبوب!

وقصة داود: إذ رأى امرأة عريانة، فوقع حبها فى قلبه، فأرسل زوجها للجهاد ليقتل، فرجع منصوراً مأجوراً! فأعاده للحرب ثانية، وثالثة حتى قتل، وتزوج امرأته!

وقصة سليمان: إذ طفق يقطع أعناق الخيل وسوقها، وقد كانت معدة للجهاد!

وأمثال ذلك: يضيق المقام عن حصره!

ذيوع هــــذه الأحاديث

وكل ذلك، وارد فى صحيح الصحاح، شتى الروايات، ومختلف الألفاظ

وقد بلغ من ثبوت هذه القصص لديهم: أن وردت فى شتى التفاسير، كبيرها وصغيرها!

وقد بلغ من ذيوعها وشيوعها أن أورد الطبرى — وهو من أئمة المفسرين؛ بل إمامهم جميعاً — عشرات الروايات، بطرق عدة!

وقد رووا فى بعض هــذه الأحاديث الفاسدة أن الرسول عليه الصلاة والسلام، عند ما قرأ قوله تعالى «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» قال: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى!

واستدلوا على ذلك القول الفاسد السقيم؛ بقول العزيز الحكيم «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته» وأولوا التمنى بالقراءة. فتعساً لهم وتعساً!

فانظر — رحمك الله — إلى أى مدى بلغ بهم الفسق، والكفر، والضلال!

وحديث الغرانيق، ذائع فى كتب التفسير، ذيوع الشهادتين! رغم أنه ظاهر البطلان، مكفر لمن يعتقده! وقد أيدوا صحته بقوله تعالى «لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا» مع أن ذلك الركون: فوق الكثير بكثير!

ولا يجوز مطلقاً أن ينسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام النطق بالهجر، فكيف بالكفر!

وقد ذهب قتادة إلى أن الرسول: تلاه ناعساً!

وقال ابن عباس : إن شيطاناً يقال له الأبيض كان قد أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة جبريل . وألقى فى قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : تلك الغرانيق العلا ، وأن شفاعتهن لترتجى .

وقد زعموا أن الرسول المعصوم المبرأ قال بعد أن قال ما قال : افتريت على ربى وقلت ما لم يقل ، حاشا لله ! الرسول لا ينقص عند التبليغ ، ولا يفترى على الله !

وزعموا أيضاً أنها من القرآن . ونسخت بقوله تعالى « فينسخ الله ما يلقى الشيطان »

ولا ندرى : كيف ينطق الرسول عليه الصلاة والسلام ، بما نطق بعد أن حشى قلبه الشريف الذى ينبض وحشيت عروق حلقه — التى ينطق بها — بالحكمة والإيمان ؟

هذا وإن ما قلناه فى هذا الصدد دون القليل ; ولو شئنا لخضنا غمار مفتريات الصحاح

ولو سكت المسلمون على هذا القذى وارتضوا بهذا الأذى الذى اختلقه اليهود الملاعين ، ودسه غلاة المتعصبين لأصبح ديننا الطاهر ، كسائر الأديان الفاسدة المتداعية ! وهى ليست منا ببعيد !

(وإن أردت المزيد : فانظر كتاب أوضح التفاسير ، عند تأويل هذه الآيات)

ولن نصير أئمة الحديث كالبخارى ، ومسلم وغيرهما ولا ننتقص من أقدارهم : تسرب بعض أحاديث منكرة ، فى هذا الخضم الزاخر بالصحة ، والجودة ، وأمانة النقل ، والإخلاص للعلم ، ولله ولرسوله !

الدس فى الحديث وغيره

وكيف لا يجوز الدس على مثل البخارى — رغم خطره ، وعلو قدره — وقد دس على الرسول نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم : ذراع شاة مسمومة ; فأكل منها !

فكان صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقاً لمن قدم له الذراع ، وكان البخارى رضى الله تعالى عنه مصدقاً لمن قدم له الحديث !

وقد اشتهر — من قديم الزمان — واضعوا الأحاديث ، ومزيفوها ; فلم يدعوا شيئاً إلا وولغوا فيه !

حتى الإثفار (وهو إتيان المرأة فى دبرها) وجدوا له ما يؤيده ويبرره ، رغم فحش مرتكبه ، وبعده عن الإسلام !

كتمان الحق : إثم

وقد يوافقني كثير من المسلمين على ما أقول ، غير أن جبناً راودهم ، وتردداً خالطهم ، عن أن يجهروا بكلمة حق : قد تقربهم من خالقهم ، غير أنها قد تباعد بينهم وبين المخلوقين !

ومما يؤسف له أشد الأسف : أن هذا صار شأن كثير من فضلاء الأمة ، الذين أصح قلبهم جبنهم ، وتخلفهم عن قول ما يعتقدونه حقاً : قولاً صريحاً مدوياً ، كشأن المؤمن الصادق الإيمان !

ولن يبتلى الإسلام بشر ممن يكتم ما يعلم : خشية صجيج الجهال ، ونعيق الغربان ، ونقيق الضفادع !

من حق كل مسلم أن يجهر برأيه نفياً أو إثباتاً

فلا حرج على متى أن يجاهر بما يعتقده ، ومن حق كل مسلم - يغار على دينه - أن يقول لي : قد أخطأت ، وجانبت الصواب ! ولا إثم علي فيما قلت ، ولا إثم عليه فيما قال ، لأن كلانا ينشد الحقيقة المطلقة ، وكلانا يبتغي رضاء المولى سبحانه في كل ما يقول أو يدع !

هذا : ومسألة العروج بالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه إلى السماء ، والتقائه بمولاه : رب العزة سبحانه وتعالى ! مسألة ذات شطرين . أولاهما — مسألة العروج نفسه ، وهل كان بروحه فحسب ، أم بروحه وجسده معاً ؟ وقد رجح الأكثرون الرأي الثاني (كما أوضحنا ذلك في أوضح التفاسير) .

ثانيهما — الأحاديث الواردة في ذلك ، ومبلغ مجافاتها للعقل والذوق ، ومخالفتها لأبسط قواعد الإجلال والتقديس الواجبين لذات المولى سبحانه وتعالى ، ولرسوله عليه الصلاة والسلام !

نتيجة أحاديث المعراج

فإذا ما بحثنا الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج : اصطدمنا بخضم عجاج ، متلاطم الأمواج . وبحر لاغور له ولا ساحل ، من روايات شتى ، متلاحقة متباينة ، وكلها يدور

فى محور واحد ، يخرج منه بنتيجة واحدة لا مناص منها ، ولا محيد عنها : وهى الرفع من شأن موسى ، والحط من قدر محمد ! والرفع من شأن محمد ، والحط من قدر جبريل بل يخرج بالحط من أقدارهم جميعاً !

موسى عليه السلام

فموسى — وهو من خيرة أنبياء الله تعالى — تعزوه عن لا يصح أن يعزوه به أوساط الناس وعامتهم ، ويجاهد مولاه تعالى بالصياح والصخب !

محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

ومحمد — وقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين — يصير كالدمية فى يد موسى ، يحركه كيف شاء ، ويكون مرشداً له ، فيأمره بالصعود والهبوط ، لمراجعة ربه سبحانه وتعالى تسع مرات ، فلا يخالف له أمراً ، ولا يعصى له إشارة !

وبذلك يعارض محمد ربه جل وعلا ويراجعه ، بما لا يصح أن يعارض به أو يراجع عبد سيده ، وهما صنوان ، من بنى الإنسان ، فما بالك بالإنسان والرحمن ! ؟

جبريل عليه السلام

وجبريل — وهو أمين الله تعالى على وحيه ، وكبير ملائكته ، ورسوله إلى رسله لا يدخل السموات — التى هى مستقره ومقامه — إلا بإذن ، ويقرع للأبواب ، ويتنكر له ، ويتجاهل لمركزه وصفاته من هم دونه من الملائكة !

المولى جل وعلا : لا يراجع

والمولى سبحانه وتعالى — وهو رب العزة ، وبارئ النسم ، ومنشئ الخلق من العدم ، وخالق الكل ، ورازقهم ، وراحمهم : يأمر مخلوقاته بما لا تطاق تحمله ، وهو القائل : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » . « لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها » .

ويراجعه واحد من مخلوقاته فيما أمر : مرات عديدة ، وهو الذى لا يرد له أمر ، ولا معقب لما يريد « والله يحكم لا معقب لحكمه » . « ما يبدل القول لدى » .

وليس فى هذه الحال : حيان شخصين متشابهين يفضل أحدهما الآخر ، بل نحن حيال خالق ومخلوق ، وعابد ومعبود ، وإله وإنسان !

ليست بينهما مشاكلة أو مقاربة : اللهم سوى علاقة عبد لسيده الأعلى ؛ وذلك العبد يفخر بعبوديته ، ويباهى بها !

إذاعة حديث المعراج بالتليفزيون

هذا وقد فوجئت أخيراً فى رمضان هذا العام (١٣٩٣ هـ) فى التليفزيون المصرى ، بأحد العلماء الأعلام : فضيلة الشيخ « محمد متولى الشعراوى » .

وهو من خاصة من عرفت ، ومن أقدر فضلهم ، وعلمهم ، ودينهم ! فوجئت به يتكلم فى موضوع المعراج ، بتوسع ، وإسهاب ، وطلاقة ، بل وتأثر وتأثير روحى بالغين !

حسن سمت ، وطلاقة لسان ، وسعة علم ، ودقة فهم ! وكنت به معجباً أشد العجب ، حتى أنى كثيراً ما بكيت عند استماعى إليه ؛ وبالأحرى عند استماعى لذكر سيدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ! ولو كنت لا أعى ما أسمعه !

ولكن العاطفة لا تغنى عن بحث الحقائق مجردة من الدوافع : لتوضع الأمور فى مواضعها ، خصوصاً ما يتعلق منها بكرامة الدين ، وما يمس حرمة الأنبياء والمرسلين !

ولكنى ما إن استمعت إليه ، إلا وأدركنى — رغم بكائى — من الغثيان ما يدركنى دائماً حين أستمع لأمثال هذه الأحاديث : التى أعتبرها سبة للرسول عليه الصلاة والسلام ، لا مدحاً له ! ونقصاً فى الدين لا إعلاء لشأنه ! وحطماً لقواعد الذوق والأدب لا إرساءاً لها !

وقد ذكرت ذلك لأعز صديق ، وأحب أخ : الأستاذ الدكتور محمد عمر زبير عميد كلية الاقتصاد . وأمين جامعة الملك عبد العزيز (وهو صديق صدوق للأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى) فرأيته — للأسف — مؤيداً لما سمعه منه . وهو فى ذلك معذور عذر الآلاف المؤلفة من صالحى هذه الأمة ! الذين يعطلون أنفسهم لصالح غيرهم ، ويتقيدون بقيود من الأوهام !

نقض حديث المعراج

وقد دعاني كل ذلك إلى أن أدلي بما أراه صواباً . أثاب عليه . فإن أصبت فالحمد لي وحسن الإصابة ! وإن أخطأت فيأجرني الله سبحانه بقدر إخلاصي له ، وتمسكي بدينه ، وحبي لرسوله !

ورجائي السلامة من خطئه ، والطمع في عفوه ومغفرته !

ومن رأى صواباً غير الذي قلته : فليهدني إليه . وهو في ذلك مشكور مأجور !

وإني أعد من بعد رأيي ، أن أنشره له : أمانة للعلم ، ورغبة في الحق ! وأن ألتزم برأيه ، إذا هداني الهادي له ، ووفقني إلى قبوله !

ولنبدأ الآن بعون من المولى سبحانه في رد هذه الأحاديث ، وإثبات ما رأيناه باطلا فيها !

ونحن إذا ما تكلمنا فيها فليس هذا تنقصاً من أقدار أناس ، وهبوا أنفسهم وقصروا حياتهم في حب الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستقصاء أحاديثه الكريمة من مظانها ومنابعها ، وأحسنوا ترتيبها وتبويبها ، مخلصين في ذلك كل الإخلاص متعبدين به أسمى التعبد طالبين من الله مولاهم الحق : الرضا عنهم بما قاموا به وإحلالهم مستقر رحمته بما صنعوا !

وليس تنقصاً من قدر البخاري ، أو مسلم رضي الله تعالى عنهما : بطلان بضع أحاديث وردت في صحيحيهما الحاويين لعشرات الآلاف من الأحاديث البالغة قمة الصحة ، وقمة الفضل والجودة !

وقد وعد المولى سبحانه بحفظ كتابه ، ولم يعدنا بحفظ كتب الصحاح من أحاديث رسوله ! والخطأ : جائز على كل مخلوق ، عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام !

فمن ادعى أن إنساناً ما — من غيرهم — لم يخطىء : لزمته الحجة ، وكان هو المخطىء في تصوره هذا !

والقرآن — الكريم — وقد وعد المولى سبحانه بحفظه — يجب تطويع المعقول له ؛ لا تطويعه للمعقول ! أما ما عداه : فيجب أن نأخذه بشريطة موافقته للعقل ، والعرف ، والدين ، والأخلاق

قواعد مناقشة هذا الحديث

وعلينا — قبل أن نناقش أحاديث المعراج — أن نضع أمامنا قواعد راسخة، وأسساً ثابتة، نحددها ونحتها: الأحاديث الصحيحة المعقولة المقبولة، وآيات الكتاب العزيز الذى «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».

فقد قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، حينما سأله بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: هل رأيت ربك؟ قال عليه الصلاة والسلام: «ذلك نور أنى أراه» أى كيف أراه!

وقول عائشة رضى الله تعالى عنها: «من قال: إن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية» ثم قرأت «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير».

وقول المولى سبحانه «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء».

فهذه هى الصور الثلاث: التى لا يكلم المولى سبحانه بشراً إلا فى حدودها!

وتقييد الآية بالبشرية «ما كان لبشر» ولم يقل «ما كان لأحد» أو «ما كان لمخلوق».

هذا التقييد، يحتمل تكليم المولى جل وعلا لغير البشر «كالملائكة المقربين مثلا» الذين هم ليسوا من البشر.

وقربهم من الله عز وجل، وتلقيهم لأوامره مباشرة، قد يقتضى مكالمتهم بغير هذه الصور الثلاث وقيودها.

وهذه الأسس التى ذكرت فى الآية الكريمة، والأحاديث الصادقة، التى ذكرناها لا يستطيع مسلم — مهما كان — أن يخرج عن منطوقها، ولا مفهومها، ولا إطارها العام.

وذلك لأن هذه الأحاديث الصحيحة — بمدلولها ومعناها — قد أجمعت، وتواترت على عدم رؤية الرسول الكريم، لمولاه العظيم «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير».

وقد جاءت الآية الكريمة بما يقطع كل شك وريب: إذ أوضحت أنه لا يجوز، ولا يصح، ولا يعقل، أن يكلم الله بشراً، إلا فى حدود الاستثناء الذى أوردته الآية:

إلا وحياً، أى إلهاماً، فى يقظة، أو منام، لأن من معانى «الوحى» لغة: الإلهام والكلام الخفى.

« وحياً » كوحيه تعالى لأم موسى « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم » .

وكوحيه جل شأنه للنحل « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون » .

وكوحيه سبحانه وتعالى للخضر عليه السلام ، بقتل الغلام ، وخرق السفينة ، وإقامة الجدار ، « وما فعلته عن أمري » .

ومناما : كوحيه تعالى إلى إبراهيم ؛ حيث قال لولده إسمعيل عليهما السلام « يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال ياأبت افعل ما تؤمر » .

ومن يوحى إليه في المنام يسمى بالمحدث — بفتح الدال المشددة — وقد رووا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قرأ « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث » وهي قراءة شاذة ، لعدم ورودها في المصحف الإمام .

وقد ذهب الإمام الشوكاني إلى أن المحدث هو الصادق الظن ، المصيب الفراسة وذلك تأويلا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « إنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد منهم ، فعمر منهم » وذلك لأن عمر رضي الله تعالى عنه : قد جاء القرآن والوحي موافقاً لقوله في كثير من الأحيان : مثل اتخاذ الحجاب ، والأسرى ، والأذان ، وغير ذلك ؛ مما هو معروف .

أو من وراء حجاب : بظهور صوت كريم ، لإله عظيم ! لا يتصف هذا الصوت بصفة من صفات أصوات المخلوقين : ارتفاع ، أو انخفاض ، أو نعومة ، أو خشونة ، أو جهورة ، بل صوت : يسمع ويفهم فحسب !

كتكليمه تعالى لموسى عليه السلام ؛ عند الشجرة ، وتكليمه جل شأنه لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ ليلة المعراج ، عند فرض الصلاة .

أو يرسل رسولا يرسل المولى عز وجل خيرة ملائكته : جبريل عليه السلام ، لخيرة خلقه : الأنبياء جميعاً عليهم السلام ، وإمامهم وخاتمهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم !

فإذا سرنا في مناقشة أحاديث العروج ، على ضوء ما قدمناه : ثبت لنا مما لا يقبل أدنى شك ، أن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه قد كلمه مولاه ، كما كلم موسى : صوت كريم ، بلا رؤية ، ونور بلا مصباح !

وفرض عليه وعلى أمته الصلاة . كما فرض على موسى وأمته ما فرض فى الألواح التى أنزلت إليه

كيف يكون محمد كموسى ؟

بق اعتراض واحد يجول فى خاطرى ، قبل أن يجول فى خواطر الآخرين ، وهو كيف يكون محمد — وهو من هو : مكانة ، وقدراً ، وسمواً — فى صف واحد مع موسى ؟!

وكيف يكون محمد ، الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، كواحد من العالمين ؟

ولم أجد فى نفسى عناء فى الإجابة على هذا الاعتراض الجدلى !

فشتان بين من تجرأ ، فطلب رؤية ربه ، وقال أرنى أنظر إليك ، واحتاج — فى إقناعه — إلى دك الجبل ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً .

شتان بينه ، وبين من طلب إلى السموات العلى ، فلم يزغ بطرفه إلى ما جال بخاطره ، ولم يطلب من مولاه مستحيلا !

وشتان بين من كلمه ربه فى أرضه ، ومن كلمه سبحانه وتعالى فوق سمواته !

وشتان بين من خاطبه المولى سبحانه بقوله ، ولتصنع على عينى ، ومن خاطبه الكريم بقوله ، فإنك بأعيننا ، .

العودة إلى أحاديث المعراج

ولنعد بعد ذلك إلى مناقشة ما جاء فى هذه الأحاديث ، وهى كثر : يضيق المقام عن ذكر بعضها ، وقد أصبحت محفوظة عن ظهر قلب للخاص والعام ، فلا داعى لذكرها . مكتفين بذكر ما تناولته اعتراضاتنا فحسب ، ومن أراد التفصيل ، فكتب الأحاديث ملأى بها ، وشتى التفاسير عامة بتفصيلاتها وتأويلاتها . وسنشير إلى بعضها إذا اقتضى المقام ذلك .

شق صدر الرسول عليه السلام

١ — فقد جاء فى بعض روايات هذه الأحاديث ، أن جبريل عليه السلام جاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فشق صدره الشريف ، وأخرج قلبه ، فغسله بماء زمزم . . .

قال . فأتيت بطست من ذهب ، مملوء حكمة وإيمانا ، فحشى بهما قلبه الشريف .

وقيل . إن قلبه الشريف ، قد شق مرتين .

ورواية الحديث تقول ، فحشى صدره ولغاديده ، (أى عروق حلقه) .

وهنا يحق لنا ، بل لكل عاقل أن يعترض

هل تُرى الحكمة والإيمان فى الطسوت ؟ ولو كانت هذه الطسوت من ذهب ، أو ماس ، أو زبرجد !

وما الحكمة فى أن المولى سبحانه وتعالى يجعل هذا أمراً مادياً ، ملموساً ، محسوساً ؟

وقد أورد المولى جل شأنه ، فى كتابه الكريم ، على رسوله الرؤف الرحيم ، فى شأن داود عليه السلام ، وآتاه الله الملك والحكمة ، وقوله عز من قائل ، يؤتى الحكمة من يشاء ، .

فكيف يؤتى المولى سبحانه وتعالى الحكمة لداود ، بل لمن يشاء من خلقه ، بغير شق صدور ، وإخراج قلوب ، وإدخال الحكمة فيها ، محمولة فى طسوت من ذهب ؟ !

كل هذا وأمثاله : يجعلنا فى حل من رد هذه الأحاديث وأمثالها !

ومن رأى صوابها ، فليصلها ، وأمره مفوض لربه !

٢ — وقد قيل . إن جبريل عليه السلام : صلى بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الظهر (أول صلاة : تعليما له) .

ويناقض هذا القول : حديث آخر جاء فيه . إنه صلوات الله وسلامه عليه ، صلى فى كل سماء ركعتين يوم أملاكها !

٣ — كما قيل : إنه عليه الصلاة والسلام قد أسرى به مرتين إحداهما ، فى نومه — قبل النبوة — والأخرى : فى يقظته .

وقيل : أسرى به : يقظة ، وعرج به مناماً ... الخ .

فساد القول بربط البراق

٤ — قد أجمعت الأحاديث الواردة كلها على أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، حينما وصل إلى المسجد الأقصى ، نزل عن البراق ، ثم ربطه بحلقة باب المسجد . أو ربطه جبريل بالصخرة كما قدمنا .

البراق ملكاً لا دابة

وهنا يحق لسائل أن يسأل: هل كان البراق دابة حملت الرسول الكريم [illegible]، أو تجمح، وتنطلق في الصحراء، كما تقع من شرار الدواب؟ أم كان ملكاً مكلفاً بحمله صلوات الله تعالى وسلامه عليه، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما ورد في الكتاب الكريم.

فإذا افترضنا أنه دابة، فأين من الأحاديث والروايات ما [illegible] عند [illegible] إلا [illegible] عن مكانه!

وإذا كان ملكاً — كما [illegible] في الأحاديث — فكيف [illegible] الملك، [illegible] الحيوانات!؟

وفي الحالين أين جبريل وميكائيل عليهما السلام، وقد كانا سيرافقانه في ركابه كما ورد

وقد جاء في إحدى روايات هذا الحديث أن جبريل عليه السلام أتى الصخرة ببيت المقدس، فوضع أصبعه فيها فخرقها، فشد بها البراق.

جبريل الذي يرفع البلدة بما فيها ومن فيها إلى عنان السماء، [illegible] على [illegible] البراق الذي [illegible] أنه ليس بحيوان [illegible] ولا [illegible] من الأملاك الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٥ — وجاء أيضاً في هذه الأحاديث أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه صلى في بيت المقدس، ليلة أسرى به

وقد أنكر كثير من الصحابة هذه الصلاة

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه: لو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه

وقد رأى بعض الصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام في [illegible] بعد خروجه [illegible] الأعلى، فقال له: يا رسول الله، إن ناساً من أمتك يحدثون عنك في [illegible] [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم، [illegible] ذلك حديث القصاص.

---

١ — يراد بالسرى [illegible] الإسراء والسرى كالهدى [illegible]

طرق جبريل لأبواب السموات

٦ — ويأتى بعد ذلك : الصعود إلى السموات ؛ وكيف كان يطرق جبريل عليه السلام باب كل سماء منها . فيقال له : من ؟ فيقول : جبريل . فيقال : ومن معك ؟ فيقول : محمد فيقال : أوقد أرسل إليه ؟ فيقول : نعم

علم الملائكة . أوسع من علم البشر

هذا وإن من المقطوع به أن جبريل عليه السلام رئيس الملائكة المكرمين . وأن من فى السموات يعلمون بصعوده إليها . وهبوطه منها . لأنهم ليسوا من البشر الذين لا يعرفون وراء ما يرونه بأعينهم . ويلمسونه بأيديهم

بل إن من البشر من يعلم من يطرق بابه . ومن يكون مع هذا الطارق ؟

وعلى هذا أبسط المشتغلين بفن التنويم المغناطيسى

ومن الواضح — عقلا ونقلا — أن ملائكة السماء خير من سكان الأرض معرفة لما يجرى ، وإدراكا لما يدور

وإن أردنا أن نوضح ذلك نقلا : فقد جاءنا جبريل الأمين ؛ بما أوحاه إليه رب العزة فى قرآنه الكريم الحكيم ؛ على لسان الجن « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً »

فأين الحرس إذن ؟ وأين الشهب ؟ عند وجود غريب عن السماء ؛ فى السماء . إن لم تكن هناك شدة تمنع مجىء هذا الغريب . واستعداد مسبق لملاقاته وتلقيه !

وما ذكر فى الحديث — فى هذا الصدد — أسباب علمها الله سبحانه وتعالى . وأعطى مخلوقاته . التى اختصها بقوى . وقدرات . ليست بمقدور البشر . ولا طاقتهم !

بكاء موسى عند لقاء محمد

٧ — وبعد ذلك : يذكر الحديث لقاء الرسول بموسى عليهما الصلاة والسلام ، وأنه بكى عند لقائه ؛ فقال له جبريل : ما يبكيك يا موسى ؟ فقال : أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتى !

موسى عليه السلام : يقول عن الرسول عليه الصلاة والسلام مثل هذا الكلام !

أفمن يسمع هذا فيصدقه ! أو يسمعه فلا يحاربه !

وهذا الكلام الذي يزعمون أن موسى نطق به ، يبتعد عنه دهماء الأمة وغوغاؤها ، الذين نسمع منهم مثل هذا الابتذال !

فكثيراً ما نسمع مثل هذا الهراء ، والبذاء من طغام الناس ، فيؤذي سمعنا وأذواقنا ما يقولونه !

هذا فضلا عما فيه من الحقد على من وهبه الله تعالى خيراً وفضلا من لدنه !

وهذا الحقد الذي يروونه صدر عن من ؟!

صدر من نبي من خيرة أنبياء الله تعالى ، وصفوة رسله ، وفي دار البقاء ، بعد أن أذهب المولى سبحانه عن عامة الناس وخاصتهم كل حسد ، وغل ، وحقد ، فما بالك بخاصة الخاصة : من المرسلين والنبيين ؟!

وهذا القول يتنافى مع قول الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

فمنطوق هذه الآية الكريمة يتنافى مع ما نسبوه لموسى ضد محمد . وقد أخذ الله على موسى وعلى سائر الأنبياء معه المواثيق والعهود على الإيمان به ونصرته !

وهل من الإيمان به ونصرته أن يقول عن محمد : « مثل هذا الكلام » وفي هذا القول ما فيه من الكفر بمحمد ، لا الإيمان به ! وخذلانه لا نصرته . ونقض ميثاق الله تعالى ، لا الوفاء به !

وبعد ذلك يلزموننا إلزاماً بأن نقبل هذا الحديث ، ونجعله أساساً من أسس الدين والإيمان !

موسى لم يكن حاقداً على محمد

وموسى عليه السلام وقد اجتباه ربه رسولا نبياً لم يكن في حياته الدنيا ممن تتصف بهذه الصفات الخسيسة . وإلا لما اختاره الله تعالى لما اختاره له ! فكيف به ، وقد لقي مولاه ، وصار قريبه متمتعاً برضوانه ورضاه !؟

ووصف موسى لمحمد بالغلام فإنه [illegible] تجاوز للأدب ومنافاته للذوق [illegible] والغلام لغة: الصبي حين يقارب البلوغ، والخادم الصغير

سن الرسول عند الإسراء

وقد أسرى بالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه بعد نبوته بعشر سنين، وقد بلغ بعد الأربعين.

والراجح أن سنه عليه الصلاة والسلام حين أسرى به [illegible] إحدى وخمسين سنة، وتسعة أشهر، وثمانية وعشرين يوماً

أما من قال: إنه أسرى به قبل بعثته فقد أخطأ خطأً [illegible]

إذ كيف تفرض على أمته الصلاة ولم يرسل إليها بعد، ولم يعلم بنبوته أحد

بل لم يعلم هو نفسه أنه سيكون نبياً يوماً ما!

٨ — وجاء أيضاً في هذه الأحاديث: أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى فوق السموات السبع: النيل والفرات — أي والله النيل والفرات

وكلنا يعلم أن النيل: في مصر والفرات: في العراق

وكلنا يعلم أيضاً من أين منبع النيل، وأين يصب، ومن أين ينبع الفرات وأين يصب

ومهما قيل من تعلات، فهي حقائق ثابتة، [illegible] عليها، والوقوف عندها

فإن قيل: إنهما في السماء [illegible] لكنهما في الأرض [illegible] فلم [illegible] الأرض، [illegible] من السماء [illegible] حتى المسيحي، والأمريكاني، والإنجليزي، [illegible] والروسي والفرنساوي!

تقدم محمد وتراجع جبريل

٩ — وقد جاء في هذه الأحاديث — المنكرة الغريبة — أن محمداً وجبريل عليهما الصلاة والسلام، حينما وصلا إلى سدرة المنتهى، قال جبريل لمحمد: تقدم أنت يا محمد فإنك إذا تقدمت اخترقت، وإذا تقدمت أنا: احترقت[1]!

---

١ — هذه هي رواية الأستاذ الشعراوي كما رواها في محاضراته التي ألقاها [illegible] ولم أعثر على هذا المنطوق فيما بين يدي من المراجع

وهي قالة، ليس لها معنى سوى إرادة تفضيل محمد عليه الصلاة والسلام، على جبريل عليه السلام. وهي مسألة [illegible] كما قدمنا آنفاً [illegible] مقطوع بها، ولا بين جبريل [illegible]، ولا جدلا وفيها من الغرابة ما فيها [illegible] فكيف يحترق جبريل في المكان الذي يجيء فيه كل وقت وحين؟! والذي هو مكان رضاء ورحمة، وليس مكان غضب ونقمة!

أليس جبريل رسول الله، إلى رسول الله؟

وكيف يتقدم الرسول إليه، ولا يتقدمه الرسول؟

وفي بعض روايات هذا الحديث [illegible] أن جبريل عليه السلام، وقع مغشياً عليه

ولأول مرة نسمع أن أحد الملائكة وقع مغشياً عليه في الدنيا [illegible] ومن قبل أن [illegible] خلائق خوفاً عند [illegible]

ومن المعلوم أن جبريل عليه السلام له صورتان: صورة [illegible] مع محمد عليه الصلاة والسلام، لإبلاغ قلبه، وصورته الحقيقية، [illegible] في الأحاديث التي وردت [illegible] ما بين الأفق! فمن كان [illegible] في صورته الحقيقية، أم في صورته الإنسانية؟

وهنا يطرأ سؤال آخر: كيف يتصعد جبريل إلى [illegible] مع الملائكة وصورته الإنسانية؟

١٠ — وبعد ذلك النبي محمد عليه الصلاة والسلام [illegible] جل وعلا (كما يروون)

فرض الصلوات

قال: فخرجت [illegible] عز وجل فقال لي: يا محمد، يوم خلقت السموات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك،

عدم استطاعة القيام بهذه الصلوات

يا للهول! إن الرب [illegible] الرؤوف الرحيم، اللطيف [illegible] الذي أخبر في محكم كتابه، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وصدقها [illegible]، ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها، من القوة والجهد

يفرض الرب تعالى [illegible] هذه [illegible]، وهذا كلامه — على عباده الضعفاء — فوق وسعهم وطاقتهم [illegible] خمسين صلاة في اليوم والليلة!

ومن المعلوم أن اليوم والليلة يحتويان على أربع وعشرين ساعة فيحصص للصلاة ثمانية وعشرين دقيقة !

فانظر وبحث أيها المسلم لعقل وليس بغافل ! العالم ، وليس بجاهل ! العادل ، وليس بظالم !

يقول المولى سبحانه وتعالى : وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، فأين الناس ، وأين المعاش ، في هذا الخصم الزاخر بالقيام والقعود ، والركوع والسجود ؟ ؟

وقد قال الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى لا يمل حتى تملوا » .

وأي إنسان لا يدركه الملل من صلوات حسب يؤديها تباعاً لا يكاد يجلس ، حتى يقوم ولا يكاد يقوم ، حتى يجلس . وهكذا حتى تصعد روحه لبارئها ، لا أقول راضياً مرضياً ، بل أقول : ضائعاً بما كلفه به الودود المجيد !

وأين الذي لا يمل من اقتصاد أيامه وجهاده في العبادة ، التي لا تترك له وقتاً لمعاشه ، أو لرعاية أبنائه ، بل ولا لإنجابهم !

اللهم سوى رسل الله تعالى وأنبيائه وعلى رأسهم محمد بن عبد الله الذي بات يصلي حتى تورمت قدماه !

يجب أن تكون الصلاة : أحب العادات للنفس

وإن الصلاة ، وهي أحب العادات إلى النفس ، ... المؤمن بالعصا ، و ... ليؤديها مؤديها ، وهو راغم ! وهو بذلك يكفر ، أو يقارب الكفر !

فالصلاة التي هي عماد الدين ، بل عماد الحياة أصبح المصلي ... تابعاً ما سمع من دعاة الإسلام ، وتقوى الله تعالى وعصمته أصبح يؤديها ، وكأنه عائد من مكروه أصابه وغم نزل به !

الصلاة : التي كان الرسول الأعظم صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، يقول لمؤذنه أرحنا بالصلاة يا بلال ! والتي كان عليه الصلاة والسلام : يفزع إليها إذا حزبه أمر ، أو لقيه مكروه !

هذه الصلاة نصبها ، و... أمرها وسمها أصبح المسلم — الذي ما فرضت الصلاة إلا من أجل راحته — يتعب من أدائها ، ويئن من وقتها !

وهي ما فرضت عليه ، ولا يفزع إلى ربه في ساجتها — إذا ناله مكروه ، أو نابته نائبة !

يلاقي المسلم إنساناً — وقد يكون هذا الإنسان كافراً لا يؤمن بالله ، ولا باليوم الآخر — فلا يزالان في حديث تلو حديث ، على شوق منهما وتلهف ، وحين يفترقان عنه كلاهما سعيداً بما لاقاه من الآخر ، من حديث قد يكون تافهاً ، وحب قد يكون رياء ونفاقاً !

يحادث صديقه — وهو منصرف إليه بكليته — في جده وهزله — فإذا ما وقف للصلاة مع ربه ومالكه ، وخالقه ، ورازقه : حلت بأفكاره كل شواغل الحياة : حرامها قبل حلالها ، وسيئها قبل حسنها !

حتى إنه ليفكر — حين صلاته — في مؤمن يؤذيه أو صديق يدبه أو فتنة يفتنها ، أو امرأة يسطو على عرضها !

فانظر — رحمك الله وهداك — إلى أي مدى وصل الإنسان المدعى الإسلام في صلاته مع ربه

يفرح للقاء صديقه ، ويحنو له ، ويرنو إلى حديثه

أما الصلاة : فإنه يستكثر بضع دقائق يقضيها في نعيم لقاء ربه ومناجاته ويعود منها وكأنما هو عائد من معسكر تدريب شاق أو من لقاء خصم عنيد !

وكأنما خلص من العناء ، إلى الراحة ، ومن الشقاء إلى السعادة

فأي كفر هذا ، وأي إثم : سوّلهما الشيطان اللعين ، إلى أصدقائه من المغفلين !

١١ — وجاء أيضاً في هذه الأحاديث أنه عليه الصلاة والسلام ، عند نزوله — بعد فرض الخمسين صلاة — مر بموسى عليه السلام فسأله موسى بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، فقال له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا تطيق ذلك

قال : فلم أزل أرجع بين ربي ، وبين موسى : ويحط عني خمساً خمساً (كأنه راجع ربه تسع مرات)

قال : ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي ، على أدنى من هذا : فضعفوا فتركوه وأمتك أضعف أجساداً ، وقلوباً ، وأبداناً ، وأبصاراً ، وأسماعاً ، فارجع فليخفف عنك ربك

فرجع محمد – كعادته في اتباع موسى والاستماع إلى ما يقوله – إلى ربه ، قائلا يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم ، فخفف عنا

فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد ! قال : لبيك وسعديك ! قال : إنه لا يبدل القول لدى ،

فرجع إلى موسى ، فقال : كيف فعلت ؟ قال : خفف عنا ، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها ! قال موسى : قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه . ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا موسى قد والله استحييت من ربي عز وجل مما أختلف إليه ! قال موسى : فاهبط باسم الله !

وقد زعموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اختلف إلى ربه تسع مرات بغير حياء ولا وجل !

ويروي هذا الحديث رواته : بغير حياء ولا وجل !

ويصدقه من يصدقه بغير حياء ولا وجل أيضاً !

أكان موسى عليه السلام أبر بأمة محمد من محمد عليه الصلاة والسلام ؟ أو أرأف بها من الله الرؤوف الرحيم ؟ وأعرف بهم من خالقهم عز وجل

١٢ – وفي بعض روايات الحديث أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مر على موسى ، وهو يصلي في قبره ! فأين هو من السماء السادسة !؟

ارتفاع صوت موسى على صوت مولاه

١٣ – هذا ، وفي بعض روايات هذا الحديث العجيب أن الرسول عليه الصلاة والسلام سمع في السموات العلا صوتاً عالياً ، فقال : يا جبريل عليه السلام من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسى . قلت : ومن يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك ! قلت : ويرفع صوته على ربه ؟ قال : إن الله قد عرف له حدته

يا هول ما نقل ! ويا لقبح ما نسمع ! ويا حسرتا على مصدق هذا الهراء !

يقول المولى سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد ، تأديباً للأمة وتعريفاً لقدر رسوله عليه الصلاة والسلام : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون »

والنبي عليه الصلاة والسلام بشر مثله، ولو أنه ليس كسائر البشر!

فيأتي موسى، فيرفع صوته فوق صوت ربه، وخالقه، ومالكه! إنها لإحدى الكبر! ويا ويح من يصدق ذلك، ويا بؤس من لم يدفعه، ويحارب من أجل بطلانه!

ثم دنا فتدلى

وفي بعض روايات الحديث: «ثم دنا الجبار فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى».

١٤ — وقد جزم الأستاذ محمد متولي الشعراوي — في ألفاظ واضحة — بأن قول المولى سبحانه وتعالى: «ثم دنا فتدلى»، يعني أن الجبار القهار دنا من محمد وتدلى إليه!

وزعم أنه دنو: لا كدنونا! وتدل: لا كتدلينا!

وهو قول قالته قلة لا يعتد بها، وقد رد على ذلك فضلاء الصحابة جميعاً، ونفوه نفياً قاطعاً، وعابوه عيباً شديداً!

فهذا الدنو المزعوم: ليس كنزول المولى سبحانه إلى السماء الدنيا (كما ورد في الأحاديث) وليس كقوله تعالى في الحديث القدسي «ومن أتاني ماشياً أتيته هرولة»، فليس هذا حقيقة واقعة؛ بل هو على سبيل المجاز.

وإلا إذا تصورنا أن المولى سبحانه يدنو من بعض عبيده ويتدلى إليه، وينزل بنفسه، لا بأمره، وأنه تعالى يمشي هرولة!

إذا تصورنا هذا حقيقة، لكان بعدنا عن الصواب بُعد الله سبحانه وتعالى عن مشابهة مخلوقاته!

وممن عاب هذا التأويل الذي يتبناه الشيخ الشعراوي — جملة من الصحابة، منهم ابن مسعود، وأبو ذر الغفاري، وعائشة، والبيهقي من المتأخرين، وغيرهم، ولا نعرف غير مخالف من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، في هذا التأويل، وأن الدنو [illegible] بالدنو، والتدلي، والرؤية لجبريل عليه السلام، ولا قول بغير خلاف هذا!

وقد أثار أيضاً الأستاذ الشعراوي حديث «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وكأن هذا الحديث لم يرو لديه، فتناوله بعض العلماء مقرراً ألا جهاد يعصى الجهاد في سبيل الله! وقد غاب عنه أن جهاد النفس هو السبيل الأوحد للجهاد في سبيل الله، الذي لا يجيء إلا بواسطة مجاهدة النفس وقهرها عن شهواتها! وبذلك ترخص أمامها الدنيا، وتسمو الآخرة بما فيها من نعيم مقيم.

٥) — هذا ، وأنه لمما لا شك فيه ، أن رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم ، أفضل الرسل على الإطلاق ، وإمامهم !

إبراهيم والملكوت

ورب إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى أثنى الله سبحانه فى حقه ، « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » .

قد يقول قائل : كيف لا يرى محمد : ما رآه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، من ملكوت السموات والأرض ؟

فإذا ما استوعبنا معنى الآية الخاصة بإبراهيم عليه السلام : وجدنا أنه رأى من ملكوت الأرض : فساد عبادة غير الله سبحانه وتعالى « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

ورأى من ملكوت السموات : كبار الكواكب . فظن أنها قد تكون أربابا « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى . . . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون »[١]

ولما تبين له فساد ما ظنه صحيحاً ، لظهوره لتغيره عليه . والإله يجب أن يكون ثابتا لا يتغير : طلب الهداية من مولاه ، الذى خلقه ورباه « لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » .

فلما رأى إصرار قومه على عبادة مالا يجوز أن يعبد ، بعد إبداء الحجج الناصعة القاطعة على فساد تلك العبادة : شرع فى تحطيم أصنامهم بطريقته التى لا يستطيع فهمها عاقل ! فأتى أصنامهم وحطمها بيديه « فجعلهم جذاذاً » .

١ — الراجح أن إبراهيم عليه السلام : فعل ما فعل ، وقال ما قال ، ليحاج قومه ، ويفهمهم أن هذه الكواكب — رغم عظمتها وفخامتها — لا يصح عقلا أن تكون آلهة ؛ فما بالهم بآلهتهم المصنوعة ؟ التى هى من الحجر الأصم ! وسياق الآيات تقتضى ذلك التأويل

وهي حجة الملموسة ، التي لا يتطرق إليها شك ، تحوي عظم الخالق ويهيمنه ، فلا يستطيع الخالق أن ينال منه شيئاً !

هذا مبلغ ما رآه إبراهيم من ملكوت السموات والأرض

محمد والملكوت

فإذا ما أردنا أن نفهم مدى إراءة رسولنا عليه الصلاة والسلام لملكوت السموات والأرض نرى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن بربه جل وعلا فوق إيمان الملائكة جبلة ، وعصمة ، ووحياً !

آمن حين ولد من بطن أمه ، موحداً ، رافعاً أصبعه إلى السماء ، موجهاً بصره إليها !

وظل صلوات الله تعالى وسلامه عليه : محفوفاً بعناية ربه وكلاءته ، لم يقع منه ما هو خلاف الأولى ، ولم ينزل من عليائه إلى عفو المباحات !

بل ظل طوال حياته يرتقي درجات الكمالات ، مدفوعاً إليها بنفسه الطاهرة ، وبعون من ربه تبارك وتعالى ، حتى بلغ فوق السموات ! فاختصه مولاه عن احتضنه وحباه بما حباه !

ولاقى بعد ذلك من عنت قومه وأذاهم ما لاقى ! فلم يثن ذلك من عزمه ، ولم يفت في عضده !

بل جادلهم بالحجة والموعظة ! وكلما ازداد إيذاؤهم له ، ازداد عطفه بهم ، عليهم !

وكلما زادوه حمقاً وسفهاً ، زادهم حلماً ورفقاً !

ولم يرده وصفهم له بالجنون ، والسحر ، والكذب ، سوى دعائه لهم بقوله ، رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

هذا هو خيرة أنبياء الله ، كما أراده الله !

وهو ليس في حاجة إلى إعلاء شأن ، أو رفعة قدر ، فقد أعلى المولى الكريم شأنه ، ورفع قدره !

(١٦) — هذا وقد تطرق الأستاذ محمد متولي الشعراوي (في محاضراته التي ألقاها في التليفزيون) إلى قوله تعالى «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» وأن لفظ «الكبرى»

ليست وصفاً للآيات بين المعنى لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه ... مبدأ بذلك المعنى آية لقائه ليلة المعراج ربه ... العصوات عنه

وهو معنى لا يوافقه عليه ... عن استجياء ما لتعددها لمرتد عصيه . وعزيز عنه ، وناقص تقواه !

وكما قال المولى سبحانه محمد ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، فقد قال نظيره لموسى ، لنريك من آياتنا الكبرى ، ولا فرق في الخطابين بين اللفظين ، وبالتالي بين المعنيين

فموسى رأى آيات كثيرة من آيات ربه مكالمة المولى سبحانه له ، وإبدال العصا حية وإنارة يده بعد وضعها في جيبه ، وفضح سحر السحرة الذين جمعهم فرعون ... وإيمانهم به !

وعد ... رأى أيضاً آيات كثيرة من آيات ربه في أرضه ... وفي سمواته ... أصبح مولاه من شأنه على غائب حسه ، وما ظهر عنده !

فرأى — في سماوات ربه عز وجل — عين القصد ، وصدق وعد ... الحسنى ! وتأكد الوعيد لمن استوجب سواه !

... أى حب مولاه ... قد ... في السموات ،

ورأى من آيات ربه آيات وأى آيات

ثم عاد إلى حيث كان ، وقد حسدت أمامه عينيه المغرورة ، فضرب حسيه ... لا ... فيها ولا عوض !

كل هذه الآيات ، أراها له مولاه ... من غير طلب ولا مطمع

فقد كان يطلب منه ... من رآه ... أن ... في سماء ... وهل كنت إلا بشراً رسولا ، .

فأبدله المولى ... عن ... نصيب أهل الأرض عنه ... شرف الصعود إلى السماء ومنحها له !

... هـــذه الاحاديث :

١٧ — وهذه الأحاديث التي أشرنا إليها ... فسردها بعض أهل ... الأحاديث ، وعلمائهم

لقد أورد الإمام ابن كثير أغلبها وأشار إليها بقوله

مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح، ومنها ما هو منكر!

إن فيها غرابة، ونكارة جداً!

سياق فيه غرائب عجيبة!

في بعض ألفاظه غرابة، ونكارة شديدة!

وقد قيل عن بعض رواة الحديث: إنه اضطرب في هذا الحديث، وساء حفظه ولم يضبطه!

١٨ — وحين يقول المولى سبحانه وتعالى لنا معشر المسلمين: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»: فإنه يريد منا أن نطيعه جل شأنه بطاعة رسوله، الذي لا ينطق عن الهوى

وطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة فيما أمر به أو نهى عنه، أو فعله بنفسه كل ذلك حال حياته

ويستمر الأمر بتلك الطاعة، بعد لحوقه بالرفيق الأعلى، بشرط أن يصح ما ينقل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم صحة كاملة. وأن يكون ما يروى عنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه في حدود الأخلاق، والمعقول، والمقبول ذوقاً وعرفاً!

بل في حدود ما عرف عنه عليه الصلاة والسلام من كريم السجايا، وحسن الخلال!

فإذا ما روى راو: أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قال: «حبب إلى من دنياكم النساء» وجب أن نذيع كذبه، وأن نشيع فسقه!

وإذا ما روى راو: أن الرسول المعصوم رأى زينب بنت جحش، وقد كشف الهواء ثيابها، فأعرى ساقيها، وأنه هويها. وبدا لها منه ما ينبئ عن ذلك. فذكر له زوجها زيد طلقتها ليتزوجها الرسول!

إذا زعم ذلك زاعم، فنا له: كذبت، وحنثت!

لذلك: لا يجوز أخذ مثل هذه الأحاديث على علاتها بغير ما تمحيص وفهم، وتدقيق!

إذ أنها مصدر من مصادر التشريع، كالقرآن تماماً!

والقرآن قد حفظه مولاه عز وجل! ونحن مهما بالغنا في المحافظة على الأحاديث فلن نصل إلى ما بلغه القرآن من حفظ المولى له! وأين حفظ البشر، من حفظ خالق البشر؟!

الإفراط والتفريط

١٩ — هذا وإن آفة كل الأمم الإفراط والتفريط

اليهودية :

فالأمة اليهودية فرطت في كل شيء — حتى الأعراض — وأفرطت في حب المال وحده ، وجمعه : يسرفون في سبيل جمعه ، ويفنون !

يجمعونه من حل أو حرام (وقد يحبون الحرام عندهم عن الحلال) ويهدرون في سبيل ذلك كل مقدساتهم (إن كانت لهم مقدسات)

النصرانية

والأمة المسيحية ، فرطت في حق ربها ، وأفرطت في حق رسولها فجعلت من رسولها إلهاً ، وما هو بإله ولا ابن إله ، وحاشا للإله أن يلد ! وديناً من أخس خطاياهم التي لا يمحوها طلب آلاف الأنبياء !

الإسلامية :

والأمة الإسلامية — حفظها الله تعالى ، ونقى عنها أوضارها — فرطت في حق ربها من التكريم والتمجيد ، وأفرطت في حق رسولها أكرم الرسل عليه الصلاة والسلام ، حتى قاربت أن تقول فيه ما قالته وقفوه النصارى في نبيهم !

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم !

وها نحن أولاء نردهم عما فرطوا فيه في حق ربهم ، وما أفرطوا فيه في حق نبيهم !

الطريق إلى نقض ما اتجهنا إليه

وعلى من يريد أن يؤيد هذه الأحاديث ، وينقض ما قلناه فيها ، أن يسأل نفسه هذه الأسئلة ، وأن يحسن الإجابة عليها

١ — لماذا شق صدره الشريف ؟

وإذا كانت الإجابة : لإخراج حظ الشيطان منه قلنا ، ولم شق صدره الشريف مرتان — كما جاء في بعض الأحاديث — وهل حظ الشيطان يعود بعد الشق والغسل ؟

٢ — هل شقت صدور كل الأنبياء ؟ أم بقي فيها حظ الشيطان ، كسائر بني الإنسان ؟ أم كان الشق : خصوصية لمحمد عليه الصلاة والسلام !

وما تأويل قوله تعالى عن يوسف عليه السلام ، إنه من عبادنا المخلصين ، وقول إبليس ، ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

فكيف كان يوسف ممن لا سلطان لإبليس عليهم ، من غير شق صدور ، وكان صدر نبي عليه الصلاة والسلام فيه حظ للشيطان ، احتاج معه إلى شق صدره الشريف مرتين ؟

٣ — وإذا استبعدنا أن صدره الشريف قد شق فعلا ؛ فكيف نستسيغ حشوه حكمة وإيماناً !؟

٤ — وإذا صدقنا جميع ذلك ، فكيف نعرف الحكمة والإيمان في طست ولو كانت هذه الطست من ذهب ، أو فضة !؟

٥ — لماذا ربط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم البراق في حلقة باب المسجد الأقصى ؟ أو لماذا يخرق جبريل عليه السلام صخرة بيت المقدس بإصبعه ، ويربط فيها البراق ؟ كما جاء في بعض الروايات ، وهل كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أن البراق ملكا ، أو دابة ، أو لا يعلم ذلك ؟

٦ — لماذا سئل جبريل عند كل سماء عن نفسه وعمن معه ، وهو معلوم لأهل السماء ، معرفة لا تقبل الشك ؟

٧ — وهل اعتاد الحرس طرق أبواب السماء ، ليفتح لمن يراد إدخاله ، ويرد في وجه غيره ؟

٨ — لماذا قال جبريل لمحمد عليهما الصلاة والسلام — عند بلوغهما سدرة المنتهى تقدم يا محمد ، فأنت إذا تقدمت اخترقت ، وأنا إذا تقدمت : احترقت !؟

وإذا كانت الإجابة : لظهور فضل محمد ، وعلوه ، ودنوه على جبريل : فأين يكون جبريل إذن : عند تلقيه من رب العزة ، ما يلقيه إلى أنبياء الله تعالى ، وعلى رأسهم محمد عليه الصلاة والسلام !

٩ — كيف يكون الجن والعفاريت، فوق السبع سموات، وهنا في الأرض: نجد مصالحهم، ونعرف مصائبهم!

١٠ — كيف يتصور إنسان أن يراجعه إنسان آخر — فيما يقوله، أو فيما يأمر به — ثلاث مرات، بغير ما وحى، أو استحياء! فكيف بإنسان يراجع رب العزة تسع مرات؟

١١ — وماذا وضع موسى [illegible] في هذا الحديث — موضع المرشد لمحمد، والناصح له؟ ولم لم يكن ذلك الناصح إبراهيم — مثلاً — وهو رأس الملة الحنيفية، وأب الأنبياء، وجد لنبينا: عليهم جميعاً الصلاة والسلام!

١٢ — كيف يستسيغ إنسان أن يتصف نبي، موسى، بالحقد على محمد، وهو يعرف قدره، مع محبة ربه له، وهيمنته عليه! فيبكي — حقداً وحسداً — [illegible] ويقول فيه مثل هذا الكلام!؟

١٣ — كيف يعقل عاقل، امتهان موسى لعزة ربه وجلاله؛ فيخاصمه مخاصمة الند للند؛ بل أحط، وأشد!؟

١٤ — ما الرد على ما قاله أئمة المفسرين والمحدثين من كلام تناول هذه الأحاديث، يبلغ حد الطعن في صحتها، وإنكار ما حوته، وتجريح بعض رواتها؟

كلمة أخيرة

إنه لا يضير اللآلئ والجواهر، ولا ينتقص من قدرها، ولا ينقص من بريقها وضوئها: أن يعلوها غبار عابر!

ولا يطعن في أصالتها وجودتها أن يقوم مسلم بإزالة هذا الغبار الذي لحق بهذه الجواهر واللآلئ؛ فتبدو أكثر لمعاناً، وأشد بريقاً وتلألؤاً!

وإذا ما وازنا بين خدش ذلك الغبار الشائع لدى [illegible] صحة الصحيح، وأئمة أهل الفضل والصدق من المحدثين، بعد أن أفنوا حياتهم في تحصيله، والحرص على نفي الشوائب عنه ومنه!

إذا وازنا بين ذلك، وبين هدم ما بناه المولى سبحانه وتعالى في نفوسنا من موازين لا نؤاخذ إلا بها، ولا نثاب إلا بنتائجها!

لا نجد مخلصاً من اتباع ما أراده الله جل شأنه من عباده ، حين خاطبهم بقوله « لقوم يعقلون ، لقوم يتفكرون ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

فإذا عرضنا ما ورد في هذه الأحاديث على العقل ـ فعلاً ـ أو على الفكر ، أباها وإذا تدبرناها : وجدنا الحق فيما سواها !

فكيف نلاقي يوم التلاق ربنا ، وقد عطلنا أنفسنا تعقل غيرنا ، واتبعنا ما لا تستسيغه عقولنا التي وهبنا إياها ، لنفرق بها بين الحق والباطل ، والعالم والجاهل !

فإذا قيل : إنه البخاري ومسلم ، وما أدراك ما البخاري ومسلم ! قلنا ما قلناه آنفاً : إن المولى سبحانه وتعالى لم يتعهد ، إلا بحفظ قرآنه الكريم وحده ، ولم يتعهد بحفظ غيره ، ولو كان هذا الغير : البخاري ومسلم !

وهذه سنة المولى سبحانه وتعالى ، حتى في كتبه الأخرى ، التي أنزلها ملائكته على أنبيائه ورسله : لم يحفظها ، لأنه لم يتعهد بحفظها !

ولن يضير البخاري ومسلم ، أن يعاب بعض أحاديث من عشرات الألوف من الأحاديث البالغة نهاية الصحة ، وغاية الدقة !

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً ، أن تعد معايبه

وليس معنى ذلك ، أن يأتي كل من هب ودب ، فيعترض على أحاديث سيد الخلق التي صحت روايتها عن سادة الأمة الإسلامية ، ويقول : هذا الحديث غير معقول ، أو هذا الحديث غير مقبول ، لهوى في نفسه ، وعرض قذفه الشيطان في قلبه !

فإن تكذيب حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، كالكذب عليه تماماً !

عافانا المولى بمنه وكرمه ، من التكذيب والكذب ! فقد قال عليه الصلاة والسلام « من كذب عليّ عامداً متعمداً : فليتبوأ مقعده من النار » .

وها أنا أخاف المنان ، شر ناره ، وأتبوأ مقعد صدق مع من رضي عنهم ورضوا عنه

وبالذي قدمناه من بحث وأدلة : تتلخص في مجموعها حقيقة يقينية ، تخرج بنتيجة واحدة لا مناص منها ، ولا محيد عنها ، هي أن هذا الحديث وأمثاله مدسوس على فضلاء المسلمين من أعداء الدين ، وعلى رأسهم اليهود الملاعين ، ليشوهوا به جمال الدين ـ وهو في قمة الجمال ، وليحطوا من جلال الإسلام ـ وهو في قمة الجلال !

وقد أرده عما قصد ، ورد سهامهم فى نحورهم ، وكيدهم إلى صدورهم ليبوءوا دائماً بالخزى والخسران !

ولا يخفى على القارئ الحكيم أن عتاة اليهود كانوا يعلنون الحرب العربية ، حقداً ، ومكراً ، وكيداً ولؤماً وخبثاً ، وخسة !

ولم يكن لهم من سلاح يستخدمونه سوى هذا السلاح الذى أعدوه ، ويعدونه دائماً !

حمانا المولى سبحانه من كيدهم ، وأبان لنا سوء مقصدهم !

ولولا ضيق المقام ، لأتينا فى ذلك بالعجب العجاب !

وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ، ونعم النصير ! ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم

هذا وقد رأينا — إتماماً للفائدة — أن نلحق بهذا الباب بعض أخطاء المفسرين ، وسقطات المحدثين !

أخطاء المفسرين: قدامى ومحدثين
وسقطات المحدثين

بعض أخطاء المفسرين ، وسقطات المحدثين !

ذهب كثير من فضلاء المفسرين إلى عدم جواز ربط بعض الآيات الكونية بالعلم الحديث ؛ بحجة أن مفهومات العلوم الحديثة : تتغير بتغير النظريات العلمية التي كثيراً ما يخطئ.

فلا يجوز أن نربط معاني الآيات بهذه النظريات ، فننسب بذلك إلى القرآن الكريم ما لا يصح أن ينسب إليه .

وهذا القول صحيح إلى حد ما ؛ بيد أن هناك نظريات علمية قد بلغت حد المحسوسات والمرئيات :

فليس من أحد يستطيع أن يتشكك في كون الأرض كروية ، أو أنها متحركة ، أو أنها تدور في فلك الشمس ... الخ هذه العلميات المقطوع بها .

هذا وقد حركت هذه الأفكار شجوني وأشجاني ، وأمضت في نفسي الأسى مما رأيته وقرأته في أمهات كتب التفسير — قديمها وحديثها — مما دسه بنو إسرائيل الملاعين !

وإني إذ أسوق بعض الأمثلة ، فإنما أسوق منها النزر اليسير ؛ الذي يتسع له المقام

ومن العجب أن ما دسه اليهود — قديم قدم الإسلام — وقد أخذه عنهم نفر من كبراء المفسرين ؛ جرياً وراء غريب القول ، ومعجب القصص !

وقد نقله الناقلون ، ورواها الراوون ، حتى بلغت حد التواتر واليقين !

وجميع ما وقع فيه المفسرون : وقعوا فيه بحسن نية ، وفهم ساذج .

بيد أنهم لم يزنوا ما رووه ونقلوه ؛ بموازين الفهم الصحيح ، ولم يقيسوه بمقاييس العلم والأخلاق ، ولم يفرقوا بين صحيح الأقوال وسقيمها .

هذا وقد مني الإسلام : من بدء ظهوره ، وانبثاق نوره ، بأعداء بغاة طغاة ، جبابرة في إعداد الشر ، وتدبير المكر !

فما فتئوا — حين رأوا آياته البينات ، ومعجزاته الظاهرات — أن حاكوا الأحابيل ، ونسجوا الأباطيل ؛ حول ما أنزله الله تعالى من قرآن كريم ، وهدى مستقيم !

ولم يكتفوا بذلك ، بل دسوا في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ما هو بريء
من قوله ، أو التحدث به .

وإن ديناً بدأ يمثل هذه القوة ، ويتغلغل في نفوس معتنقيه على هذه السرعة ، لجدير
بأن يلفت أنظار خصومه للكيد ، ويحثهم على النيل منه !

فنجأ اليهود — وهم العدو الأول للإسلام والمسلمين ، بل هم أعداء كل ملة ودين
وقد كانوا يسكنون وقتذاك الجزيرة العربية ، وهم أبد الدهر : أهل مكر ، ودس وخداع !
لجأوا إلى افتراء الأكاذيب وإسنادها إلى إمام الأنبياء ، وسيد الأتقياء ، وخير أهل الأرض
والسماء ، عليه الصلاة والسلام . ليطفئوا بذلك نور الله تعالى ، والله متم نوره ، ولو كره الكافرون .
وأسندوا رواية هذه الأحاديث إلى فضلاء الصحابة الذين اشتهروا بالصدق ،
وامتازوا برجاحة العقل وكمال الإيمان !

والذي يدعو إلى العجب والغرابة : أن العلماء الأعلام الذين تصدوا لرواية الأحاديث
النبوية وشرحها ، وزعموا الدراية بها ، ومعرفة الصحيح والسقيم منها لم يشيروا إلى هذه
الأحاديث وأمثالها بالتجريح والتضعيف ، بل كان كل همهم البحث حول رواتها . ومن هم
من أولئك الثقات الذين يركن إليهم ، ويؤخذ عنهم ، أم ممن اشتهروا بالغفلة والنسيان ؟
وقد فاتهم — أثابهم الله تعالى — أن الكافر الكذاب ، حين يسند حديثاً مفترى عن
الرسول ، إنما يسنده إلى أجل الرواة ، وينسبه إلى أعلامهم وأصدقهم .

فكم من حديث افتروه على الصادق المصدوق ، وكم من قصة اخترعوها وروجوها
ومن عجب أن هذه الأحاديث ، وتلك القصص ، وجدت مرتعاً خصباً ، في بيئة
أعجمية ، اعتنقت الإسلام ، تقليداً لا اقتناعاً ، فنقلوها في كتبها ، وأشادت بها في
تأويلاتها ! فوقعت في تلك الأحابيل ، وعلقت بما دونته أيدي الغافلين ، ونقلها عنهم
ضعيفو الفهم قليلو الدراية والعلم ، فسارت بين المسلمين سير النار في الهشيم
وقد تصدى لدحضها والتبري منها بعض العلماء المفكرين ، وتصدى للدفاع عنها بعض
الأغبياء المعوقين ! وإليك الدليل . وعلى الله قصد السبيل !

قصة زينب بنت جحش

فمن ذا الذي يصدق أن النبي الأمين — الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق — رأى زينب بنت جحش، فهويها، وراقت في نظره، وقال: سبحان مقلب القلوب، وهي زوج لرجل آخر مسلم، من أفراد أمته، والتي بعث إليها ليهديها، لا ليغويها؟!

وأنه كان حريصاً على رؤيتها، فحدث عند مروره: أن بعث الله تعالى ريحاً فرفعت الستر، وزينب ما عليها إلا ثوب واحد، فرآها فوقعت في نفسه، فأضمر أنه آثر طلاق زيد.

والأغرب من هذا: أنهم يروون أن النبي صلوات الله تعالى وسلامه عليه، قال لزيد — بعد طلاقها —: ما أجد في نفسي أوثق منك فاخطب زينب لي.

وأن ذلك كان من النبي عليه الصلاة والسلام امتحاناً لإيمان زيد، وشدة يقينه، أيقوم بالوساطة خير قيام، أم لا؟

أيقوم بالسفارة بين من أحب امرأته — وهي في عصمته — واشتهاها، وهي حلاله وحده، لا يشركه فيها إنسان، استحلها بكلمة الله، وتملكها بشريعة الله!

هل يقوم زيد بالسفارة بينها وبينه، أم تأخذه العزة بالإثم، فيقول: لا إن ضميري لا يطاوعني، ونفسي تأبى أن أخطب امرأتي، التي طلقتها، لأن إنساناً آخر رآها فأحبها، ولو كان هذا الإنسان نبياً، ولو كان هذا النبي محمداً

ورووا أيضاً أن المولى سبحانه وتعالى قد أشار — بعد إيراد قصة زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من زينب — إلى جواز كل ما تقدمه بقوله: «سنة الله في الذين خلوا من قبل» أي سنة الله في الأنبياء السابقين كداود، حيث جمع بينه وبين من فتن بها، كما جمع بينك وبين زينب، وقد فتنت بها[1]

والأعجب من هذا، أن يأخذ بعض من يشهد لهم بالتقدير والتقديس من كبار علماء الملة المحمدية ومنهم الإمام الغزالي في كتابه «الوجيز» في فقه الشافعي — في كتاب النكاح — يأخذوا هذه الأسطورة القذرة، فيقولوا: إن النبي إذا نظر إلى امرأة فأعجبته: طلقت من زوجها وحلت له!

(١) انظر ما ورد في تفسير القرطبي، والطبري، وغيرهما من أئمة المفسرين، عند تفسير قوله تعالى «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها»

ولأنهم ذكر [illegible] عليها أن تعتد . أو أن يحرمها على غير [illegible] ولا إرادة رحم !؟ وكيف يجوز [illegible] بعض ذلك سيد الخلق ، وقد أمر أمته في أمر ، ألا تخطب على خطبة أخيك ولا تسم على سومه ، فكيف [illegible] على خطبة المحدث به ، ويختطف الزوجة من زوجها . . ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ،

ويظن هذا [illegible] ، [illegible] كانوا يتعرفون [illegible] التي تذهب بكرامة الدين وتودي [illegible] فضلاء الأنبياء والمرسلين

قصة داود عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن داود عليه السلام [illegible] لا [illegible] من الناس [illegible] ودساً [illegible] إلى امرأة [illegible] [illegible] عنها [illegible] زوجة أحد [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] !؟

قصة سليمان عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن سليمان عليه السلام [illegible] [illegible] الجياد التي [illegible] عشرات الألوف !؟

موسى ومحمد والمعراج

ومن ذا الذي يصدق أن أكرم الرسل [illegible] رأى ربه [illegible] ، وراجعه [illegible] بإشارة من موسى [illegible] عدد فرض الصلاة خمس مرات

ولأمر ما . كان موسى آمراً ومحمد مأموراً ! وكان موسى هادياً ومحمد مهدياً ! وكان موسى ناصحاً ومحمد منتصحاً !

ولأمر ما : كان موسى يقوم مكان المرشد لمحمد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين ! وموسى من العالمين !

زيادة ما ليس في القرآن

ومن ذا الذي يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام — الذي لا ينطق عن الهوى — يذكر من القرآن ما ليس في القرآن، فيقول: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى»!

فآمن من المشركين خلق كثير، لمدح آلهتهم في الكتاب الذي أنزل على محمد!

سحر الرسول عليه الصلاة والسلام

ومن ذا الذي يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام — وقد أنزل عليه ربه فيما أنزل: «والله يعصمك من الناس» — قد سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، حتى أنه ليخيل إليه أنه يأتي الشيء فلا يأتيه!

وليس يقتصر على هذا — وحده كما وضعوا — أن يخيل إليه أنه قد أوحي إليه، ولم يوح إليه شيء! أو أنه قد بلغ؛ ولم يبلغ!

ويصدق عليه قول المشركين والكافرين: «إن تتبعون إلا رجلا مسحورا».

يوسف عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن يوسف الصديق عليه السلام: قد همّ بامرأة العزيز هماً لا يتوهم أن يقع فيه أسقط الفسق، وذكروا في تفصيل ذلك: ما أنزه لساني عن ذكره، ولا أؤذي الأسماع بقوله!

نسبة الفحش إلى أزكى خلق الله!

ومن يصدق أن الرسول الكريم يجلس بين صحابته، فيقول: «أوتيت قوة أربعين في البطش والجماع».

ويقول أيضاً: «حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء»، والله تعالى يقول في كتابه الذي أنزله عليه: «زين للناس حب الشهوات من النساء».

والمزين طبعاً هو الشيطان، أو النفس الأمارة بالسوء!

فالداهية الدهياء والفتنة العمياء: الرسول عظيم الشأن، جليل القدر، يقول عن مزاج

من الناس ؟ أنا أحب النساء ! هذا في حين أن القرآن الكريم المنزل عليه من ربه العظيم يقول في معرض الذم والقدح «زين للناس حب الشهوات من النساء».

ولم يكف هذا الكافر المفترى على أعظم الخلق تلك الفرية ، بل سددها بأخرى أشد منها وأخزى

إذ يروى عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه أنه قال «أوتيت قوة أربعين في البطش والجماع».

يا للهول ! الرسول الذي أبرأه الله من كل عيب ، البعيد عن كل دنس يقول لصحابته : أنا في قوة أربعين منكم في الجماع ! تصور - يا هداك الله - رجلا يقول لك مثل هذا القول الشائن السقيم البذيء . أكنت مصاحبه أم مجانبه ؟ أكنت محبيه أم معاديه ؟ أيستوجب بقوله هذا احترامك أم تحقيرك ؟ وانظر في أي موضع يضعون من وصفه ربه بالخلق العظيم ! «وإنك لعلى خلق عظيم».

إن مثل هذا الكلام لو نسب لإنسان كائنا من كان ، لأحفظ الناس ولثار وغضب ؛ فما بالك بنسبته لأعلى الناس قدراً ، وأعظمهم خلقاً ؟

ولم تقف هذه الأحاديث عند حد المساس بكرامة الرسول عليه الصلاة والسلام فحسب بل تعدته إلى تحيط الشرائع ؛ فقد رووا فيما رووا «حديث الرضاع»[1]

ومثل هذه الأحاديث الكاذبة ، والأقاويل الباطلة يضيق المقام عن ذكرها ؛ فانظرها إن شئت مستوفاة في كتابنا «الفرقان».

والرسول عليه الصلاة والسلام محفوظ - بأمر الله تعالى - من الشيطان ، ونفسه أزكى من نفوس الملائكة !

وجميع ما قدمت : تكاد تجمع عليه أمهات كتب التفاسير المقدمة ، مع توثيقه وعصمته

وهذا قل من كثر ، وغيض من فيض ؛ فلو أردنا أن نسوق كل ما يأباه العقل ، والذوق ، والدين ، والقرآن ؛ لما وسعتنا هذه العجالة .

فإذا كان هذا حال فضلاء البشر وهداتهم ؛ فكيف بعامة الناس ودهمائهم ؟!

(١) أنظر هذا الحديث في مبحث «الإسراء والمعراج» المتقدم

التفاسير الحديثة

أما التفاسير الحديثة : فقد رأينا فيها من [illegible] وتعسف في القرآن [illegible]

فقد قرأنا في بعضها — على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر — تأويلا لقوله تعالى «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم» أن المراد «عذاباً من فوقكم» هو ما تقذفه الطائرات من قنابل ومدمرات

وأن المراد «أو من تحت أرجلكم» هو [illegible] الألغام في بطن الأرض

وهو قول بادي التكلف، ظاهر التعسف

لأن الله جلت قدرته قد أرسل العذاب من فوق [illegible] على الأمم [illegible] وخسف من تحت الأرض [illegible] فقد بعث عذابه من فوق الرؤوس وما بعثه من تحت الأرض أيضاً [illegible]

شهد بذلك [illegible]

ورأينا — في بعض تفاسير المحدثين — من يقول [illegible] في تفسير قوله تعالى «وهو على جمعهم إذا يشاء قدير» جمع أهل السموات والأرض في الدنيا

[illegible] من [illegible] أن اختلاط سكان الأرض بسكان الكواكب [illegible] قريب أو أدنى

وهو قول لا نرى له [illegible] في القرآن [illegible] إزاء قول الحكيم العليم «هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين» «فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه» «ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً» «ليجمعنكم إلى يوم القيامة» «يوم يجمعكم ليوم الجمع»

إذن فالجمع المقصود [illegible] في الآخرة، لا في الدنيا [illegible] وأن اليوم الآخر من أسمائه «يوم الجمع»

ورأينا أيضاً — في بعض التفاسير الحديثة [illegible] تأويلا لقوله تعالى عن أصحاب الكهف «ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا» أن «ثلاثمائة» بالتاريخ الميلادي و«٣٠٩» بالتقويم الهجري

وهو تكلف لا داعي له ألبتة يتنافى مع لغة العرب التي نزل بها القرآن

قال الشاعر : كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية .

ولا يعقل إصلاحاً أن يقصد الشاعر العربي « كانوا ثمانين » [illegible] ، وثمانية ثمانين ، بالتفويج العددي !

وإنما المعقول المقبول في التأويل عند ذوي العقول أن الله تعالى بعثهم من مرقدهم على رأس الثلاثمائة من السنين : وكان من أمرهم ما كان ، ثم أماتهم تسع سنين في كهفهم ؛ ثم أماتهم كما أمات غيرهم

وكذلك أيضاً من يقول [illegible] قيام الساعة سيكون في عام ١٨٠٢ هجرية استناداً من قوله تعالى « لا تأتيكم إلا بغتة »

وحساب لفظ « بغتة » بالجمل ١٨٠٢ الباء ٢ ، الغين ١٠٠٠ والتاء ٤٠٠ والتاء الثانية ٤٠٠ أيضاً ، فيكون المجموع ما ذكر ..

وهو قول هراء ؛ ينفيه صريح القرآن بأن وقت الساعة لا يعلمه إلا الله تعالى وحده « قل إنما علمها عند ربي » .. « إن الله عنده علم الساعة » « إليه يرد علم الساعة »

وهذه الأقوال التي أوردتها [illegible] آنفاً [illegible] ونستغفر الله تعالى عن الوقوع في مثله !

وما هو إلا [illegible] في الخلق [illegible] الذين [illegible] يدسون في كتبهم [illegible] مسندة إلى أنبيائهم [illegible] أحط الدعاية والتعصب !

لقد ذكروا عن لوط عليه السلام أنه سكر حتى ثمل ، ثم [illegible] وأنه [illegible] معه ، فتحرر من أمره !

وليس بغريب منهم أن يدسوا علينا فى ديننا ما ليس فيه ، لنشترك معهم فى هذا الإفك والبطلان !

وإن العيب كل العيب أن نرى الخطأ فلا نمحوه ، والباطل فلا نزيله ، والكفر فلا نحاربه !

الذين ينتسبون إلى الإسلام
وما هم منهم

ويأتى بعد ذلك دور أناس زعموا أنهم مسلمون ، وما هم بمسلمين ، وأنهم عالمون ، وما هم بعالمين ! وأنهم مفسرون لآيات الله ، وما هم بمفسرين !

لقد أرادوا بجهلهم أن يفسروا آيات الكتاب الكريم لأهوائهم ، وأن يعمموا ذلك فى كلامهم المكتوب ، والمسموع ، والمنظور .

ومما يدعو إلى شديد الأسى والأسف أن تفسح لهم أجهزة الإعلام أبوابها فى الدولة المسلمة — بغير رقيب ، ولا حسيب !

فنسمع لغطهم فى الإذاعة ، ونرى صورهم الكالحة الممسوخة فى التليفزيون

ويظهرون فى جميع ذلك بمظهر المرشد المتبصر ، الذى يريد هداية المؤمنين ، وتخليصهم من الأخطاء التى وقع فيها سلفهم من خير العصور حتى الآن !

فالصحابة جميعاً كانوا مخطئين بما ارتكبوه من مخالفة صريحة للقرآن . بإباحتهم التعدد قولا وعملا !

ألم يقل المولى سبحانه وتعالى ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، وقوله ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، وبذلك يكون المولى جل وعلا : أباح التعدد ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، ، ومنعه بقوله ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا ،

بمثل هذا الإفك والهراء : يتكلم بعض العلماء والكتاب ، ويذاع فى عظات الإذاعة المصرية .

(انظر المزيد فى مبحث تعدد الزوجات)

ويأتى بعد ذلك إنسان : مفتون بعقله ، ومن مفسه ، وهو يدعى (الدكتور مصطفى محمود) وهو ليس بالمصطفى ، وليس بالمحمود !

فينكر فى صراحة — لا تقبل الشك — وجود جنة ، أو نار ، بالمعنى المفهوم لدى المسلمين ، والمبين صراحة فى القرآن الكريم

ويكتب هذا المغرور فى المجلات السيارة هذه المعانى بأقبح صورها ! ويتبجح لم يرتكبه مسيلمه الكذاب فى أوج كفره !

وقد نصحناه كثيراً — بطريق أحد الفضلاء — فلم يرعو ، بل سار فى غيه وبغيه !

وقد سمعناه أخيراً بالتليفزيون يدمه وحده ، يذيع أتفه المعانى ، وأقبح المفاهيم ! ويخوض فى معانى القرآن الكريم خوضاً يتناهى معه اعلان كفره . وفسقه ، وخروجه عن دائرة المسلمين !

فهو يبدأ حديثه بإيهام المستمعين أن سائلا سأله ، وأنه سيجيب على هذا السؤال

وبعد ذلك يدلى بسؤال تافه ، أعد الإجابة عليه ويجيب عما يحلو له ، ويحلو أيضاً استماعه ، لما حواه من زيف ، يسر بعض المستمعين .

فمن ذا الذى يعترض على أن الله : غفور ، رحيم ، ودود ،

ومن ذا الذى يخالف فى أن التأمل فى خلق السموات والأرض ، والأفلاك والأنجم واجب على كل مسلم ؟

وبعد ذلك يدس من الإلحاد والكفر ما يدس !

حتى أنه فى بعض أحاديثه أراد أن يطعن فى الحدود التى أوجب الله تعالى لعباده لبريهم بها ، ويكف أذاهم بوقعها شنع عليها بقوله . كيف نستطيع قطع يد السارق وقد أصبح المجتمع كله لصوص فمن يقطع من ؟ (يقصد المجتمع العربى الإسلامى طبعاً) لأن الحديث كان منصباً عليه .

وعرج بعد ذلك إلى رجم الزانى ، فقال إن القرآن اشترط لثبوت الزنا شهود أربعة فمن ذا الذى قبل أن يزنى يدعو أربعة أشخاص (يتفرجوا) عليه !؟

وقس على ذلك باقى الآثام المستحقة للحدود !

وهكذا يسير بنا هذا المصطفى محمود فى خضم من الكفر ، والإلحاد ، الذى يدبر لها ويبيت !

ومن الغريب — مع الأسف الشديد — أن يعاونه في نشر هذه السخائم ، والسخافات أرقى أجهزة الإعلام في الدولة ، بغير ما تحفظ !

والأعجب من هذا ، أن من بين مستمعيه جمعاً كثيراً من العلماء الأعلام فلا ينبس أحد منهم بدعوة هذا المغرور إلى الكف عن سفهه ، أو يطلب إلى المسئولين منعه عن هذا الهراء والهذاء !

وكان جماع ما قاله أيضاً : إن النار والجنة ليستا بالنار [illegible] ولا الجنة التي وعدنا بها .

بل إنهما : نار التفكير ، وجنة الضمير !

وأنه ليس من المعقول أن يعذب الله — [illegible] — عبداً ضعيفاً ، مثله

وأن النار المحرقة كيف يكون فيها شجر ينبت ، وماء يشرب ، وحدائق يتفيأ ظلالها ، مستدلاً بقول القرآن الكريم : «إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم» ، وقوله جل شأنه : «وسقوا ماء حميماً» ، وقوله سبحانه وتعالى : «كلما دخلت أمة لعنت أختها» ،

وتكلمهم في النار ، وتلاعنهم ، وأشباه ذلك

وغاب عن هذا المغرور أن النار ذكرت في القرآن ١٢٦ مرة ، والجحيم — وقصد بها النار — ٢٦ مرة ، وجهنم — وقصد بها النار نفسها — ٧٧ مرة ، والهاوية ، ولظى ، وغير ذلك من الأسماء ، التي تعبر عن النار ، فيصير ذكرها أكثر من ثلاثمائة مرة ، لا يوجد في أحدها ما فيه ذلك المعنى ، الذي يؤكد أنها ليست بنار محرقة !

أما الجنة : فقد صال في معناها وجال ... ونعى على من فهم أنها : أنهار ، وأطيار ، وأشجار ، قائلاً : إن الجنة ليست سوى خضار ، وكرر هذا اللفظ عدة مرات

وإني لأدعو عليه بأكثر من أن يحرمه الله تعالى هذه الجنة ، [illegible] إذا لم يسرع بالاستغفار والتوبة !

وكأني به ، وقد أراد أن يطوع القرآن الكريم لهوى حالت بخاطره ، أو [illegible] به شيطان اللعين ؛ ليكون من جملة أوليائه الفاسقين !

هذا وإن ما نادى به الدكتور مصطفى محمود : لم يكن هو أول من نادى به ، فقد نادت به من قبل بعض الفرق التي اشتهرت بالمروق عن الإسلام !

من وراثة عنها جاءه إنكار وجود آدم وإبليس، وزعمه أنهما رمزان لا أصل لهما!

وإنى أحذر كل من ينتمى إلى هذه الجمعية من الدمار والذهاب، وأحذره غضب الحليم الحق، والانتقام الديني، في النفس والمال والأهل!

وفي الآخرة يقال لهم: «ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون» «هذه النار التي كنتم بها تكذبون» «انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون».

وأقول لهم اليوم، بهدى من الله: «ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى»!

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

هذا وجميع أقوال من ذكرناهم — متقدمين أو متأخرين — إن دلت على شيء، فإنما تدل على سوء فهمهم، وعدم إلمامهم بما في كتاب الله، وحديث رسول الله!

هذا إذا أحسنا الظن بهم وبعقائدهم!

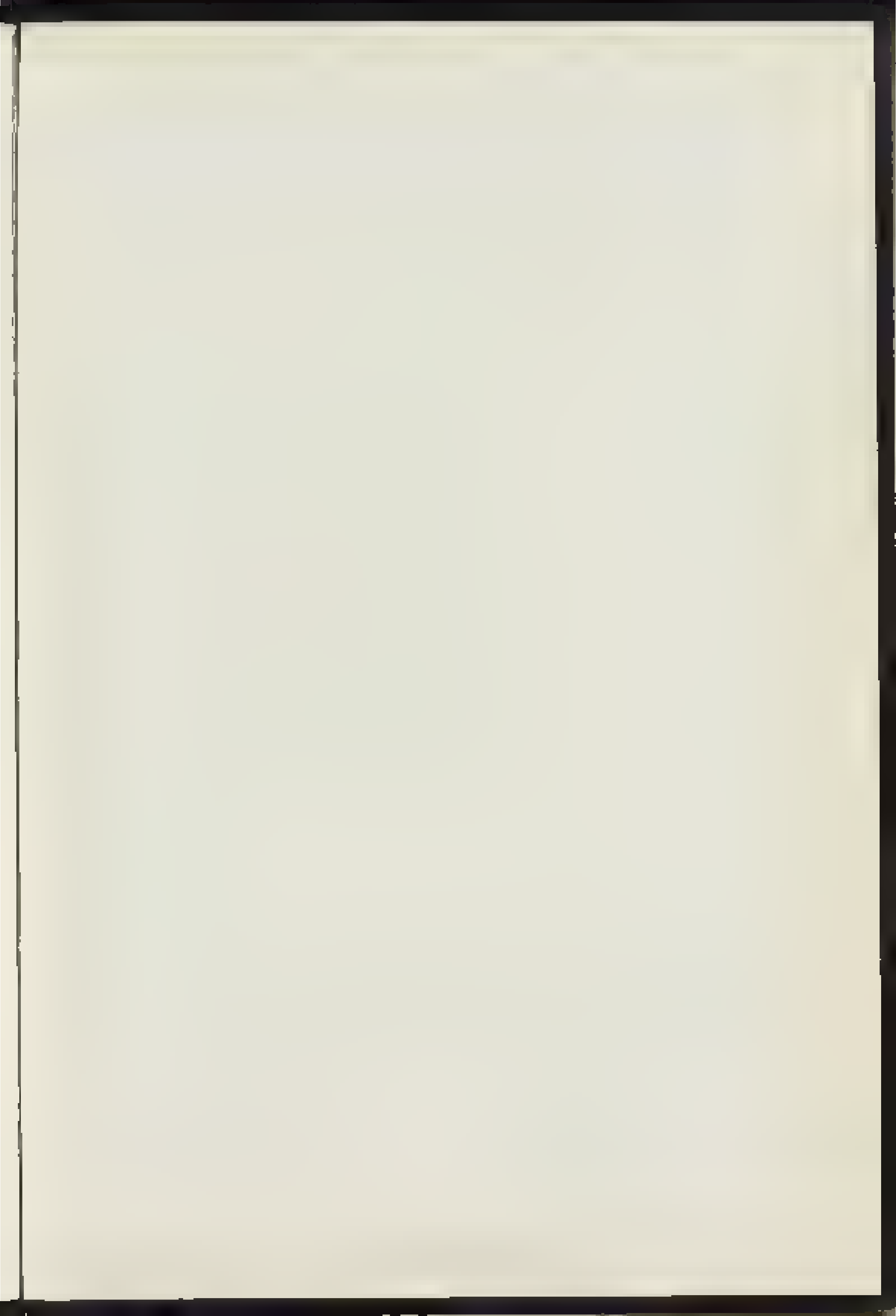
وقد اكتفينا بذكر بعض ما قالوه، من غير رد ولا تفنيد، لأن ذكره وحده كاف في هدم أركانه، وظهور بطلانه!

ولا أدرى كيف يجعل مصطفى محمود وأمثاله أئمة لهم في حقل تأويل القرآن الكريم، وهم أول الجاهلين به، المنكرين لأسسه، الداعين إلى هدمه؟

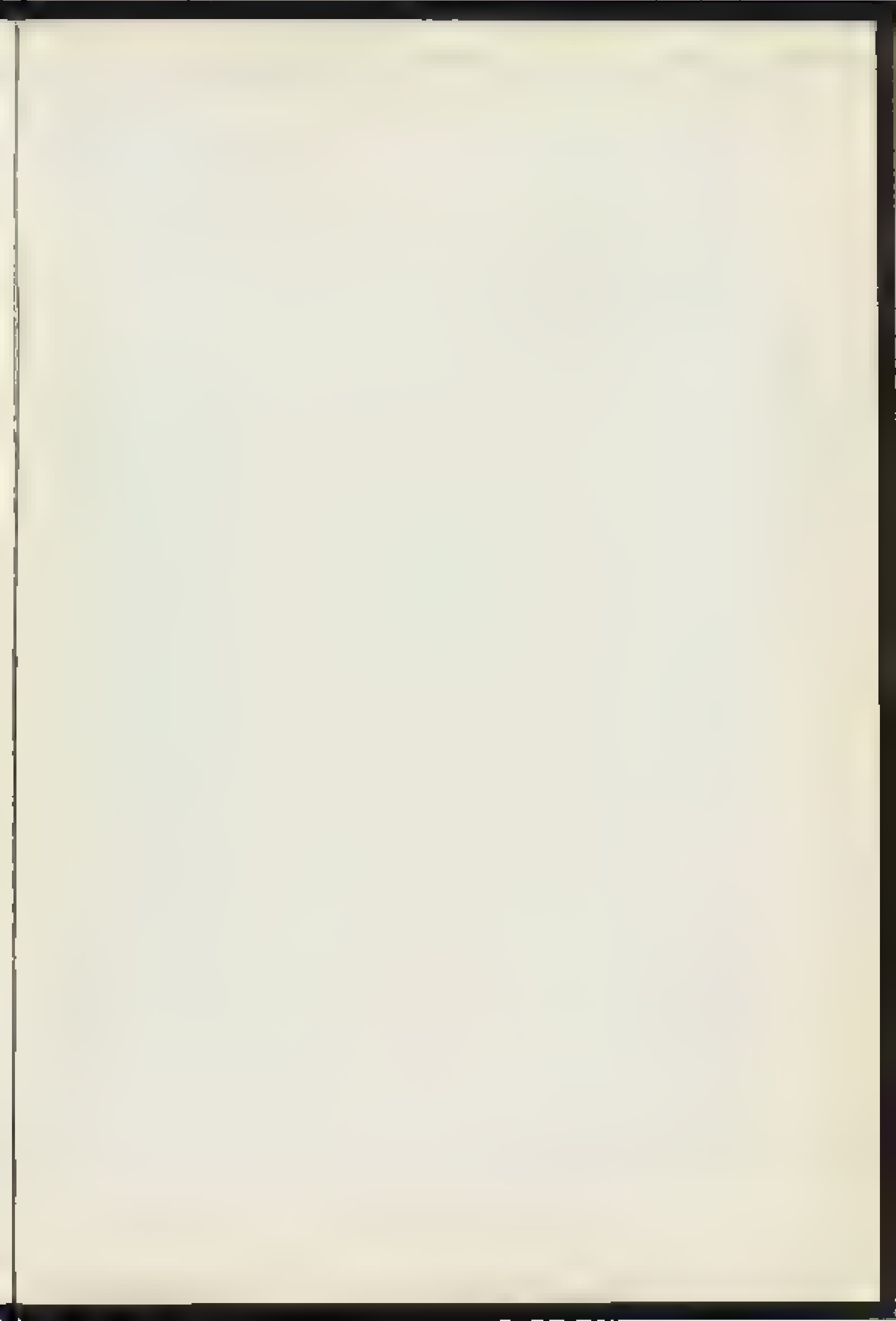
واجب علماء المسلمين

وجدير بعلماء المسلمين أن يجتمعوا في شبه مؤتمر إسلامي عام: فينبهوا المسلمين إلى ما دسه اليهود الملاعين، وما حاكه أعداء الدين في بلادنا بقصد هدم بنيانه المتين، وتقويض ركنه الركين!

والله المسئول أن ينصر دينه، ويعز جنده، ويحفظ كتابه، إلى يوم الدين!



الله معنا ! فهل نحن مع الله ؟



لقد جرت سنة المولى سبحانه، أن ينصر من ينصره «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

ونصر العبد لله تعالى: أن يعمل ما أمر به، ويجتنب ما نهى عنه! وهنا يتحقق نصر المولى سبحانه له، كما جاء في كتابه الكريم «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم».

كما جرت سنته تعالى أيضاً أن يكون مع من اتقى من عباده، وأحسن مع عباده «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

وتقوى المولى جل وعز [illegible] خشية عقابه، واتقاء غضبه، والتماس عفوه وغفرانه!

هذا وقد ذاق الشعب المصري الأمرّين، في انتظار نصر المولى سبحانه له على أعدائه وأعداء الله، وأنى يأتي النصر وقد ابتعد ما ابتعد عن أسبابه المؤدية إليه، والموجبة له!

فالفجور [illegible] هو الفجور! والتمادي في الإثم [illegible] هو التمادي! والتمادي في العصيان هو التمادي!

والبعد عن الله سبحانه [illegible] واستمراء معاصيه، والمجاهرة بها [illegible] كان ذلك كله شاغلنا وديدننا!

فلما ضاقت بنا النفس، وضاقت علينا الأرض بما رحبت، وضاقت علينا أنفسنا، وأيقنا ألا ملجأ من الله إلا إليه!

وقد قال الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم، «صنفان من الناس، إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء»، لجأ حينئذ علماؤنا، وذوو الرأي والأمر فينا إلى الله، وحكموا سياسة العلم والإيمان، وسيدوهما! فاستجاب الغفور الودود لعباده الضعفاء! فخلصهم من الأوهام، وأخذ بأيدي الجميع إلى النصر المبين!

وكانت بداية نصره تعالى في يوم العاشر من رمضان المعظم عام ١٣٩٣ حيث عبر جنودنا الأشاوس قناة السويس، واجتاروا خط بارليف، بعد تحطيمه وتمزيقه!

«بعد أن استمرأ اليهود إملاء الله تعالى لهم، وأمنوا كيده، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب»

وصار جند الرحمن يحرزون النصر تلو النصر، حتى اشرأبت الأعناق إليهم وصاروا موضع المجد والفخر طوال الدهر!

هذا وقد سرت [illegible] أثناء القتال [illegible] وأثارها انتصار الجيش المصري المجيد، على قوى الشر والعدوان، التي لا [illegible]!

فمن قائل: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد رؤي في [illegible]!

ومن قائل: إن جنوداً مجهولة اشتركت في القتال مع المقاتلين!

ومن قائل: إن مقاتلات العدو [illegible] كانت تلوي حمولتها المهلكة بعيداً عن أهدافها

وقد أنكر ذلك بعض الكتاب الذين ابتعدوا عن الروحانيات، التي تحس بالحس، لا باللمس، وترى بالبصيرة المدركة، لا بالبصر الزائغ!

ولم يتحقق لديهم إلا ما يدرك باللمس، ويرى بالعين، ويسمع بالأذن

وغاب عنهم أن الإيمان: مشروط بالغيب «الذين يؤمنون بالغيب»

وقد كتب الدكتور فؤاد زكريا، الأستاذ بكلية الآداب مقالاً مطولاً، بعنوان «معركتنا والتفكير اللاعقلي» نشرته له جريدة الأهرام بعددها الصادر في يوم الأربعاء ٢٦ نوفمبر ١٩٧٣ بين فيه أن مثل هذه الإشاعات [illegible] ينتقص من قدرة الجنود الذين [illegible] وامتهان لعقول العقلاء! وأن هذا تفكير لا عقلي وأنه بدعة وخرافة، وتصديق ساذج!

القول بما جاءت به الشريعة المطهرة، وأثبته الله تعالى في محكم كتابه امتهان للعقول، وبدعة، وخرافة، وتصديق ساذج؟!!

لقد وقع في كل هذا — من حيث لا يشعر — بتفكيره اللامعقول وحرصه على نشر هذه السخافات في بلد شرع في العودة إلى الله، وفي الاستعصام بالله والإنابة لله!

وقد غاب عن هذا الكاتب الساذج أن التفكير اللاعقلي معترف به لدى سائر العقلاء!

فإن جنودنا — أتم الله تعالى عليهم نعمة النصر — قد قاموا بواجبهم خير قيام لركونهم إلى مولاهم، الذي خلقهم ورباهم، وملأ قلوبهم قوة وعزماً وإقداماً!

فلو أنهم تركوا التوكل على الله ، ولا استعانوا به لما أنعم بالنصر بالصورة التي تم بها والتي أسرت الأعداء قبل الأصدقاء بدقتها وروعتها !

وهذا الكاتب الساذج [illegible] يدافع عن الجنود وقدرتهم في حين أنه سلب عنهم أسمى وأعلا الصفات وهي تقوى الله تعالى والاستعانة به !

وهي أعلى من رتب الشجاعة والإقدام ، بل هي الوسيلة الوحيدة للحصول على الشجاعة والإقدام !

وهل التوكل على الله سبحانه وتعالى قد أصبح في هذا الزمان يلغي استخدام القوى الذاتية والمادية ؟ كما أشار إلى ذلك حضرة الكاتب اللاحق

يقول المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » فهو من شأنه النصر [illegible] طريقه

وحين يقول المولى في كتابه العزيز : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »

وما جاء في هذه الآيات البينات [illegible] فهل لأحد من العقلاء أن يقول إن ذلك يدخل في عموم اللامعقول ؟

وحين يقول جل شأنه : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » فجعل سبحانه المخرج من الشدائد : مقابلا للتقوى ! ومفهوم المخالفة هنا هو أن من لم يتق الله لا يجد مخرجاً عما يقع فيه من الرزايا والشدائد !

وهذا من الأمور المعقولة عند أولى العقول ولكنها غير معقولة عند ذلك الكاتب الفذ !

وحين يقول المولى في كتابه المجيد : « سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب »

« لإلقاء في القلوب [illegible] ولكنه [illegible] يصبح أمراً معقولاً ، بل محسوساً ملموساً في حدود ما عاناه وقاساه [illegible]

ولكنه في نظر هذا الكاتب غير معقول

وحين يأتي شتاء هذا العام (١٩٧٣ - ١٩٧٤) في أمريكا وغيرها ، قارساً قارصاً ببرودة شديدة غير عادية مع ملابسة قطع البترول العربي عن هذه البلاد

أليس من حق المؤمن بربه، الواثق بعدله، أن يقول: إن ذلك منة من المولى على عبده المتقين، ونقمة على الخارجين عن طاعته، المحاربين لأعدائه!

وإذا فكر في ذلك المؤمن، فهل يكون تفكيره عقلياً، أو لا عقلياً؟!

وحين يأتي بعض الفضلاء، فيقول: إنه رأى الرسول عليه الصلاة والسلام مع المجاهدين، فأي غرابة في هذا؟ وأي انتقاص من قدر المجاهدين؟!

وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي».

إنسان يزعم أنه رأى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه، فأي غرابة في هذا؟

وإذا كانت رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام مستحيلة، فبم تفسر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل بي».

وقد رآه عليه الصلاة والسلام البر، فازداد براً، ورآه الفاجر، فأقلع عن فجوره!

ولعلي لا أذيع سراً إذا أنا قلت: إني — ولست من خيار القوم ولا أواسطهم — قد رأيت سيدي رسول الله في المنام، وحلت بي بركاته وفاضت علي فيوضاته! وظهرت آثار ذلك واضحة في سري وجهري، وجسمي، ومالي، وأهلي، وقد أعطاني ربي كفافي بل وفوق الكفاية!

فإذا قال واحد من فضلاء القوم: إنه رأى الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أنه صحبه إلى المعركة، فأي غرابة في حدوث ذلك!

وإذا قال ذلك الفاضل: إنه رأى الرسول مناماً، فهناك من يرونه يقظة، ويكلمونه شفاهاً، ويحاورونه على ما يرى».

هذا وقد حاجني بعضهم: ممن لا يرون مواقع أقدامهم، ولا يفهمون أكثر مما فهمه هذا الكاتب.

وكانت محاجتهم تنصب على أنه كيف يمكن الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينصر غيره بعد موته، وقد كان لا يستطيع نصر نفسه حال حياته؟

وهو احتجاج إن دل على شيء، فإنه لا يدل إلا على قصر الفهم، وقصور الإدراك، والبعد كل البعد عن حقيقة الإيمان!

فالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، في حال حياته يقع عليه ما يقع على البشر : من نصر وهزيمة ، وعافية ومرض ، وتكريم وإيذاء : ليتأسى به من حلت به مصيبة ، أو رثت به دولة : « لقد كان لهم في رسول الله أسوة حسنة »

أما وقد لحق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، فقد انفصلت صفاته البشرية حال حياته ، وصار له من القدرات ما لا يحده حد ، ومنها ، ما يتسع لنصر غيره !

فقد أمكنه أن يمد أصحابه بالنصر لدى أرادوه بأمر ربه سبحانه وتعالى !

وكيف ينكر هذا منكر وقد أصبحت قدرته عليه الصلاة والسلام : تتناول شفاعته في عصاة أمته ، فينجيهم من النار !

هذا وقد منع حال حياته من الاستغفار لأدنى أقربائه ، وأحب أحبته !

كما نهي إبراهيم من قبل عن الاستغفار لأبيه ، فتعالى المتفضل على من شاء بما شاء .

فهنيئاً لك يا سيدي يا رسول الله صلاة الله تعالى وسلامه حياً بين الأحياء في ملكوت السماء ، وحياً بيننا معشر الأحياء تهدينا ـ بأمر ربك ـ النصر تلو النصر إن شاء الله لمؤمن بعقيدتك من وجه عند صورتك !

ولست أدري ماذا سمى الكاتب جميع ذلك تفكيراً لا عقلياً ، في حين أن التفكير لا يكون إلا بالعقل ، ولا يصلح التفكير بدونه

والتفكير لا يكون إلا فيما وراء المنظور بالعين ، المحسوس بالحواس .

فإن البهائم مثلاً تؤمن بالمنظور بالعين المحسوس باللمس فإذا رأت طعاماً علمت أنه طعام فالتهمته بلا عقل ولا تفكير

وإذا رأت عصاً في يد إنسان : خافته ، وجفلت منه ، لأنها علمت ـ بلا تفكير ـ أنه يريد إيذاءها

أما الإيمان بالغيب وهو ما وراء المنظور ؛ لأنه لا يرى بالبصر ؛ بل يرى بالبصيرة : فهو شأن الإنسان وحده ، وهو ما نسميه نحن بالتفكير العقلي ، والذي أسماه الكاتب بالتفكير اللاعقلي !

وإنه لمن المسلم به : أن سائر الديانات تؤمن بالغيبيات ، المعقولة عندنا ، اللامعقولة عند الكاتب .

فمن الذي يجرؤ أن يقول : إن الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أن يمد عباده بما يشاء ، جالباً النصر لهم متى أراد ؟

فإذا قال الله تعالى لعباده المحاربين : « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » هل هذا الإمداد يدخل في عموم المعقول ، أو اللامعقول ، يا ذوي العقول ؟!

وإني أقسم غير حانث ولا آثم أن كثيراً من أبناء الضباط البواسل قد أقسم لي — أيماناً مغلظة — أنه قد رأى بعينه وبعض رأسه المقاتلين في المعركة من حوله لا يعرف أكثرهم ، ولا ينتسبون إلى وحدته التي تحارب ، والتي يعرف أفرادها واحداً واحداً !

فأي غرابة في هذا عند ذوي العقول ، حين يسمعون خالقهم يقول : « يمددكم ربكم »

وكيف نؤمن بها من المولى سبحانه ، حين نقولها ، ونكذب بها حين نراها بالعين ، ونلمسها باليد ؟!

وقد جاء على لسان المقدام رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، في حديث له نشرته جريدة الأخبار ما نصه

« مكنها — أولاً وأخيراً — عناية الله تعالى لنا ، التي مكنتنا من تحقيق بالصورة التي تمت بها ، وأن بعض قنابل طائرات العدو كانت تقع على بعد كيلو متر من هدفها المراد » انتهى .

لله ! كم أنت يا مولاي رحيم بعبادك ، تلطف بهم وبكلاءتك ، وتبعد عنهم أذى أعدائهم ، بقذف الرعب في قلوبهم ، فلا يرون أهدافهم ، ولا يهتدون إلى مقاصدهم !

أما ما أشار إليه ذلك الكاتب الألمعي من انتصار أعداء الله ، اليهود ، في معارك سابقة ، فهو أمر معلوم لمن عنده أدنى إلمام بالتاريخ

فالمغول والتتار ، والهكسوس ، وأضرابهم : لقوا من الانتصارات ما لا حد له ، وأخيراً لاقوا من الهزائم ما لا حد له أيضاً ! وهي سنة الله تعالى في خلقه ، « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ، « ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

وقد يكون انتصار اليهود في عام ١٩٦٧ راجعاً إلى إعجاب بكثرتنا ، كما أعجب

المسلمون بكثرتهم في إحدى المواقع « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

ونحن لم نعجب اليوم من قلة إمكان جزاء هذا العجب : الهزيمة !

أما اليوم فقد نصرنا المولى سبحانه — لا بقوتنا وحدها ، بل بتقوانا ورجوعنا إليه !

والله تعالى يقول « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » أي نصراً مبيناً !

الله أكبر

ولقد سمعت كثيراً — بعد عودتنا — أن المجاهدين كانوا في هذه المعارك لا يخطون خطوة إلا وقالوا : الله أكبر ، فتتفتح لهم أبواب النصر ، وتنهار أمامهم الحصون ، وتتهاوى الطائرات ، وتنسف الدبابات [illegible] ويمشون على الماء !

فهل كان تكبير جنودنا وقتذاك : تكبيراً عقلياً ، أو لا عقلياً ؟

وكان جنودنا — في كثير من الأحيان — حين يرون فلولاً من اليهود يكمنون أمامهم ملتفين بأسلحتهم ، ويرفعون أيديهم فوق رؤوسهم ! وحينذاك يتحقق نور القرآن بصوت الحكيم العليم « سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب » .

هذا وقد كان المسلمون — في العصر الأول — قلة لا يعتد بها ، عدداً وعدة ، ولكن تقواهم ، وطاعتهم مولاهم — دفعتا بهم إلى ملاقاة فارس والروم — وهما أمتان عظيمتان موفورتا الرجال والسلاح — فهزموهما — في عقر دارهما — شر هزيمة عرفها التاريخ قديمه وحديثه !

وإذن يتبين لنا مما قدمته ، أن تقوى الله سبحانه — سبيله للنصر الواقعي الحتمي وأن التوكل — لا التواكل — مدعاة للرفعة والمجد والسؤدد !

وأن رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام : ليست بعيدة ، ولا غريبة ، عند ذوي العقول والبصائر !

ومن عجب أن جريدة الأهرام — وقد نشرت هذا المقال المليء بالجهل والإلحاد وهو مقال أطول من ليالي الشتاء — قد بخلت — على سعتها — بنشر ما أرسله لها خيرة المسلمين والكتاب ، من رد على هذا المقال وكلهم مشهور الاسم ، موفور العلم !

بل نشرت نصحة أسطر ، لا سكوى ، ولا نثو ! وحذف من الكاتب حصماً وحكماً فسمح بنشر ما أراد ، واستبعد مالم يرد ، وسمحت له بالتعقيب على ما نشر ، فكل جهله وإلحاده : أول ما يقرأ ، وآخر ما يسمع ! ولكنه إذا أفلت من غضب الأرض ، فلن يفلت من بأس السماء !

ومن العجيب ، أن يعود هذا الكاتب إلى إلحاده وجهله ، فينشر في أهرام ٢٨ / ١١ / ١٩٧٣ مقالا بعنوان « إلى متى نغترب عن حاضرنا ؟ » ، وهو مقال : لا يقل عن سابقه جهلا وزندقة !

فقد دعا فيه دعوة صريحة : إلى التنكر لماضينا ، والتمسك بحاضرنا

وإنى أريد أن أسأله ، وأسأل من ناصره : هل يجب التنكر لماضينا — ولو كان مشرفاً — ونتمسك بحاضرنا — ولو كان مؤسفاً ؟

أنتنكر لماضينا ، ولو كان فيه محمد بن عبد الله ؟ ونتمسك بحاضرنا ولو كان فيه فؤاد زكريا ؟

أنتنكر لماضينا وفيه أمثال خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ؟ ونتمسك بحاضرنا ، ولو كان فيه من الخونة والمارقين من فيه ؟

ثم يعنه في هذا المقال أن نشيد بما كتبه في مقاله السابق ، ويؤكده ، ويصر عليه !

وزاد عليه : إنكار بعث الروح ، أو عودتها ، وهذا الحديث الأخير : ليس هو أول من تكلم فيه ، بل سبقه إليه كثيرون ممن لا يدينون بدين سماوى !

لأن القرآن الكريم ، وهو كتاب يزعم المؤمنون أنه من عند الله ! والإنجيل وهو كتاب يزعم المسيحيون أيضاً أنه من عند الله ! والتوراة ، وقد زعم بنو إسرائيل أنها من عند الله ! كل هـــذه الكتب تتحدث بما ينافى ما يقوله علامة العصر الحاضر ، وإمام اللامعقول ، فادركوا ما يادوى العقول !

هذا وقد شفى علة المسلمين ، وأعلى كلمة الدين : العلامة ، المرحوم الأستاذ عبد المنعم النمر : مدير البحوث الإسلامية بالأزهر بكلمة قيمة نشرت فى الأهرام بعدده الصادر فى ٣ / ١٢ / ١٩٧٣ بعنوان « النصر والهزيمة فى ميزان الإســـلام » قضى فيها على أراجيف الملحدين الزائغين ، ووضع الإسلام فى موضعه الذى أقامه الله تعالى فيه ! فله الشكر منا ، والأجر من الله !

هذا، وليعلم من لم يكن يعلم، أنه ليس نصراً نحققه أن نسبب هزيمة القوة والعزيمة والإقدام، ومن عنهم فضيلة التقوى والتوكل!

مما تقدم يتضح لنا جلياً، أن الله تعالى معنا، يمدنا بلطفه وعطفه، ويعيننا متى استوجبنا العون – ويمدنا إذا استحققنا المدد!

فهل نحن مع الله؟!

وإذا لم نكن معه بالطاعة والاتحاد والإنابة، في وقت الخصم، ألا نصيب لواجب نحو أنفسنا ونحو أمتنا، ونحو وطننا أن نجاهد أنفسنا، ونحييها من جديد لنكون معه؟!

والله سبحانه وتعالى يثبت دائماً وجوده بجوده! وقدرته بأخذه! وسلطانه بعفوه! ولطفه بهدايته! وبطشه بنصرته!

«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق؟!»

فحمداً لله سبحانه على ما وهبنا من نعمة رضاه، ومنه ومعونته، ونرجوه سبحانه أن يغفر لنا ما فرطنا في حقه! وأن يرزقنا التقوى، والإيمان الصحيح، حتى نلقاه مع من آمنين، راضين مرضيين! ووهبنا النصر على الأعداء، بشفاعة خاتم الأنبياء، صلى الله تعالى عليه وسلم!

والحمد لله في البدء والختام، وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم!

زجر المؤلف للمادح

يا سيدي ! إن كنت تمدحني إرضاءً لي، فقد خالفت الصواب، ووجب عليك العتاب !

وإن كنت تمدحني إرضاءً لله، فحسبك الله، الذي رضيت، حتى يكفيك !

أما أنت، يا إلياس[1]، يا أخا الأدب، وأوده، فقد تجاوزت في مدحي حداً أضر بي وشغلني بنفسي عما خلقت له !

عفى الله تعالى عنك يا أخي فيما زعمته من عدد [illegible] أرجو أن أجوزه، وفضل أتمنى أن أحققه !

فقد غلبني ما امتحنتني به من مدح لا أستحقه، وأنت ذاهب بحسن [illegible]، إن شكرتك عليه أسأت إلى نفسي، وإن لم أشكرك أسأت إلى خلقي !

شكر الله لك سعيك، وأعطاك بنيتك، وأراني فيك ما أنت له أهل !

أما ما خالفتني فيه : فإني أشكرك عليه، لصدق [illegible] ولكني لن أرد عليه لا استخفافاً بك، ولا غمطاً لحقك — بل أحب منك أن تمعن النظر فيما قرأت

وإني ألتمس لك العذر كل العذر، لأن ما تقدمه قد رسخ رسوخ الدين، في صدور أكثر المؤمنين !

هذا ولا يمنعني ذلك من حمد [illegible] على حسن الظن، وصدق [illegible]

(١) الدكتور إلياس عبد الغني : الذي كتب مقدمة هذه [illegible] تعرفت عليه عام ١٩٥٠ — على ما أذكر — وكان نموذجاً للجد والتقوى، وقد سرني انتقاده لي، واستفدت منه بشكل ما يراه حقاً، بيد أنه قد بالغ في مدحي، وأطرائه في إطراء لا أرضاه منه، ولا أستسيغه لنفسي !

زجر المؤلف للقادح

يا سيدي إن كنت تدعي ابتغاء مرضاة الله، فبالله، اصدق نيتك، وحسن طويتك !

وإن كنت تدعي غيرة في نفسك، وحجة ترتجيها، وشبهة تتشبث بها فتسأل، وسحقاً لمثلك

وسنلتقي يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون، فيأخذ الحكم العدل من حسناتك فيضمها إلى حسناتي، أو يأخذ من سيئاتي فيضعها على سيئاتك !

وإني — علم الله — ما أبتغي فيما كتبت سوى وجه الله تعالى، وإقرار ما ارتضاه، من عصمة لسادته، واستطعام حلاوته !

وإن أردت البرهان : فلك البيان !

١ — عصمة الرسول: من ذا الذي يستطيع أن ينسب إلى الرسول الكريم، سوى العصمة المطلقة، بأجلى معانيها : قبل البعثة وبعدها !

وهي خصوصية له وحده، اختصه المولى سبحانه وتعالى بها. فمن ذا يخالفني في هذا

٢ — تعدد الزوجات: لم أقل فيه، سوى ما قرره القرآن الكريم، وأقره الرسول عليه الصلاة والسلام، وسار عليه صحابته الأجلاء من بعده، وتابعهم عليه التابعون الأوفياء، وتابعوا التابعين، إلى يوم الدين !

وهل يستطيع عاقل أن يقول: إن تعدد الخليلات خير من تعدد الزوجات ؟! فمن ذا يخالفني فيما قلت ؟

٣ — زوجات الرسول : أمهات المؤمنين، وسيدات نساء العالمين ! لم أقل فيهن سوى ما قاله التاريخ الصادق الأمين !

فكلهن : ثيبات، مكتهلات، سوى عائشة

ولم يكن ثمت هوى دافع، أو رغبة جامحة، لشهوة طاغية ! فمن ذا الذي يكفر بقول غير الذي قلت ؟

٤ — أم المؤمنين خديجة . وما أدراك ما خديجة ؟ لم أوف حقها . الذى أوفاه المولى سبحانه وتعالى لها ؟ فهى سيدة نساء العالمين . ولا فخر ! فى بحار عشق فيما قلت ؟

٥ — الطلاق : يقول المولى جل وعلا : «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» . وأعطى سبحانه حق الطلاق لمالكه (وهو الزوج) فقال عز من قائل : «أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح» . فأى قوة تنقل هذه العقدة من مالكها إلى القاضى ؟

٦ — تحديد النسل : من ذا يعوق إلى العفة ؟ خير من الكثرة ! وإن الذلة خير من العزة ! وينكر ما جاء فى القرآن : «واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم» . «فاعتبروا يأولى الأبصار» .

٧ — التبرج والسفور : أرونى رجلا واحداً — يتصف بالرجولة — يرضى بأن تكون زوجته ، أو بناته : نهباً للأنظار ، وموطناً متعة الغير .

ويخالف بذلك قانون الله ، وبالتالى قوانين الشرف والفضيلة !

٨ — التعطيل : تعساً لمن ينكر وجود الإله ! وسحقاً لمن تعيش فى هذه الحياة أعمى ؛ بغير هادٍ يهديه ، وراعٍ يكلؤه ويرعاه !

ونفسه هى تشهد بأن لها موجد !

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد !

٩ — أين الله ؟ سؤال ساذج . فالله موجود فى كل الوجود ! وآية وجوده : جوده ! ودليل كرمه : عفوه ! ودليل بطشه : عدوه !

وهو جل شأنه : لا يشابه مخلوقاته ؛ لذا فإنه تعالى لا يتعرف عليه بالحس ، أو باللمس ، بل بنور القلب ، وصفاء العقيدة !

أنار المولى قلوبكم ؛ لتعرفوا أين هو .

١٠ — الله معنا ، فهل نحن مع الله ؟ الله معنا ؛ بلطفه ، ونصره وتوفيقه ! أما نحن ، فلسنا معه : لانصرافنا عن تدبر آياته ، وبعدنا عن مرضاته !

يبصرنا : فننكر وجوده ! ويرزقنا : فنكفر نعماه ! ويقرب منا بمعونته : فنزداد بعداً عنه بكفرنا وطغياننا !

١١ — الإسراء والمعراج : الإسراء حق لا مرية فيه ، والمعراج صدق ، ولكن لغط في حواشيه !

فالله تعالى هو الله . خالق الكل ! ومالك الكل ! ورازق الكل .

لا قدر — مهما علا — يقارب قدره ! ولا مخلوق — مهما سما — يدنو من سموه !

ونبيه — عليه الصلاة والسلام — هو النبي خير المخلوقات ! وسيد الكائنات

فلم أعل مع المعالين ، ولم أزل بقدره مع النازلين !

والأنبياء — عليهم السلام — هم الأنبياء ، اصطفاهم مولاهم ، من صفوة خليقته ووقاهم من كل منقصة ، وخاصة منقصة الحقد والحسد !

فعاشوا — كما أراد لهم ربهم — كراماً بررة ! وماتوا كراماً بررة !

وإن شئت : صدقتني ولك الأجر ، أو خالفتني وعليك الوزر !

١٢ — أخطاء المفسرين والمحدثين

لا يستطيع إنسان — بالغ ما بلغ من الجهل — أن يقول إن كل ما جاء بالتفاسير صحيح ، بعد أن بينا خطأها بالقول الصريح !

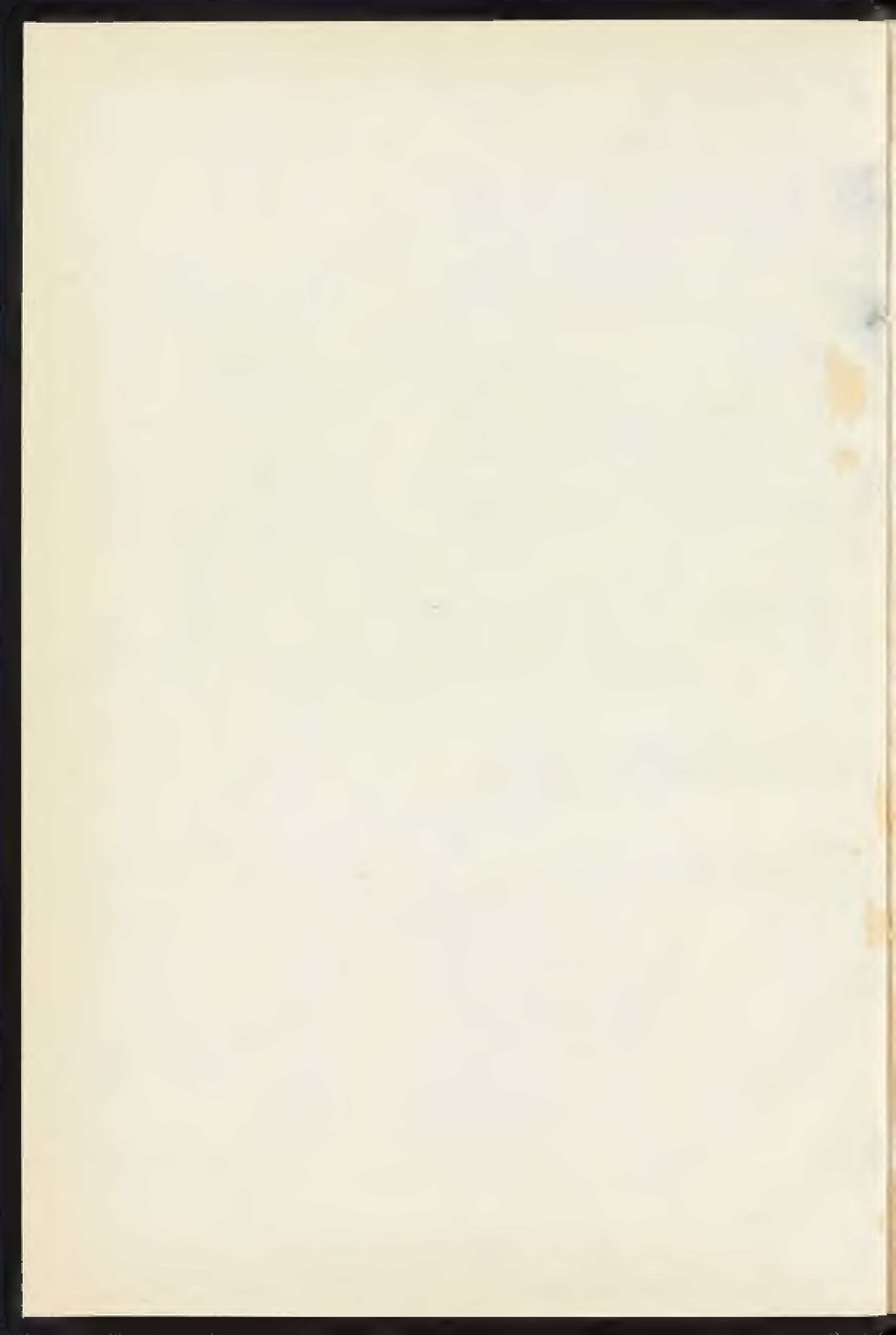
فهل بعد الذي ذكرناه ، لعائب أن يعيب ما قلناه ؟

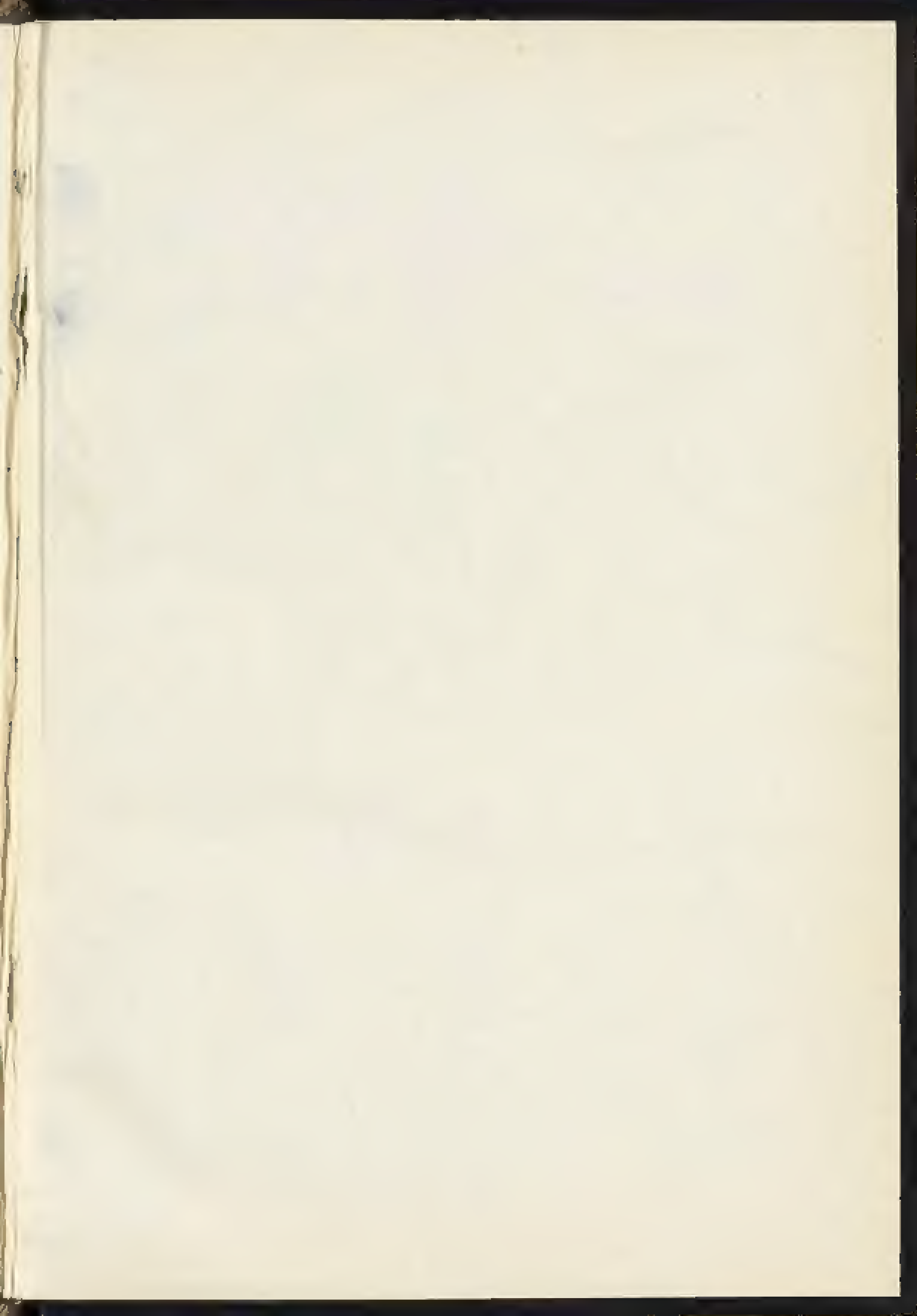
هدانا الله تعالى جميعاً لصراطه المستقيم وأنار بصائرنا ، ورضي عنا وأرضانا ! وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم !

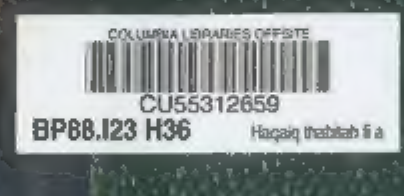











COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55312659
BP88.I23 H36
Haqaiq thabitah fi a